وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإسلاميـــة
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولــة قطــر

تهذيب الفرج بعد الشدة

تأليف
القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
(ت ٣٨٤ هـ)

المجلد الثالث

تحقيق وتهذيب
المكتب العلمي بدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

أوقاف
AWQAF

تهذيب الفرج بعد الشدة

المجلد الثالث

٣

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

الدار الشامية للنشر والتوزيع

المكتب العلمي للدار الشامية

محمود محمد هلال الشيخ
إبراهيم محمد بركات رقوقي
أنس محمود مسلماني

إخراج
الأستاذ محمد سنوبر

إشراف
زاهر بصبوص

الدار الشامية - اسطنبول

الجوال: 56 08 735 534 0090
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
Ministry of Endowments and Islamic Affairs
State of Qatar • دولة قطر
أوقاف
AWQAF

تهذيب الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
ت ٣٨٤ هـ

المجلد الثالث

تحقيق وتهذيب

المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

البَابُ السَّابِعُ

فِي مَنِ اسْتُنْقِذَ مِنْ كَرْبٍ وَضِيقِ خِنَاق بِإِحْدَى حَالَتَيْ عَمْدٍ أَوِ اتِّفَاق

[٧: ١] [محمَّد بن زيدٍ العلويُّ يُحسِنُ إلى أُمويٍّ، ويُبلِّغُه مَأْمَنه]

حدَّثني أبو الفَرَجِ عليُّ بن الحسينِ، المعروفُ بالأصبهانيِّ إملاءً عَليَّ مِن حفظه، **قال:** حدَّثني أبو مسلمٍ محمَّدُ بن بحرٍ الأصبهانيُّ الكاتبُ[١]، **قال:** كان محمَّدُ بن زيدٍ العلويُّ[٢] الداعي بطَبَرِسْتانَ إذا افتتحَ الخراجَ، نظرَ ما بقيَ في بيت المال مِن خَراج السَّنةِ التي قبْلَها، ففرَّقهُ في قبائلِ قريشٍ قِسْطًا على دعوتهم، وفي الأنصار، وفي الفقهاء، وأهلِ القرآن، وسائرِ طبقاتِ الناس، حتى يُفرِّقَ جميعَ ما بقي.

فجلسَ في سَنةٍ من السنينَ يُفرِّقُ المالَ كما كان يفعلُ، فلما بدأ ببني هاشمٍ وفرغَ منهم، دعا بسائر بني[٣] عبد مَنافٍ، قامَ رجلٌ فقال له: مِن أيِّ بني عبد مَنافٍ أنتَ؟ قال: مِن بني أُميَّةَ.

قال: مِن أيِّهم أنتَ؟ فسكتَ.

قال: لعلَّكَ مِن ولدِ معاويةَ؟ قال: نعم[٤].

---

(١) هو محمَّد بن بحرٍ الأصفهانيُّ الكاتبُ، يُكنَّى أبا مسلمٍ، وكان كاتبًا، استوزره محمَّدِ بن زيدٍ الداعي بطَبَرِسْتانَ، (ت: ٣٢٢هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٣٧).

(٢) هو محمَّد بن زيد بن إسماعيل بن الحسن، العلويُّ الحسَنيُّ: صاحب طَبَرِسْتانَ والديلم، (ت: ٢٨٧هـ). ينظر: «الأعلام» (٣/ ٢٠٩).

(٣) (هاشم وفرغ منهم دعا بسائر بني) ليست في (ض، ظ) وأثبتناها من (ر).

(٤) في (ظ) زيادة: (قال: فمن أي ولده أنت؟ فسكت)، وفي (ر): (قال: فمن أي ولده؟ فأمسك).

قال: لعلَّكَ مِن وَلدِ يزيدَ[1]؟ قال: نعم.

قال: بِئسَ الاختيارُ اخترتَ لنفسكَ مِن قصدِكَ بلدًا فيه ولايةُ آل أبي طالب، وعندك ثَأرُهم في سيِّدهم وإخوتِه وبني عمِّه[2]، وقد كانت لك مندوحةٌ عنهم بالشام والعراق عندَ مَن يتولَّى جَدَّك، ويُحِبُّ بِرَّكَ.

فإن كنتَ جئتَ على جهلٍ بهذا منك، فما يكونُ بعدَ جهلك شيء، وإن كنتَ جِئتَ مُتمرِّيًا بهم[3] فقد خاطرْتَ بنفسك.

قال: فنظر إليه العلويُّون نظرًا شديدًا، فصاحَ بهم محمَّدٌ وقال: كُفُّوا عافاكم الله، كأنَّكم تظنُّون أنَّ في قتل هذا دركًا أو ثأرًا بالحسين بن عليٍّ عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وأيُّ جُرمٍ لهذا؟ إن الله تعالى قد حرَّمَ أن تُطالبَ نفسٌ بغير ما اكتسبَتْ، واللهِ لا يَعرِضُ له أحدٌ إلَّا أَقدتُه به، واسمعوا حديثًا أُحدِّثكم به يكونُ قدوةً لكم فيما تستأنفونَ من أموركم.

حدَّثني أبي، عن أبيه، قال: عُرِضَ على المنصورِ سنةَ حجَّ جوهرٌ فاخرٌ نفيسٌ، فعرفَهُ وقال: هذا جوهرٌ كان لهشامِ بن عبد الملك، وهذا هو بعينه، قد بلغني خبرُه أنَّه عند ابنه محمَّدٍ[4]، وما بقي منهم أحدٌ غيرُه.

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو خالد الأموي، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه، كان كثير الشعر، غزا أرض الروم في سنة (٥٠هـ) ومعه أبو أيوب الأنصاري، (ت: ٦٤هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ٧٣١).

(٢) (وإخوته وبني عمه) ليست في (ض، ظ) وأثبتناها من (ر).

(٣) **متمرِّيًا:** أي: مُستَدِرًّا بهم العطاء. ينظر: «الصحاح» (م ر ي).

(٤) أي: محمَّد بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الأمويّ. ينظر: «نسب قريش» (ص: ١١٧).

ثم قال للربيع[1]: إذا كان غدًا وصلَّيتَ بالناس في المسجد الحرام، وحصلَ الناسُ فيه، فأغلقِ الأبوابَ كلَّها، ووَكِّل بها ثِقاتِكَ من الشيعة واقفِلْها، وافتح للناس بابًا واحدًا، وقِفْ عليه، فلا يَخرُجْ أحدٌ إلَّا مَن عرفتَه.

فلما كان من الغد فعلَ الربيعُ ما أمرَهُ به، وتبيَّنَ محمَّد بن هشامٍ القصَّةَ، فعلم أنَّه هو المطلوب، وأنَّه مأخوذٌ، فتَحيَّر.

وأقبلَ محمَّدُ بن زيدِ بن عليِّ بن الحسينِ بن عليِّ بن أبي طالبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على إثرِ ذلك، فرأى الرجلَ مُتحيِّرًا، وهو لا يعرفُه، فقال له: يا هذا، أراكَ مُتحيِّرًا، فمن أنتَ؟ ولك أمانُ الله[2]، وأنتَ في ذِمَّتي حتَّى أُخلِّصَك.

فقال: أنا محمَّدُ بن هشامِ بن عبد الملك، فمن أنت؟

قال: أنا محمَّدُ بن زيدِ بن عليِّ بن الحُسين[3].

قال: فعندَ الله احتسبتُ نفسي إذًا.

قال: لا بأسَ عليك يا ابن عمٍّ، فإنَّكَ لست قاتلَ زيدٍ، ولا في قتلكَ إدراكُ ثأرِه، وأنا الآن بخلاصِكَ أَولى مِنِّي بإسلامك، ولكن تَعذرُني في مكروهٍ أتناوَلُكَ به، أو قبيحٍ أخاطبُكَ به؛ يكونُ فيه خَلاصُكَ بمشيئةِ الله تعالى.

قال: أنتَ وذاك.

---

(١) هو الربيع بن يونس بن أبي فروة، وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٦٧).

(٢) في (ظ) زيادة: (التام العام).

(٣) هو محمَّدُ بن زيدِ بن عليِّ بن الحُسَين، أبو عبد الله الهاشمي، وهو أخو يحيى، وعيسى ابني زيد. ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٠٩).

فطرحَ رداءَهُ على رأسِه ووجهِه، ولَبَّبهُ به[1]، وأقبلَ يَجرُّه.

فلمَّا وقعت عينُ الربيع عليه، لطمَهُ لطَماتٍ، وجاء به إلى الربيعِ، وقال: يا أبا الفضل، إنَّ هذا الخبيثَ جَمَّالٌ من أهل الكوفة، أكراني جِمالَهُ ذاهبًا وراجِعًا، [ض/٩٩] وقد هربَ منِّي في هذا الوقت[2]، وأكرى بعضَ القُوَّادِ الخراسانيَّةِ، ولي عليه بذلك بَيِّنةٌ، فتضُمَّ إليَّ حَرسِيَّينِ يصيرانِ به معي إلى القاضي، ويمنعانِ الخراسانيَّ من إعِرَازِه[3].

فضمَّ إليه حَرسِيَّينِ، وقال لهما: امضِيا معه. فمَضيا معه.

[ظ/١٣٥] فلما بَعُدَ عن المسجد، قال له:[4]، تُؤدِّي إليَّ حَقِّي؟

قال: نعم يا ابنَ رسولِ الله.

فقالَ للحَرسِيَّينِ: انصَرِفا. وأطلقَهُ.

فقبَّلَ محمَّدُ بن هشامٍ رأسَهُ[5]، وقال: بأبي أنتَ وأمِّي، ﴿اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالاتِه﴾. ثمَّ أخرجَ جوهرًا له قَدْرٌ، فدفعَهُ إليه، وقال: تُشرِّفُني يا سيِّدي بقَبولِ هذا مِنِّي.

---

(١) **لَبَّبَ الرَّجلَ**: إذا جمعَ ثيابَه عند صدره ونَحْرِه في الخصومة، ثم جرَّه. ينظر: «الصحاح» (ل ب ب).

(٢) (وقد هرب مني في هذا الوقت) في (ر): (ثم هرب مني).

(٣) **الإعِزازُ**: الإفساد. ينظر: «التكملة والذيل والصلة» (ع ر ز).

(٤) في (ض، ظ) زيادة: (يا خبيث).

(٥) في (ر): (يده).

فقال: يا ابن عمٍّ، إنَّا أهلَ بيتٍ لا نقبلُ على المعروفِ مكافأةً، وقد تركتُ لك أعظمَ من ذلك، دمَ زيدِ بن عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فانصرِفْ راشدًا، ووَارِ شخصكَ حتَّى يخرُجَ هذا الرَّجلُ، فإنه مُجِدٌّ في طلبك. فمضى وتوارى.

قال: ثمَّ أمرَ محمَّدُ بن زيدٍ الداعي بطبرستانَ للأمويِّ بمثل ما أمرَ به لسائر بني عبد مَنافٍ، وضمَّ إليه جماعةً من مواليه، وأمرَهم أن يَخرُجوا معه إلى الرَّيِّ، ويأتوه بكتابه بسلامته.

فقامَ الأمويُّ فقبَّلَ رأسَهُ، ومضى ومعه القومُ، حتَّى وصل إلى مَأمنه، وجاؤوه بكتابه[1].

قال أبو الفرجِ الأصبهانيُّ، وكان أبو مسلمٍ محمَّدُ بن بحرٍ وزيرَ محمَّدِ بن زيدٍ الداعي بطَبَرِسْتانَ. وحدَّثني أنَّ هذا خبرٌ[2] شاهده وسَمِعَه من لفظ الداعي.

---

(١) ينظر: «المستجاد من فعلات الأجواد» للمؤلِّف (ص: ١٤٩)، و«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (٢/ ٢١١).

(٢) (أن هذا الخبر) في (ر): (عن هذا الخبر من).

[٧: ٢] [الإسكندرُ ومَلِكُ الصِّين]

وحدَّثني أبو الفرج الأصبهانيُّ إملاءً من حفظه، **قال**: قرأتُ في بعض أخبار الأوائل أنَّ الإسكندرَ لما انتهى إلى الصين، وحاصرَ مَلِكَها(١)، أتاهُ حاجِبُه، وقد مضى من الليل شَطرُه، فقال له: هذا رسولُ مَلِكِ الصِّين بالباب، يستأذنُ في الدخول(٢) عليكَ. **قال**: أَدْخِلهُ. فأدخلَهُ.

فوقفَ بين يدي الإسكندرِ، وسلَّمَ، وقال: إن رأى المَلِكُ أن يُخلِيَني.

فأمرَ الإسكندرُ مَن يَحضُره من العامَّةِ أن ينصرفوا(٣)، فانصرَفوا، وبقي خاصَّتُه(٤)، فقال له: إنَّ الذي جئتُ له لا يحتملُ أن يسمعَه غيرُك.

فقال الإسكندرُ: فتِّشوهُ. ففُتِّشَ، فلم يُوجَدْ معه سلاحٌ.

فوضعَ الإسكندرُ بين يديه سيفًا مسلولًا، وأخرجَ كلَّ مَن كان عنده، وقال له: قِفْ بمكانِكَ، وقل ما شِئتَ.

---

(١) (وحاصر ملكها) ليست في (ض، ر) وأثبتت من (ظ).

(٢) (في الدخول) ليست في (ض).

(٣) (يحضره من العامة أن ينصرفوا) في (ظ): (بحضرته بالانصراف)، وفي (ر): (بحضرته من العامة أن ينصرفوا).

(٤) (خاصته) في (ض، ظ): (حاجبه). والمثبت من (ر).

فقال له: إنِّني أنا مَلِكُ الصِّين، لا رسوله، وقد جئتُ أسألكَ عمَّا تريدُه، فإن كان ممَّا يمكنُ الانقياد إليه[1]، ولو على أَشقِّ الوجوه قَبِلْناه، وغَنِيتُ أنا وأنتَ عن الحرب.

فقال له الإسكندر: وما أَمَّنكَ مِنِّي؟

قال: عِلمي بأنَّك رجلٌ عاقلٌ، وليس بيننا عداوة، ولا مطالبةٌ بِذَحْلٍ[2]، وأنت تعلم أنَّك إن قتلتَني لم يكن ذلك سببًا لِأنْ يُسلِمَ إليك أهلُ الصين مِلْكَهم، ولم يمنعهم قتلي من أن يُنصِّبُوا لأنفسهم مَلِكًا غيري، ثم تُنسَبُ أنتَ إلى عين الجهل وضِدِّ الحزم.

فأطرقَ الإسكندرُ وعلم أنَّه رجلٌ عاقلٌ، وقال له: الذي أريدُ منكَ: ارتفاعَ مُلكِكَ لثلاثِ سِنينَ عاجلًا، ونِصفَ ارتفاع مُلكِكَ في كلِّ سَنةٍ.

فقال: هل غيرَ ذلك شيء؟

قال: لا.

قال: قد أجبتك.

قال: فكيف يكون حالك حينئذٍ؟

قال: أكونُ قتيلَ أوَّل مُحارِبٍ، وأكلةَ أوَّلِ مفترس.

قال: فإن قنعتُ منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك؟

---

(١) (الانقياد إليه) في (ض، ر): (عمله).

(٢) **الذَّحْلُ**: الثَّأر. ينظر: «المحكم» (ذ ح ل).

قال: أصلحَ ممَّا كنتُ، وأفسحَ مُدَّةً.

قال: فإن قنعتُ منكَ بارتفاع سنةٍ واحدةٍ كيف يكون حالك؟

قال: يكون ذلك كمالًا لأمر مُلكِي، ومُذهِبًا[1] لجميع لذَّاتي[2].

قال: فإن اقتصرتُ منكَ على ارتفاع الثُّلث[3] كيف يكونُ حالُك؟ قال: يكونُ الملْكُ ثابتًا، وأسبابُه مستقيمةً[4].

قال: فإنِّي اقتصرتُ منك على هذا. فشكرَهُ وانصرَف.

فلما طلعت الشمسُ أقبلَ جيشُ الصينِ حتَّى طبَّقَ الأرضَ، وأحاط بجيشِ الإسكندرِ حتَّى خافوا الهلاكَ، وتواثبَ أصحابُه فركبوا الخيلَ، واستَعدُّوا للحرب.

فبينما هم كذلك إذ طلعَ مَلِكُ الصِّين وعليه التَّاجُ، وهو راكبٌ، فلما رأى الإسكندرَ ترجَّلَ.

فقال له الإسكندر: أَغَدَرْتَ؟

قال: لا والله.

قال: فما هذا الجيش؟

---

(١) (ومذهبًا) في (ظ): (وموفيًا).

(٢) في (ض): (لِدَاتي). واللِّدَاتُ: الأترابُ والأقرانُ، مفرده: لِدَةٌ. ينظر: «العين» (و ل د).

(٣) (اقتصرت منك على ارتفاع الثلث) في (ر): (قنعت منك بارتفاع الثلث).

(٤) (الملك ثابتًا وأسبابه مستقيمة) في (ظ): (السدس موفرًا، ويكون الباقي للجيش ولسائر الأسباب)، وفي (ر): (الثلث للفقراء ويكون الباقي لجيشي ولسائر أسباب الملك).

قال: إنَّني أردتُ أن أُريَكَ أنَّني لم أُطِعْكَ مِن قِلَّةٍ ولا ضَعفٍ، وأن ترى جيشي، وما غابَ عنك منه أكثرُ، ولكن رأيتُ العالَم العُلويَّ(١) الأثيرَ(٢) مُقبِلًا عليكَ، مُمَكِّنًا لك ممَّن هو أقوى منكَ وأكثرُ عددًا، ومَن حاربَ العالَم الأثيرَ غُلِبَ، فأردتُ طاعتَهُ بطاعَتِكَ، والذِّلَّةَ لِأمرهِ بالذِّلَّةِ لك. [ظ/١٣٦]

قال: فقال له الإسكندرُ: ليس مِثلُكَ مَن يُؤخَذُ منه شيءٌ، فما رأيتُ بيني وبينَك أحدًا يستحقُّ التفضيلَ والوصفَ بالعقلِ غيرَك، وقد أعفيتُكَ من جميع ما أردْتُه منكَ، وأنا مُنصَرِفٌ عنك.

فقال ملكُ الصِّين: أما إذا فعلْتَ ذلكَ فليسَ تخسَرُ.

ثمَّ انصرفَ الإسكندرُ، فبعثَ إليه مَلِكُ الصِّينِ من الهدايا بضِعْفِ ما كان قرَّرهُ معه(٣).

---

(١) (العُلوي) ليست في (ض، ظ)، والمثبت من (ر). يشير بذلك إلى ملائكة السماء.

(٢) **الأثير**: الكريم، أي: المُكرَّم والمُقدَّم. ينظر: «مقاييس اللغة» (أ ث ر).

(٣) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٧/ ١٩٣)، و«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (١/ ١٠١).

[٧: ٣] [إسحاقُ المَوصِليُّ يُعتِقُ غلامَه لِظَرْفِه]

أخبرني أبو بكرٍ محمَّدُ بن يَحيى الصُّوليُّ فيما أجازَهُ لي، **قال:** حدَّثني الحسنُ بن يَحيى، قال: كان لإسحاقَ الموصليِّ[1] غلامٌ يقالُ له: فَتْحٌ، يستقي الماءَ لأهل دارِه على بغلَين مِن بِغاله دائمًا.

قال إسحاقُ: فقلتُ له يومًا: أيُّ شيءٍ خبرُكَ يا فَتحُ؟

فقال: خبَرِي أنَّه ليس في هذه الدارِ أشقى مِنِّي ومِنْكَ، أنتَ تُطعِمُ أهلَ الدار الخُبزَ، وأنا أسقيهِمُ الماءَ.

فاستَطْرَفتُ قولَهُ، وضحكتُ منه، **وقلت له:** فأيَّ شيءٍ تُحِبُّ؟

قال: تُعْتِقُني[2]، وتَهبُ ليَ البغلَينِ؛ أسقي عليهما[3] لنفسي. ففَعلتُ[4].

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي المغنِّي، سبقت ترجمته (١/ ٣٥٦).

(٢) في (ظ): (تعفيني).

(٣) (أسقي عليهما) ليست في (ظ)، وفي (ر): (أستقي عليهما).

(٤) ينظر: «نثر الدرِّ في المحاضرات» (٥/ ٢٣١)، و«تاريخ الإسلام» (١٧/ ٩٥).

[٧: ٤] [أَنسَبُ بَيتٍ قالتْهُ العَربُ]

أخبرني أبو الفرَجِ المعروفُ بالأصبهانيِّ، **قال:** أخبرني حَرَمِيُّ بنُ أبي العلاء، **قال:** حدَّثنا الزُّبَيرُ بن بكَّارٍ، **قال:** حدَّثني خَلفُ بن وضَّاحٍ، **قال:** حدَّثني عبدُ الأعلى بن عبدِ الله بن محمَّدِ بن صفوانَ الجُمَحيّ(١)، **قال:** حَملْتُ دَينًا في عسكر المَهْديِّ، فرَكِبَ المَهْديُّ يومًا بين أبي عُبَيدِ الله(٢) وعُمرَ بن بزيعٍ(٣)، وأنا وراءَهُ في مَوكِبه على بِرْذَونٍ قَطُوفٍ(٤)، **فقال:** ما أنسَبُ بيتٍ قالتهُ العرب؟

قال أبو عبيد الله: قولُ امرئِ القَيس(٥): [من الطويل]

وما ذَرفَــتْ عَينَاكِ إلَّا لِتَضرِبي ... بِسَهْمَيكِ في أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

فقال: هذا أعرابيٌّ قُحٌّ(٦).

---

(١) عبدُ الأعلى بن عبدِ الله بن محمَّدِ بن صفوانَ الجُمَحيّ، تولى قضاء المدينة المنورة في أيام المهدي. ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٧٠).

(٢) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم، كان كاتبًا للمهدي، ثم استوزره، (ت: ١٧٠هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ٥٦١).

(٣) هو عمرُ بن بَزِيعٍ الكاتب، كان يخلفُ الربيعَ بن يونس في وزارته للهادي، فلمَّا مات الربيع بقيَ عمرُ هذا في نيابة الوزارة إلى أن مات الهادي. ينظر: «ذيل تاريخ بغداد» (٢٠ / ٣١).

(٤) **البِرْذَون**: التُّركيُّ من الخيل. ينظر: «المصباح المنير» (ب ر ذ ن). **والقَطوفُ** من الدوابِّ: البطيء المتقارب الخطو. ينظر: «العين» (ق ط ف).

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، الشاعر الجاهلي المعروف. (نحو ١٣٠ - ٨٠ ق هـ) ينظر: «الشعر والشعراء» للدينوري (١/ ١٠٧)، و«الأعلام» (٢/ ١١).

(٦) في (ظ، ر): (فجّ). **والقُحُّ**: المحض الخالص، يقال: أعرابٌ أقحاحٌ، وعربيٌّ قُحٌّ، أي: محضٌ =

[ص/ ١٠٠] فقال عمرُ بن بَزِيعٍ: قولُ كُثَيِّر عَزَّةَ(١)، يا أميرَ المؤمنين: [من الطويل]

أُرِيــدُ لِأَنـسَـى ذِكْـرَهــا، فَكَأَنَّما تَمثَّلُ لي لَيْلَى بِـكُـلِّ سَبِيلِ(٢)

فقال: ما هذا بشيءٍ، وما له يريدُ أن ينسى ذِكرَها، حتَّى تَمثَّلَ له؟

فقلتُ: عندي حاجَتُكَ يا أميرَ المؤمنين.

قال: اِلْحَقْ بي.

فقلت: لا لَحَاقَ بي(٣)، ليس ذلك في دابَّتي.

فقال: احمِلوه على دابَّةٍ.

فقلت: هذا أوَّلُ الفتح، فحُمِلتُ على دابَّةٍ، فلحَقْتُه.

ثم قلت: قولُ الأحوص(٤): [من الطويل]

إِذَا قُلْتُ: إِنِّـي مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا فَحَمُّ التَّلاقِي بَيْنَنا زَادَني سُقْما(٥)

= خالصٌ. ينظر: «الصحاح» (ق ح ح).

(١) هو كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور، (ت: ١٥٠هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ١٠٦).

(٢) ينظر: «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد (٣/ ٧٣).

(٣) (لا لحاق بي) في (ر): (ليس بي لحاق لأن).

(٤) في (ر): (الأخوص). أما **الأحوص**: فهو الأحوص بن محمَّد الأنصاري الشاعر، وكان معاصرًا للفرزدق. ينظر: «البرصان والعرجان والعميان والحولان» (ص: ١٩٣).
وأما **الأخوص**: فهو زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب بن هرمي الرياحي اليربوعي التميمي، المعروف بالأخوص، شاعر فارس، (ت نحو ٥٠هـ). ينظر: «الأعلام» (٣/ ٦٠).

(٥) ينظر: «مصارع العُشَّاق» (٢/ ١٩٢).

فقال: أحسنْتَ، حاجتُكَ؟

قلت: عَليَّ دَينٌ.

قال: اقْضُوا دَيْنه. فقُضِيَ دَيني[1].

(١) ينظر: «الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء» (ص: ١٩٥)، و«تاريخ بغداد» (١١/ ٧١).

[٧: ٥] [الرَّيَّانُ بن الصَّلْتِ يَعِفُّ ويضيقُ حالُه ثمَّ يُرزَقُ سبعَ مئةِ ألفِ درهَمٍ]

ذكر محمَّدُ بنُ عُبدُوسٍ في كتاب «الوزراء»: أنَّه حدَّثَ أحمدُ بن محمَّدِ بن زيادٍ(١)، قال: قال لي الرَّيَّانُ بن الصَّلْتِ:

كنتُ في خدمة الفضل بن سَهلٍ فيما كنتُ فيه مِن ثِقَتِه بي، واستئمانِه إليَّ(٢) على ما كنتُ عليه، فدعاني في وقتٍ من الأوقات إلى أن يضمَّ إليَّ أربعةَ آلافٍ من الشاكريَّة(٣) والجندِ، يُقْوِدُني(٤) عليهم، ويُجريني مجرى قُوَّاده، فامتنعتُ عليه من ذلك، وأعلمتُه أنِّي لا أقومُ بذلك ولا أصلحُ له، ولا آمَنُ أن أتقلَّد منه ما يقعُ التقصيرُ فيه(٥)، فيُسقِطُ ذلك حالي(٦) عندَه ومنزلتي لديه.

---

(١) هو أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن زياد بن عَبَّاد، أبو سهل القَطَّان المَتُّوثيُّ، نزيل بغداد، حدَّث عن محمَّد بن عبيد الله المنادي، والحسن بن مكرم، (ت: ٣٠٥هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ١٩٤)، و«العقد المذهَّب في طبقات حملة المذهب» (ص: ٢٣٦).

(٢) (واستئمانه إليَّ) في (ظ): (واستيامته).

(٣) **الشَّاكريَّة**: جمع شاكري، وهو الأجير والمستخدم، فارسي مُعرَّب جاكر. وقد استخدمهم العباسيون بدايةً في وظائف ثانوية كحراسة القصور والدواوين، وفي أواخر عهد المعتصم تمَّ إلحاقهم بالجيش، وأصبح لهم ديوان يسمى «ديوان الجيش الشاكرية». ينظر: «القاموس المحيط» (ش ك ر)، و«تنظيمات الجيش في العصر العباسي الأول» (ص: ٥٣).

(٤) (يقودني) في (ظ، ر): (ويقودني). ومعنى **يُقْوِدُني**: يجعلني قائدًا عليهم من (أقاد، يُقْوِدُ)، تقول: أَقَدْتُكَ خيلًا، أي: أعطيتك خيلًا تَقودُها. ينظر: «الصحاح» (ق و د).

(٥) (التقصير فيه) في (ظ): (فيه التقصير)، وفي (ض): (القبض فيه).

(٦) (ذلك حالي) في (ظ): (حظي).

فأنكرَ ذلك عليَّ أشدَّ الإنكار، وعاودني فيه مرارًا، فلم أُجبه إليه، فلما رأى إقامتي على الامتناع جفاني، وأعرضَ عنِّي، وامتدَّت الأيامُ على هذا السبيلِ حتَّى أدَّى بي ذلك إلى الاختلال الشديد الذي أَضرَّ بي. فدخلَ إليَّ غلامي يومًا فأعلمني أنَّه لا نفقةَ عنده، ولا مُصطبرَ له في احتيالها، لامتناعِ التُّجَّارِ من إكسابِه[1] لِتأخُّرِ ما لهم علينا[2]، وأنَّه لا علفَ لدوابِّنا، ولا قُوْتَ لنا.

فأومأتُ إلى عمامة مُلْحَمٍ[3] كانت بحضرتي، فأمرتُه ببيعها، وصَرفِ ثمنها فيما يحتاجُ إليه، فباعها بثمانية دراهم[4].

وورد عليَّ في ذلك اليوم كتابُ وكيلي على أهلي بمدينة السلام، يُعلِمُني ضيقَ الأمر عليه فيما يحتاجُ إليه من إقامتِه للعيال، وأنَّه التمسَ من التجَّار مقدارَ ألفي درهمٍ، فلم يُجيبوهُ إليها، فعَظُمَ عليَّ ما وردَ من ذلك، وضاقت بيَ المذاهب. [ظ/١٣٧]

فبينما أنا قاعدٌ في عشيَّة يومي ذلك، إذ أتاني رسولُ الفضل، يأمُرُني بحضورِ الدارِ، والمقامِ فيها إلى وقتِ خروجه من عند المأمون، فحضَرتُها بعدَ صلاة العَتمة، وأقمتُ إلى أن خرجَ الفضلُ في وقت السَّحَر، فلَقِيتُه وبين يديه خرائطُ كثيرةٌ محمولةٌ.

فقال لي: أصلَّيتَ صلاةَ الليل؟ قلت: نعم.

---

(١) (إكسابه) في (ظ): (إنسائه)، وفي (ر): (إعطائه).

(٢) في (ظ، ر) زيادة: (عنهم).

(٣) (ملحم) ليست في (ر). **والمُلحَم**: نسيج خليط من القطن والحرير، وعُرف بالملحم لأن لُحمته من الحرير. ينظر: «المعجم العربي لأسماء الملابس» (الملحم).

(٤) (دراهم) في (ر): (عشر درهمًا).

فقال: لكنِّي ما صلَّيت، فكن هاهنا إلى أن أصلِّي، فصلَّى ثم انفتلَ من صلاته ودعاني، فقال لي: أتدري ما هذه الخرائط؟ قلت: لا.

فقال: هذه ثمانٍ وستُّونَ خريطةً وردت، وقرأتُها، وأجبتُ عنها بخطِّي.

فدعوتُ الله له بحُسن المعونة والتوفيق.

ثم قال لي: يا ريَّان، إن أبا محمَّد الحسنَ بنَ سهل قد دُفِعَ(1) إلى واسطٍ، ورأى أميرُ المؤمنين أن يَمُدَّه بدينارِ بن عبدِ الله ونُعَيم بنِ حازمٍ(2) في عشرة آلاف رجلٍ، وأن يُقلِّدَكَ الإنفاقَ على عسكريهما، وأن يُجرِيَ لك في كلِّ شهرٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ، ولِكاتبِكَ(3) ثلاثةَ آلافِ درهمٍ، ولِقَراطيسِكَ ألفَ درهمٍ، وأن يُضافَ لك على كلِّ عسكرٍ عشرةُ أجمالٍ لمَحْمَلِكَ، أو مئةُ درهمٍ(4) عوضًا عنها، ثمَّ أمرَ في ذلك الوقت، أن يُحملَ إليَّ أرزاقُ ثلاثةِ أشهُرٍ، فما صلَّيتُ الضحى(5) حتَّى حُمِلَ إليَّ اثنان وأربعونَ ألف درهمٍ.

وأخذَ في تجهيز العسكرَينِ.

قال: وبعثَ إليَّ الفضلُ بن سهلٍ بفرسٍ من دوابِّه، وأمرني أن أبعثَ به إلى نعيمِ بن حازمٍ، وأُعلِمَهُ أنَّه قد خصَّه به، وأنَّه من خيله التي يركبها، فوجَّهت به

---

(1) في (ض): (وقع)، وفي (ظ): (رفع).

(2) هو نُعَيمُ بن حازمٍ، حاملُ عَلَمِ التدبير في وزارة الحسنِ بن سهلٍ ذي الرياستين. ينظر: «تاريخ الطبري» (8/ 424).

(3) في (ض): (ولكتبتك) وما أثبتناه من (ظ، ر).

(4) في (ظ): (دينار).

(5) في (ظ): (الصبح)، وفي (ر): (صلاة الصبح).

إلى نعيم، فأظهرَ السرورَ والابتهاجَ بذلك، والتعظيمَ له، ووهبَ لغُلامي عشرةَ آلافِ درهمٍ، وبعث إليَّ بخمسينَ ألفَ درهمٍ.

فكتبتُ بذلك رقعةً إلى الفضلِ بن سهلٍ، فوقَّع على ظهرها: اردُد على نعيمٍ ما بعثَ به إليكَ، وما وهَبَ لِغلامِكَ، واقبِضْ لنفسِكَ عوضًا منه مئةً وعشرينَ ألفَ درهمٍ.

ثمَّ أمر بعدَ أيَّامٍ لدينارِ بن عبد اللهِ بسبعِ مئةِ ألفِ درهمٍ صِلةً ومعونةً، ولنعيمِ بن حازمٍ بخمسِ مئةِ ألفِ درهمٍ، فبعثتُ بها إليهما، فبعثَ إليَّ كلُّ واحدٍ منهما بخمسينَ ألفَ درهمٍ.

فكتبتُ إلى الفضلِ رُقعةً، أُعلِمُه فيها بما فعلاه، فوقَّع على ظهرها: اقبل من دينارٍ ما بعثَ به إليكَ، واردُد إلى نعيمٍ ما بعثَ به، واقبض لنفسك عوضًا من ذلك مئةَ ألف درهم.

قال: وسِرنا عن مَرُو، فلمَّا صِرنا في الطريقِ، وردَ عليَّ كتابُ الفضل يأمرُني فيه أن أحملَ إلى دينارٍ ألفَ ألفِ درهمٍ، وإلى نعيمٍ ألفَ ألفِ درهمٍ، ففعلتُ ذلك، فحملَ إليَّ دينارٌ مئةَ ألفِ درهم، وخمسينَ ألفَ درهمٍ، وبعث إليَّ نعيمٌ مئةَ ألفِ درهمٍ، فقَبِلتُ من دينارٍ ما بعثَ به، ورَددتُ على نعيمٍ حسبما كان حدَّ لي في رقعتي الأولى والثانية، ولم أكتب بالخبر في ذلك إلى الفضل؛ لئلَّا يتوهَّمَ عليَّ استدعاءَ العِوَضِ، فكتبَ بذلك صاحبُ خبرٍ كان له في السرِّ علينا، فوقَّع على ظهر كتابه إليَّ:

قد علمتُ أنَّك إنَّما أمسكتَ عن الكتاب إليَّ بما فعله نعيمٌ ودينارٌ وما كان من رَدِّكَ على نعيمٍ ما بعث به إليك؛ لِئَلَّا أَتوهَّم عليك الاستدعاءَ للصِّلة، وقد رأيتُ أن تقبضَ لنفسكَ عوضًا عن ذلك مئتي ألف درهم.

قال الريان: فلم تَمضِ سبعةٌ وعشرون يومًا حتَّى تحصَّلَ عندي سبعُ مئةِ ألفِ درهمٍ.

[٧: ٦] [المأمونُ تعودُ إليه الخلافةُ بعدَ ضيقٍ شديد]

وذكر محمَّدُ بن عُبدُوسٍ في كتابه أيضًا عن جبريلَ بنِ بَخْتِيَشوعَ الطبيبُ(١) في خبرٍ طويلٍ: **أنَّه سمعَ المأمونَ يقول:**

كان لي بخراسانَ يومٌ عجيبٌ، فأَولى الله عَزَّوَجَلَّ فيه بإحسانه جميلًا؛ لمَّا توجَّه طاهرُ بن الحسينِ إلى عليِّ بن عيسى بن ماهانَ، كما عرفتموهُ من ضَعفِ طاهرٍ، وقوَّةِ عليٍّ، وقعَ في نفوس عسكري جميعًا أنَّ طاهرًا ذاهبٌ، ولَحِقَ [ر/٦٢] أصحابي إضاقةٌ شديدةٌ، وظهرَتْ فيهم خَلَّةٌ عجيبةٌ(٢)، ونفدَ ما كان معي، ولم يبقَ [ظ/١٣٨] منه قليلٌ ولا كثيرٌ، وأفضيتُ إلى حالٍ كان أصلحَ ما فيها الهربُ، فلم أَدرِ إلى أين أهربُ، ولا كيفَ آخذُ، وبقيتُ حائرًا مفكِّرًا.

فأنا والله كذلك، وكنت نازلًا في دارٍ أبوابها حديدٌ، ولي مُسْتَشْرَفاتٌ(٣) [ض/١٠١] أجلسُ فيها إذا شِئتُ، وعددُ غلماني ستَّةَ عشرَ غلامًا، لا أملكُ غيرَهم؛ إذا أنا بالقُوَّادِ والجيش جميعًا قد شَغبُوا عليَّ، وطلبوا أرزاقَهم، ووافَوا جميعًا يشتموني، ويتكلَّمون بكلِّ قبيحٍ.

---

(١) هو جبريل -أو جبرائيل- بن بَخْتِيَشوعَ بن جورجس الجُنْدَيْسَابُوريُّ الطبيبُ، كان مشهورًا جيِّدَ التصرف في المداواة، ورفيعَ المنزلة عند الرشيد والمأمون، من كتبه: «رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب»، و«المدخل إلى صناعة المنطق»، (ت: ٢١٣هـ). ينظر: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (ص: ١٠٦)، و«عيون الأنباء» (ص: ١٩٧).

(٢) في (ظ): (عظيمة). **والخَلَّة** بفتح الخاء المعجمة: الحاجة والفقر. ينظر: «الصحاح» (خ ل ل).

(٣) في (ض) (مشترفات).

وكان الفضلُ بن سهلٍ بين يديَّ، فأمرَ بإغلاق الأبواب، وقال لي: قُم فاصعد إلى المجلسِ الذي يُتشرَّف فيه؛ إشفاقًا عليَّ مِن دخولهم، وسرعة أخذهم إيَّايَ، وتعليلًا لي بالصعود.

فقلت له: ويحكَ، وما يُغني الصعودُ والقومُ يدخلون الساعةَ فيأخذوني؟ فلأن أكونَ بموضعي أصلَحُ.

فقال لي: يا سيِّدي اصعد، فوالله لا نزلتَ إلَّا خليفةً.

فجعلتُ أهزأُ به، وأعجَبُ منه، وأحسبُ أنَّه إنَّما قال ما قال لِيُشجِّعَني.

وأردتُ الهربَ[1] من بعض أبواب الدار فلم يكن إلى ذلك سبيلٌ؛ لإحاطةِ القومِ بالدار والأبوابِ كلِّها.

فألحَّ عليَّ بالصعود، فصعدتُ وأنا وَجِلٌ، فجلستُ في المستشرَفِ، وأنا أرى العسكرَ.

فلمَّا علمَ الجندُ بصعودي اشتدَّ كلَبُهم وشَتمُهم وضجيجُهم، ونادَوني بالوعيدِ والشَّتمِ، فأغلظتُ على الفضلِ بن سهلٍ وقلتُ له: إنَّك جاهلٌ، غرَّرتَني، ولم تَدَعْني أعملُ برأيي، وليسَ العجبُ إلَّا ممَّن قَبِلَ منكَ. وهو في هذا كلِّه، يحلفُ أنَّني لا أنزلُ إلَّا خليفةً، وغيظي عليه وتَعجُّبي من حُمقِه ومواصلته الأَيمانَ أنَّني لا أنزلُ إلَّا خليفةً[2]، مع ما أُشاهِدُه من الحال يَزيدُه، وكان ما أقاسيه منه أشدَّ عليَّ ممَّا أقاسيه من الجُند.

---

(١) (ليشجعني وأردت الهرب) في (ظ): (ليسمعني وأركب للهرب).

(٢) (أنني لا أنزل إلا خليفة) ليست في (ض، ر).

ثمَّ وضع القومُ النارَ في شوكٍ جمعوه، وأدنَوهُ من الدار، ونَقبوا في سُورها عدَّةَ نقوبٍ، وثلموا فيه قطعةً، فذهبَتْ نفسي خوفًا وجزعًا، وعَلِمتُ أنِّي بين أن أحترقَ، وبين أن يَصِلُوا إليَّ فيقتلوني، فهَمَمْتُ بأن أُلقِيَ نفسي إليهم، وقدَّرتُ أنَّهم إذا رأوني استحيَوا مِنِّي وأقصَرُوا[1].

وجعلَ الفضلُ بن سهلٍ يُقبِّلُ يَديَّ ورِجليَّ، ويناشدني أن لا أفعلَ، ويحلفُ أنِّي لا أنزلُ إلَّا خليفةً، وفي يده الإسطرلابُ ينظرُ فيه في الوقت بعدَ الوقت.

فلمَّا اشتدَّ عليَّ الأمرُ واستحكمَ اليأسُ، قال لي: يا سيِّدي، قد -واللهِ- أتاكَ الفرَجُ، أرى شيئًا في الصحراء قد أقبلَ، ومعه فرَجُنا. فازددتُ مِن قوله غيظًا، وأَمرتُ غلماني بتأمُّل الصحراء، فلم أرَ، ولم يرَوا شيئًا.

وجدَّ القومُ في الهدم والحريق، حتَّى همَمْتُ لِمَا داخلَني أن أرميَ إليهم بالفضل.

فقال الغِلمانُ: يا سيِّدي، إنَّا نرى في الصحراءِ شيئًا قد أقبلَ يلوحُ، فنظرتُ فإذا شَبحٌ، وجعلَ يزيدُ تبيانًا، إلى أن تَبيَّنوا رجلًا على بغلٍ، ثمَّ قَرُبَ فإذا هو يلوحُ، وقَرُبَ من العسكر، وقَوِيَتْ له قلوبُنا، ورأى الجندُ ذلك فتوقَّفوا، وخالطهم فإذا هو يقول: البُشرى، هذا رأسُ عليِّ بن عيسى بن ماهانَ معي في المِخْلَاة[2]، فلما رأوا ذلك أمسكوا عنَّا، وانقلبوا بالدعاءِ لي، والسرورِ بالظفر والفتح.

(١) (وأقصروا) في (ر): (وانصرفوا).

(٢) **المِخْلَاة**: وعاءٌ يُجعَلُ فيهِ الخَلَى، وهو الحشيشُ. ينظر: «الصحاح» (خ ل و).

فقال لي الفضل: يا سيِّدي، ائذن لي في إدخال بعضهم، فأَذِنتُ له، فشرطَ عليهم أن لا يدخلَ إلَّا مَن يريدُ، فأجابوا إلى ذلك، فسَمَّى قومًا من القُوَّاد فأدخلهم.

فكان أوَّلَ مَن دخلَ عليَّ: عبدُ الله بن مالكٍ الخزاعيُّ، فقبَّل يدي، وسلَّم عليَّ بالخلافة، ثمَّ دخل القُوَّادُ بعدَه[1] واحدًا واحدًا، ففعلوا مثل ذلك، وأطفأ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الثائرةَ، ووهبَ السلامةَ، وقلَّدني الخلافةَ، وظَفِرتُ من أموال عليِّ بن عيسى بن ماهانَ وما في عسكره بما أصلَحْنا به أمورَ جُندنا.

ثمَّ ذكر تمامَ الحديث، وليس ممَّا يتعلَّق بكتابي هذا ما ذكره[2].

وحدَّثني بهذا الخبرِ أبو محمَّدٍ الحسنُ بن محمَّدٍ الصِّلْحِيُّ، قال: حدَّثني أبو سعيدٍ سنانُ بن ثابتِ بن قُرَّةَ[3]، قال: حدَّثني قُرَّةُ[4] بن مروانَ[5]، قال[6]: كنتُ مع المأمون، وقد خرجَ إلى نواحي الإسحاقيِّ[7]؛ لِيتصيَّدَ في جماعةٍ قليلةٍ من العسكرِ، [ظ/١٣٩]

(١) (فأدخلهم فكان... القواد بعده) في (ر): (بعدهم).

(٢) ينظر: «مرآة الزمان» (١٣/ ٢٤٤).

(٣) الحَرَّانيُّ، الصابئ، كان أديبًا، فاضلًا، مؤرِّخًا، عارفًا بعلم الهيئة، ماهرًا بصناعة الطبِّ، (ت: ٣٣١هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٣/ ١٤٠٥)، و«الأعلام» (٣/ ١٤١).

(٤) في المطبوع: (الفضل) وهو خطأ.

(٥) هو قُرَّةُ بن مروانَ بنِ ثابتِ بن زكريَّا الحَرَّانيُّ، الصابئُ، جَدُّ سنانِ بن ثابتٍ. ينظر: «معجم الأدباء» (٢/ ٧٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ٧٢٦).

(٦) (حدثني قرة بن مروان قال) في (ظ): (قرة بن مروان).

(٧) **الإِسحَاقِيُّ**: نهرٌ بين بغدادَ وتكريت، عليه مزارعُ وقرًى كثيرةٌ، سُمِّيَ بذلك نسبةً إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب شرطة المتوكِّل، الذي حفره في أيَّامه. ينظر: «صورة الأرض» (١/ ٢٠٨)، و«الجغرافيا» (ص: ٤٤).

فذكر هذا الخبرَ بطوله، وصَدرُه وعَجُزهُ على ما في كتاب ابن عُبْدُوسٍ، ممَّا لم أذكُرْهُ، فذكرَ فيه هذه القطعةَ من الخبرِ على قريبٍ ممَّا هي مذكورةٌ هاهنا[1].

(١) (ثم ذكر تمام الحديث... مذكورة هاهنا) ليست في (ر).

[٧: ٧] [فِطنةُ مُخلَّدٍ الْكَاتِبِ تعودُ بالخيرِ على جميع الكُتَّاب]

وذكر أيضًا في كتابه قال: حدَّثني محمَّدُ بن مُخَلَّدٍ، عن أبيه مُخَلَّد بن زرديٍّ المدائنيِّ الكاتب(١)، قال: كان مُخَلَّدٌ يُلقَّبُ لُبَدَ؛ لِطول عُمرِه، فحدَّثني أنَّ المأمونَ أوَّلَ ما قَدِمَ العراقَ، خطرَ له أن يُقلِّدَ الأعمالَ الشيعةَ الذينَ قَدِموا معه مِن خُراسانَ، فطالت عطلةُ كُتَّابِ السوادِ وعُمَّالِه، وكانوا يَحضُرونَ دارَه في كلِّ يومٍ، حتَّى ساءت أحوالُ أكثرِهم.

فخرجَ يومًا بعضُ مشايخِ الشيعة، وكان مُغفَّلًا، فتأمَّلَ وجوهَهُم، فلم يرَ فيهم أسنَّ مِن مُخلَّدٍ بن زَرَدِيٍّ(٢)، فجلسَ إليه، وقال له: إنَّ أميرَ المؤمنينَ قد أمرني أن أتخيَّرَ ناحيةً من نواحي الخراجِ، صالحةَ المرفقِ، لِيُوقِّعَ بتقليدي إيَّاها، فاخترْ لي ناحيةً(٣).

فقال: لا أعرفُ لكَ عملًا أَولى بك من بَزَنْدَاتِ(٤) البَحرِ، وصدقاتِ الوحش.

فقال له: اكتُبه لي، فكتبه له مُخلَّدٌ، فعرضَ الشيعيُّ الرُّقعةَ على المأمون، وسألَهُ تقليدَهُ ذلك العملَ.

---

(١) لعلَّ الصواب: مخلد بن وردي. ينظر: «نزهة الألباب في الألقاب» (٢/ ١٣٦).

(٢) في (ظ): (زيد)، وفي المطبوع: (يزيد).

(٣) في (ر) زيادة: (من نواحي الخراج).

(٤) في (ض) (تزيدات)، وفي (ظ): (ترندات)، وفي (ر): (يزيدات). **والبَزَنْدَاتُ:** كلمةٌ فارسيَّةُ الأصل، وتعني: الجسور. ينظر: «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» (ص: ٣٤٦).

فقال له: مَن كتب لك هذه الرقعةَ؟ قال: شيخٌ من الكُتَّابِ يحضرُ الدارَ كلَّ يوم.

فقال: هاتِه[1].

فلمَّا دخلَ، قال له المأمونُ[2]: ما هذا يا جاهل؟ أتفرَّغْتَ لأصحابي!

فقال له: يا أميرَ المؤمنين، أصحابُنا هؤلاء ثِقاتٌ يَصلُحونَ لِحفظ ما يحصلُ في[3] أيديهم مِن الخزائن والأموال، وأمَّا شروطُ الخَراج، وحكمُه، وما يجبُ تعجيلُ استخراجِه، وما يجبُ تأخيرُه، وما يجبُ إطلاقُه، وما يجبُ مَنعُه، وما يجبُ إنفاقُه[4]، وما يجبُ الاحتسابُ به، فلا يعرفونه، وتقليدُهم يعودُ بذهابِ الارتفاع، فإن كنتَ يا أميرَ المؤمنين لا تَثِقُ بنا، فمُرْ بأنْ يُضَمَّ إلى كلِّ رجلٍ منهم رجلٌ منَّا، فيكونُ الشيعيُّ يحفظُ المالَ، ونحن نجمعُه.

فاستصابَ المأمونُ رأيَهُ وكلامَهُ، وأمرَ بتقليد عُمَّالِ السوادِ وكُتَّابِه، وضَمَّ مُخلَّدًا إلى ذلك الشيخ، وقلَّدهُ ناحيةً جليلةً[5]. [ض/١٠٢]

---

(١) (هاته) في (ظ، ر) (هلمَّه).

(٢) (المأمون) في (ض): (أمير المؤمنين).

(٣) (يحصل في) في (ظ): (يصل إلى).

(٤) في (ض): (إيقافه).

(٥) ينظر: «تجارب الأمم» (٤/ ١٥٠)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٤٦٢).

[٧: ٨] [الريان مولى أبي جعفرٍ يقتل مؤدِّبَ ولدِه جعفرٍ بأَمرِه وينجو مِن بَطشِ وَلدِه]

وذكر في هذا الكتاب(١): أنَّ المنصورَ ضمَّ رجلًا يقالُ له: فُضَيلُ بن عِمرانَ الكوفيُّ إلى جعفرٍ ابنِه(٢)، يكتبُ له، ويَقومُ بأمره.

وكانت لجعفرٍ حاضنةٌ تُعرَفُ بأمِّ عُبَيدٍ(٣)، فثَقُلَ عليها مكانُ فُضَيلٍ، فسَعتْ(٤) به إلى أبي جعفرٍ، وادَّعت عليه أنَّه يلعبُ بِجَعفَرٍ.

فبعثَ المنصورُ الريَّانَ مولاهُ، وهارونَ بن غزوانَ مولى عثمانِ بن نَهيكٍ(٥) إلى فُضَيلِ بن عِمرانَ، وأمرَهُما بقتله، وكتبَ لهما منشورًا بذلك، فصارا إليه لِيَقتُلاه.

---

(١) (هذا الكتاب) في (ر): (هذا الباب).

(٢) لأبي جعفر المنصور ابنان سُمِّيا بجعفر، أما أكبرهما فهو جعفر الأكبر، كان يتولى إمارة الموصل، ومات في حياة أبيه أبي جعفر المنصور، وصلَّى عليه ودفنه في مقابر قريش في بغداد. وأما الآخر فهو جعفر الأصغر، أمُّه أمُّ ولدٍ كرديَّةٌ، حج بالنَّاسِ سنة (١٨٨هـ) وله من الولد محمَّدٌ وموسى وصالح وإبراهيم وأمُّ عبد الله ولبابة. ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٦)، و«الوافي بالوفيات» (١١/ ٨٤) و (١٣/ ٢٧٤).

(٣) في (ظ، ر): (عبيدة).

(٤) سَعَتْ به: نمَّت به ووَشَتْ إلى وليِّ الأمر، وهو من المجاز. ينظر: «تاج العروس» (س ع ي).

(٥) هو عثمان بن نهيك، أمير الحرمين في زمن المنصور، قُتِل سنةَ (١٤١هـ) ودُفن بالهاشمية. ينظر: «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (٥/ ٤٣).

وكان الفُضَيلُ دَيِّنًا، عفيفًا[1]، فقيلَ للمنصورِ في ذلك، وأنَّه أَبرَأُ الناسِ ممَّا قُذِفَ به، فأحضرَ المنصورُ غلامًا من غِلمانه، وجعل له عشرةَ آلافِ درهَمٍ، إن أدركَهُ قبلَ أن يُقتلَ، فصارَ إليه، فوجدَهُ قد قُتِلَ، ولم يَجِفَّ دَمُه.

واتَّصلَ خبرُ قَتلِه بجعفرِ بن أبي جعفرٍ، فطلبَ الريَّانَ، فلمَّا جِيءَ به، قال: وَيْلكَ، ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ في قَتلِ رَجُلٍ مسلمٍ بغيرِ جُرمٍ؟

فقال له الريَّانُ: هو أميرُ المؤمنين، يفعلُ ما يشاءُ، هو أعلم.

فقال له جعفرٌ: أُكلِّمُكَ بكلامِ الخاصَّة، وتُكلِّمُني بكلامِ العامَّة؟ جُرُّوا برِجْلِه فأَلقُوهُ في دِجْلةَ.

قال الريَّانُ: فأخذوا والله برِجلي، فقلتُ: أُكلِّمُكَ بكلمةٍ واحدةٍ، ثمَّ افعل ما شِئتَ.

فقال: رُدُّوهُ. فرُدِدتُ، فقال: قل.

فقلتُ له: أبوكَ إنَّما يُسأَلُ عن قتلِ فُضيلِ بن عمرانَ وحدَهُ! ومتى يُسأَلُ عنه، وقد قتلَ عمَّهُ عبدَ الله بن عليٍّ، وقتل عبدَ الله بن الحسنِ بن الحُسينِ، وغيرَهُ[2] من أولاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظُلمًا، وقتلَ مِن أهل الدنيا ما لا يُحصى ولا يُعَدُّ؟[3]

---

(١) (وكتب لهما... دَيِّنًا، عفيفًا) ليست في (ر).

(٢) (وغيره) في (ظ، ر): (وعشرة).

(٣) قال الذهبي: "أباد جماعة كبارًا حتى توطَّد له المُلكُ، ودانت له الأُممُ على ظُلمٍ فيه، وقُوَّةِ نفْسٍ، ولكنَّه يرجعُ إلى صحَّة إسلامٍ وتديُّنٍ في الجملة، وتصوُّنٍ، وصلاةٍ، وخيرٍ". ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٨٣).

وهو قبلَ[1] أن يُسألَ عن فضيلِ بن عِمرانَ جُوذابَةٌ[2] تحت خُصَى[3] فرعونَ.

قال: فضحكَ، وقال: دَعوهُ إلى لعنةِ الله[4]. فأفلتَ منه[5].

(١) (وهو قبل) في (ظ): (هو)، وفي (ض): (قبل).

(٢) **الجُوذابة:** هي في الأصل خبزةٌ توضع في التنُّور، ويُعَلَّقُ عليها حيوانٌ كالإوزّ والخرفان، أو لحمٌ، فيسيل دهنُه عليها ما دامت تطبخ. واستخدمها هنا تشبيهًا. ومنه قَولُ ابنِ حجَّاج الشاعر:

أنا جُوذابَةٌ ودهني صَدِيدِي ... تحتَ خِصْيَي فِرعونَ أو هامان

ينظر: «الوافي بالوفيات» (١٢/ ٢٠٩)، و«تكملة المعاجم العربية» (٢/ ٣٣٢).

(٣) في (ض): (خُصْيِ). والخُصْيُ والخِصْيُ والخُصْيَةُ والخِصْيَة من أعضاءِ التَّناسُلِ، والتَّثْنِيَةُ خِصْيتانِ وخُصْيتانِ، وخُصْيانِ وخِصْيانِ، والجَمْعُ خُصىً. ينظر: «لسان العرب» (خ ص ي: ١٤/ ٢٢٩).

(٤) (دعوه إلى لعنة الله) في (ظ): (خلوا عنه لعنه الله).

(٥) ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٩٩).

[٧: ٩] [أغناها اللَّهُ بسببِ محمَّدٍ الجُشَمِيِّ فكافأَتهُ أضعافًا]

[ظ/١٤٠] وجدتُ في كتاب أبي الفَرَجِ الحَنْطَبِيِّ المخزوميِّ الكاتبِ(١): أنَّ محمَّدَ بن عبدِ الحميدِ الجُشَمِيَّ، قال: حَجَجْتُ في سنة ثلاثٍ وثلاثينَ(٢) ومئتين، وأنا في بعض المنازل راجعًا، إذ غَشِيَنا فقراءُ الباديةِ يستمنِحُونَ(٣)، فوقفَتْ عليَّ منهم جاريةٌ تتصدَّقُ(٤) بوجهٍ كأنَّه القمرُ حينَ استدار، أو كقَرْنِ الشمسِ حين أنارَ، فرَدَدتُ طرفي عنها، واستعذتُ بالله من الفتنةِ بها، فلم تَزَلْ تذهَبُ فيما بين رِحال الحُجَّاجِ وتعودُ إلى رَحلي حتَّى وقفَتْ. فقلتُ لها: أما تستحينَ أن تُبدي هذا الوجهَ في مثل هذا الموضعِ بحضرةِ الخلائق؟

فلطمَتْ وجهَها، وقالت في الإثرِ(٥): [من الكامل]

لم أُبْـدِه حتَّى تَقضَّتْ حِيلَتِي ... فـبَـذَلْـتُـهُ، وَهُـوَ الأَعَـزُّ الأَكْـرَمُ

[ر/٦٣] ويَـعِـزُّ ذاكَ عَـلـيَّ إلَّا أَنَّـهُ ... دَهْـرٌ يَـجُـورُ كَما تَـرَاهُ وَيَظْلِمُ

(١) النَّصِيبيُّ الشاعر، المعروف بالببَّغاء؛ لفصاحته، وقيل: للثغة في لسانه، وله ديوان، ومدائح في سيف الدولة، (ت: ٣٩٨هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٦٠) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٩٦).

(٢) (وثلاثين) في (ظ): (وأربعين).

(٣) **يستمنحه**: أي يطلب منحته، ويسترفده. ينظر: «الصحاح» (م ن ح).

(٤) **تتصدَّق**: أي تطلب الصدقة. فالمعطي متصدق، والآخذ متصدق. ينظر: «تاج العروس» (ص د ق).

(٥) (في الإثر) ليست في (ظ، ر). وتقدير المعنى: قالت في إثر كلامي، أي: بعده.

قَــدْ صُنْتُهُ وَحَجَبْتُه حَتَّى إِذَا ... لم يَبْقَ لي طَمَعٌ، وَمَـاتَ الهَيْثَمُ
أَبْــرَزْتُــهُ مِــنْ حُـجْـبِـهِ مَقْـهُـورَةً ... والـلـهُ يَشْهَدُ لِـي بِـذَاكَ وَيَعْلَمُ
كَشَفَ الـزَّمَـانُ قِنَاعَهُ في بَلْدَةٍ ... قَـلَّ الصَّدِيقُ بِهَا، وَعَـزَّ الدِّرْهَمُ
أَصْبَحْتُ في أَرْضِ الحِجَازِ غَرِيبَةً ... وَبَنُو رَبِيْعَةَ أُسْـرَتِـي وَمُحَلَّمُ[1]

قال: فأعجبَني ما رأيتُ مِن جمالِها، وفصاحتها، وأَدبِها، وشِعْرِها، فبَرْزْتُها، وكتبتُ الأبياتَ عنها، وقلتُ لها: ما اسمُكِ؟

قالت: أنا المُهنَّاةُ بنتُ الهيثمِ الشيبانيِّ، وكان أبي جارًا لِبَني فزارةَ، فاعتلَّ واستنفدَ مالَه، وتُوفِّيَ وتركَني فقيرةً، فاحتجْتُ إلى التكَفُّفِ.

قال: ورحلنا، فلمَّا صِرْنا إلى الرحبةِ، دخلتُ إلى مالكِ بن طَوقٍ[2] مُسَلِّمًا، فسألني عن طريقي وسفَري، وما رأيتُ فيه من الأعاجيبِ، فحدَّثته بحديثِ الجارية، فأُعجِبَ به واستظرفَهُ، وكتبَ الأبياتَ مِنِّي، ورحلتُ إلى منزلي بالشام.

فلمَّا كان بَعْدَ مُدَّةٍ[3] أتاني رسولُه يستزيرُني[4]، فصِرتُ إليه، فلمَّا كان بعدَ

---

(١) في (ظ): (ومحكم). **ومُحلَّمُ**: أي: بنو مُحلَّم، وهو اسمُ قبيلةٍ من قبائل العرب. ينظر: «جمهرة اللغة» (ح ل م)، و«المحكم» (ح ل م).

(٢) هو مالك بن طوق بن مالك التغلبي، أحدُ أجواد العرب، ولي إمرة دمشق والأردن في ولاية الواثق ثم المتوكل. ومدحه أكثر من شاعر، وتُنسَبُ الرَّحبةُ المذكورةُ إليه؛ لاستحداثه إيَّاها، وتقع بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات. ينظر: «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٦٠)، و«معجم البلدان» (٣/ ٣٤).

(٣) (مدة) في (ظ): (أيام من اجتماعنا).

(٤) **يستزيرني**: يسألني زيارتي له. ينظر: «الصحاح» (ز و ر).

أيَّامٍ من اجتماعنا كنتُ جالسًا بحضرتِه[1]، فإذا خادمان قد جاءا، ومعهما أكياسٌ مختومةٌ، وتُخوتُ ثيابٍ[2] مشدودةٌ، فوضعاها بين يَدَي، فقلتُ لمالكٍ: ما هذا؟

فقال: هذا حقُّ دلالتِكَ على المهنَّاةِ بنت الهيثم الشيبانيِّ، التي[3] أظفرني الله عَزَّوَجَلَّ بها[4] بيُمْنِكَ لِـمَا[5] كانت أُمنيتي تَقصرُ عنه، وهي أنفذَتْ إليكَ هذا مِن مالها، ولكَ مِن مالي ضِعفُه.

فقلتُ: ما الخبرُ؟

قال: إنَّكَ انصرفْتَ مِن عندي، فأنفذْتُ[6] رُسلًا إلى الباديةِ ممَّن أَثِقُ بعُقولهم وأماناتِهم، فما زالوا يسألونَ عنها، حتَّى ظَفِروا بها، وحَملوها إليَّ، ووَلِيُّها معها، فجاءَتْني، فرأيتُ[7] منها ما ازدادَ به ما كان زَرعَهُ في نفسي حديثُكَ عنها، فتزوَّجتُها مِن وليِّها، وجعلتُه أحدَ قُوَّادي، وأَفضتُ[8] عليها مِن دُنيايَ بحسبِ

---

(١) (فلما كان بعد أيام من اجتماعنا كنت جالسًا بحضرته) في (ظ): (فبينا أنا جالس عنده يومًا).

(٢) في (ظ): (وثياب). **وتخوت الثياب**: صناديق الثياب. ينظر: «المعجم العربي لأسماء الملابس» (تخت/ ص: ٩١).

(٣) في (ر): (حتى).

(٤) (بها) في (ض، ظ): (منها). والمثبت من (ر).

(٥) (بها بيمنك لما) في (ض): (لها بيمنك بما)، وفي (ض): (لها بما).

(٦) (انصرفت من عندي فأنفذت) في (ظ، ر): (لما انصرفت أنفذت).

(٧) (فجاءتني فرأيت) في (ر): (فلما جاءتني رأيت).

(٨) (فجاءتني فرأيت منها ما ازداد به ما كان زرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها وجعلته أحد قوادي وأفضت) في (ظ): (فتزوجتها، فرأيت منها ما ازداد على ما كان زرعه حديثك عنها في نفسي وقد أفضت).

تَمكُّنِها مِن قلبي، فسألَتْني عن سببِ طَلبي لها، فأخبرتُها بخَبرِكَ، وأَرسلتُ[1] أَستزيرُكَ لِأُعَرِّفَكَ هذا، وأقضيَ حقَّكَ، فلمَّا عرفَتْ حُضورَكَ أنفذَتْ بهذا إليكَ، وقد أَمرت لك بعشرينَ ألف درهمٍ، وعشرِ تخوتٍ ثيابًا.

قال ابن عبد الحميد: وكانت عندَهُ، ورُزِقَتْ منه عِدَّةَ أولادٍ[2].

(١) في (ظ، ر): (وكتبت).

(٢) (عنده ورزقت منه عدة أولاد) في (ظ، ر): (أم عدة من أولاده).

[٧: ١٠] [أبو الحسينِ الكاتبُ عاملُ أصبهانَ يُوظِّفُ مُتصرِّفًا]

حدَّثني أبو القاسمِ سعدُ بن عبدِ الرحمنِ الكاتبُ الأصبهانيُّ(١) قال: كان أبو الحسينِ بنُ أبي البغلِ(٢) يتقلَّدُ بلدَنا(٣)، فقَدِمَ عليه من بغدادَ شيخٌ من الكُتَّابِ، يَطلبُ التصرُّفَ، وأوردَ عليه كُتبًا من إخوانِه بالحضرةِ(٤)، يذكرونَ فيها طُولَ عطلته، ومَحلَّهُ من الصناعةِ، ويسألونه تصريفَهُ، فسلَّمَ الرجلُ وجلسَ، وأخرجَ إضبارةَ كُتبٍ(٥) مِن كُمِّه، فتركَها بين يدي أبي الحسينِ، وكانت كثيرةً(٦)، وكانت فيه حِدَّةٌ وضَجرٌ، فاستكثرَ الكُتبَ، وفضَّ منها واحدًا، فقرأَهُ(٧) وأقبلَ على شُغلِه من غير أن يقرأَ باقيَ الكُتب.

---

(١) كاتب الأمير أبي حرب، سند الدولة، الحبشي بن معز الدولة، ذو أدب وعلم ونبل. ينظر: «نشوار المحاضرة» (٢/ ١٥٢).

(٢) هو محمَّد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل، أبو الحسين الكاتب، من أعيان كتاب الدواوين، وولي الجبل وأصبهان مدة، وله نظم ونثر، (ت: ٣١٣هـ). ينظر: «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٦).

(٣) وهي أصبهان. يُنظَر: «نشوار المحاضرة» (٢/ ١٥٣)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٦). وفي (ظ): (البصرة) وهو خطأ.

(٤) **إخوانه بالحضرة**: أي: إخوان أبي حسين. **والحضرةُ**: مجلس السُّلطان، سُمُّوا بذلك لحضورهم مجلس السلطان، ومعنى كلمة حضرة في اللغة: القُرب. ينظر: «تهذيب اللغة» (ح ض ر).

(٥) **الإضبارة**: كل حزمةٍ من الصُّحف والسهام أو نحو ذلك؛ فإنَّها إضبارة. ينظر: «تصحيح الفصيح» (ص: ٣١٠).

(٦) (وكانت كثيرة) ليست في (ض، ر)، وأثبتناها من (ظ). وينظر: «نشوار المحاضرة» (٢/ ١٥٣).

(٧) (منها واحدًا، فقرأه) في (ض): (واحدًا)، وفي (ر): (واحدًا وأقرأه).

فقال له الرجلُ: إن رأيتَ -أطالَ اللهُ بقاءَكَ- أن تقفَ على باقي الكُتب[1].

[ض/١٠٣] فضَجِرَ وتغيَّظَ، وقال: أليسَ هي كُلُّها في معنًى واحدٍ؟ قد -واللهِ- بُلينا بكم يا معشرَ المعطَّلينَ[2]، كلَّ يومٍ يصيرُ إلينا منكم واحدٌ يريدُ تَصرُّفًا أو بِرًّا، ولو كانت خزائنُ الأرض إليَّ لكانت[3] قد نفدَتْ، يا هذا ما لكَ عندي تَصرُّفٌ، ولا[4] عَملٌ شاغرٌ فأَرُدَّه إليكَ، ولا في مالي فضلٌ لبِرِّكَ، فدَبِّرْ أمركَ بحسبِ هذا. قال: والرجلُ ساكتٌ إلى أن أمسكَ ابنُ أبي البغل[5].

[ظ/١٤١] فلمَّا سكنَ ابن أبي البغلِ[6] قامَ الرجلُ، فقال: أحسنَ الله جَزاءَكَ، وتولَّى مكافأَتَكَ بالحُسنى[7]، وفعلَ بكَ وصنعَ. قال: وأسرفَ الرجلُ في شُكره ووَصفِه[8] والدعاءِ له، ووَلَّى مُنصَرِفًا.

فقال ابن أبي البغل: رُدُّوهُ. فرجع.

فقال: يا هذا، هو ذا تسخَرُ مِنِّي، على أيِّ شيءٍ تَشكرُني؟ على إياسي لكَ من التصرُّف، أو قطعِ رجائِكَ من الصِّلَةِ، أو قبيحِ رَدِّي لكَ عن الأمرين، وضجَري عليكَ؟ أو تُريدُ خِداعي بهذا الفِعل؟

---

(١) (فقال له الرجل: إن رأيت -أطال الله بقاءك- أن تقف على باقي الكتب) ليست في (ر).
(٢) (يا معشر المعطلين) في (ظ): (معطلين)، وفي (ر): (متعطلين).
(٣) (لكانت) في (ض): (الكتاب).
(٤) (تصرف ولا) في (ر): (شيء ولا تصرف ولا لي).
(٥) (إلى أن أمسك ابن أبي البغل) ليست في (ظ).
(٦) (ابن أبي البغل) ليست في (ض، ر)، والمثبت من (ظ).
(٧) (وتولى مكافأتك بالحسنى) ليست في (ظ)، وفي (ر): (وتولى مكافأتك الحسنى).
(٨) (قال: وأسرف الرجل في شكره ووصفه) في (ظ): (وأسرف في الشكر)، وفي (ر): (قال: وأسرف الرجل في شكره).

فقال: واللهِ ما أريدُ خداعكَ، وما كان منكَ من قبيح الردِّ فغيرُ مُنكَرٍ؛ لأنَّكَ سلطانٌ، ولَحِقَكَ ضَجَرٌ، ولعلَّ الأمرَ كما ذكرتَهُ مِن كثرة الواردين عليك، فقد تثقَّلْتَ[1] بهم، واتَّفق لي بقوَّةِ نحسي[2] أن صارَ هذا الردُّ القبيحُ في بابي، ولم أشكركَ إلَّا في موضع[3] الشُّكر، لأنَّك صدقتَنِي عن ما لي عندكَ في أوَّلِ مجلسٍ، فأعتقتَ عُنقي[4] من ذُلِّ المطامع، وأرحتَنِي من التَّعب[5] بالغُدوِّ والرواحِ إليكَ، وخدمةِ قومٍ أستشفعُ بهم إليكَ، وكشفتَ لي ما أُدبِّرُ به أمري، وكسوتي ثَمَّ لم تَخْلَقْ، وبقيَّةُ نَفقَتي لم تنفَدْ[6]، ولعلَّها تَحمِلُني إلى بلدٍ آخرَ، ووجهٍ سواكَ.

قال[7]: فأطرقَ ابن أبي البغل، ومضى الرجلُ، فرفع رأسَهُ، فقال: رُدُّوه.

فلَحِقوهُ فرَدُّوه، فاعتذرَ[8] إليه، وأمرَ له بصِلَةٍ، وقال له: خذ هذه إلى أن أُقلِّدَك عملًا يَصلحُ لك، فإنِّي أرى فيكَ مُصطنَعًا.

فلمَّا كان بعدَ أيَّامٍ قليلةٍ قلَّدهُ عملًا جليلًا، وصلحَتْ حالُه معه.

---

(١) (فقد تثقلت) في (ظ): (فقد شغلت)، وفي (ر): (وقد تعبت بهم).
(٢) (نحسي) في (ض): (بحثي)، وفي (ر): (نحوسي).
(٣) (موضع) في (ر): (مواضع).
(٤) (عنقي) في (ض، ر): (رقي).
(٥) (التعب) في (ض): (ذل الطمع). والمثبت من (ظ، ر).
(٦) (لم تنفد) في (ظ، ر): (معي).
(٧) (سواك) في (ض، ظ): (سؤال)، والمثبت من (ر).
(٨) (فقال: ردوه فلحقوه فردوه، فاعتذر) في (ظ): (فاستدعاه واعتذر)، وفي (ر): (فقال: ردوه فلحقه فرده فاعتذر).

[٧: ١١] [جحظةُ البرمَكيُّ يسامرُه مَحْبَرةُ الكاتبُ ويَصِلُه بعدَ ضائقةٍ شديدة]

حدثني أبو الفرج الأصبهاني، **قال**: حدثني جحظةُ، وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك[١]، **قال**: اتَّصلَتْ عليَّ إضاقةٌ أنفقتُ فيها كلَّ ما أملكُ، حتى بقيتُ ليس في داري إلَّا البواري[٢]، فأصبحتُ يومًا وأنا أَفلَسُ من طنبورٍ بلا وتر[٣]، كما يقال في المثل، ففكَّرتُ كيف أعمل؟ فوقعَ لي أن أكتبَ إلى مَحْبَرةَ بن أبي عبَّادٍ الكاتب، وكنت أجاوره بالبصرة، وقد ترك التصرُّفَ قبل ذلك بسِنينَ ولزم بيتَه، والنقرسُ حالفَه فأزمنه، حتى صار لا يمكنه الحركةُ[٤] إلَّا محمولًا على الأيدي أو في مِحَفَّةٍ[٥]، وكان مع ذلك على غاية الظَّرْف وكبر النفس، وعِظَمِ النعمة، فكتبتُ إليه أتطايَبُ معه[٦] لِيدعُوَني، فآخذَ منه ما أُنفِقُه، وأقطعُ به وقتًا[٧]: [من المجتث]

---

(١) قوله: (وهو أبو الحسن... برمك). ليست في (ض، ل).

(٢) **البواري**: جمع (بُورِيّ)، وهو حصيرٌ منسوجٌ من القصب. ويقال أيضًا: (البَارِيَّة، والبُورِيَّةُ، والبُورِيَاءُ، والبارِيُّ، والبَارِياءُ). ينظر: «تاج العروس» (ب و ر).

(٣) (بلا وتر) في (ظ): (مُقطَّع الأوتار).

(٤) (يمكنه الحركة) في (ض): (يتمكن من التصرف).

(٥) **المِحَفَّة**: مركبٌ من مراكب النساء كالهودج، إلا أنَّها لا تُقبَّبُ كما تُقبَّب الهوادج، ثمَّ أُطلِقَ على المَركِب يُحمَلُ عليه ذو الشأن من ملكٍ وغيره إذا مَرِض. ينظر: «المخصَّص» (ح ف ف)، و«مختار الصحاح» (ح ف ف).

(٦) **طايبَه وتطايبَ معه**: مازحه. ينظر: «الصحاح» (ط ي ب).

(٧) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٤/ ١٩٦)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ١٠٥).

مـــاذا تــرى فــي جُــدَيٍّ وبُـــرْمَـــةٍ ومَـــوائِــدْ[1]
ومُـــســمِـــعٍ يَــتــغَــنَّــى[2] مِـن نَـسلِ يحيى بـنِ خَـالِـدْ[3]
إنَّ الـــمُـــضِـــيـــعَ لـهـذا نَـــزْرُ الـــمـــرُوءَةِ بَـــارِدْ

فما شعرتُ إلَّا بمِحَفَّة مَحْبَرَةَ يحملها غِلمانُه إلى داري، وأنا جالسٌ على بابي، فقلتُ له: لِمَ جِئتَ، ومَن دعاك؟

قال: أنتَ -عافاكَ الله- وهذه رُقعَتُك.

فقلتُ: إنَّما قلت لك ماذا ترى؟ وعنيتُ في بيتِكَ، وما قلتُ لك[4]: إنَّه في بيتي، وبيتي والله أفرَغُ من فؤاد أمِّ موسى[5].

فقال: الآنَ جئتُ ولا أَرجِعُ، ولكن أَدخلُ إليكَ وأستدعي مِن داري ما أُريد[6].

قلتُ: ذاك إليك.

(١) **والبُرْمَةُ**: القِدْر. ينظر: «مقاييس اللغة» (ب ر م).
(٢) (يتغنى) في (ض): (ليس يخطئ).
(٣) يعني جده يحيى بن خالد البرمكي. سبقت ترجمته (١/ ٣٢٧).
(٤) (ماذا ترى وعنيت في بيتك وما قلت لك) في (ض): (له).
(٥) وهو مثلٌ يُضرَبُ في المبالغة والتناهي، استخدمه المتكلم ليظهر فراغ بيته من كل مقومات العيش. ينظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٨٨).
(٦) (أريد) في (ظ): (آكل).

فدخلَ فلم يرَ في بيتي إلَّا بارِيَّةً[١]. فقال: يا أبا الحسن، هذا -والله- فقرٌ مُفضِح[٢]، هذا والله ضُرٌّ مُدقِع، ما هذا؟

فقلت: هو ما ترى.

فأنفذَ إلى داره فاستدعى فَرْشًا وآلةً وقُماشًا[٣]، وجاء غِلمانُه وفَرَّاشُوه ففرشوا ذاك، وجاؤوا بالآلات من الصُّفْر[٤] والشَّمْع وغير ذلك ممَّا يُحتاج إليه، وجاء طبَّاخُه بما كان في مطبخه وهو شيءٌ كثيرٌ بآلاتِ ذلك، وجاءَ شرَابِيَّتُه[٥] بالصَّواني[٦] والمخروطِ والفاكهةِ وآلةِ التبخيرِ والبخورِ، وجلسَ يومَه ذاك وليلتَه عندي[٧].

فلما كان من الغَدِ سلَّم إليَّ غلامُه كيسًا فيه ألفا دِرْهمٍ، ورزمةَ ثيابٍ صِحاحًا ومقطوعةً[٨] من فاخر الثياب، فاستدعى مِحَفَّته فجلسَ فيها، وشيَّعْتُه، فلما بلغ

(١) **البَارِيَّة**: حصيرٌ منسوجٌ من القصب. ويقال: (البُورِيُّ، والبُورِيَّةُ، والبُورِيَاءُ، والبارِيُّ، والبَارِياءُ). ينظر: «تاج العروس» (ب و ر).

(٢) (مفضح) في (ظ): (قبيح).

(٣) **قُماشُ البيت**: متاعُه. ينظر: «لسان العرب» (ق م ش: ٦/ ٣٣٨).

(٤) **آلاتُ الصُّفْر**: أواني النحاس. ينظر: «مقاييس اللغة» (ص ف ر).

(٥) **الشَّرَابِيَّة**: الخدم يجيئون بالأقداح فيناولونها الجلساءَ، فيشربونها ويَردُّونها عليهم. وليست من الفصيح. ينظر: «الأوراق» للصولي (٢/ ٥٦).

(٦) **الصَّواني**: الأواني المنسوبة إلى الصين، الواحدة صينيَّة. ينظر: «مختار الصحاح» (ص و ن)، و«تاج العروس» (ص و ن: ٣٥/ ٣١٩).

(٧) (ذاك وليلته عندي) ليست في (ظ).

(٨) (ومقطوعة) في (ر): (ومفصلة).

آخرَ الصحن قال: مكانَكَ يا أبا الحسن، احفظ بابَكَ وكلَّ ما في دارك لك، فلا تَدعْ أحدًا يحملُ منه شيئًا.

وقال للغلمان: اخرُجوا بين يَديَّ، فخرجوا وخرج، وأغلقتُ البابَ على قُماشٍ يُساوي ألوفًا كثيرة(١).

ووجدتُ في بعض كُتبي السماعَ من أبي الفرج الأصبهاني هذا الخبرَ على خلاف هذا، قال: حدَّثني جحظةُ قال: كتبَ إليَّ الغطريفُ الكاتب:

مــاذا تــرى فــي جُــدَيٍّ ... وبُــرْمَــةٍ وبَــوارِدْ

ومُــسْــمِــعٍ يَــتــغَــنَّــى ... مِــن آلِ يَــحْــيَــى بــنِ خَــالِــدْ

إنَّ الــمُــضِــيــعَ لِــهــذَا ... نَــزْرُ الــمــرُوءَةِ بَــارِدْ

وذكر خبرًا آخرَ لا يتعلَّق بهذا الباب ذِكْرُه، فلم أَذكره(٢).

(١) (يساوي ألوفًا كثيرة) في (ض، ر): (بألوف كثرة).

(٢) (ووجدت في بعض... فلم أذكره) ليس في (ظ، ر).

[٧: ١٢] [تاجر الكرخ يجدُ هِمْيانًا يكون فرَجًا لهَمِّه ويَردُّه لصاحبِه]

وحدَّثني عبدُ الله[١] بن محمَّدٍ العَبْقَسِيُّ[٢]، **قال**: حدَّثني بعضُ تُجَّار الكرخ ببغدادَ، عن صديقٍ له[٣] **قال**: كنت أعاملُ رجلًا من الخراسانيِّين، أبيعُ له في كلِّ موسمٍ متاعًا يَقدَمُ به، فأنتفعُ من سَمْسرتِه[٤] بألوفِ دراهمَ.

فلما كان سنةٌ من السنين تأخَّر عن الورودِ مع الحُجَّاج[٥]، فأثَّر ذلك في حالي، ثمَّ توالَتْ عليَّ مِحَنٌ فأغلقتُ دُكَّاني، وجَلستُ في بيتي مستترًا من دَينٍ نكبَني، ثلاثًا أو[٦] أربعَ سنين. [ظ/١٤٢]

---

(١) في «نشوار المحاضرة» (١/ ١٥٦): (عبيد الله).

(٢) هو أبو القاسم عبد الله (أو عبيد الله) بن محمَّد بن الحسن (أو الحسين) بن الخفَّاف العَبْقسي الصَّرَوي الشاعر. لم نجد من ترجم له، وقد روى عنه التنوخي عدة أخبار وأشعار، **والعَبْقَسي** نسبةً إلى عَبْدِ القَيس. **والصَّرَوِيُّ**: نسبة إلى الصروات؛ وهي قرى من سواد الحِلَّة المزيديَّة. ينظر: «الفرج بعد الشدة» (٤/ ٦٠، ٢٠٠، ٢٩٧، ٣١٠)، و«نشوار المحاضرة» (١/ ١٥٦) (٢/ ٣٠٣)، و«الأنساب» للسمعاني (ص: ١٧٥)، و«معجم البلدان» (٣/ ٤٠٢)، و«لب اللباب في تحرير الأنساب» (ص: ١٦١).

(٣) (عن صديق له) ليست في (ظ).

(٤) **السِّمْسَار**: من يدخلُ بين البائع والمشتري متوسِّطًا لإمضاء البيع. ينظر: «لسان العرب» (سمسر).

(٥) (عن الورود مع الحجاج) في (ظ): (عني).

(٦) (نكبني ثلاثًا أو) في (ظ): (لحقني).

فلمَّا كان وقتُ ورود الحاجِّ[1]، تتبَّعتْ نفسي خبرَ ورود[2] الخراسانيِّ، طمعًا في إصلاح أمري، فمضيتُ إلى سوق يحيى، فلم أُعطَ له خبرًا، ورجعتُ، فنزلتُ إلى الجزيرة وأنا تَعِبٌ مهموم[3]. [ض/١٠٤]

وكان يومًا حارًّا، فنزلتُ في دجلةَ، فسبحتُ، وصعدتُ وأنا رَطْبٌ، فابتلَّ موضعُ قدمي، فخطوتُ فعَلِقَتْ برجلي قطعةُ رملٍ، فانكشف لي سَيْرٌ[4]. فلبستُ ثيابي، وغسلتُ رِجلي، وجلستُ مفكِّرًا أولَعُ بالسَّيرِ، فانجرَّ لي، فما زلتُ[5] أَجرُّه حتَّى ظهر لي هميانٌ موصولٌ به، فأخرجتُه[6]، فإذا هو مملوءٌ دنانيرَ، فأخفيتُه تحت ثيابي، وجئتُ إلى[7] منزلي، ففتحتُه، فإذا فيه ألفُ دينارٍ عينًا.

[ر/٦٤] فقويَتْ نفسي به قوَّةً شديدةً، وقلتُ: اللهمَّ إنَّ لك عليَّ[8] متى صلحت حالي بهذه الدنانير وعادت، أن أُعرِّفَ هذا الهميانَ، فمَنْ عَلِمتُ أنَّه له، رَددتُ عليه قيمةَ هذه الدنانير.

قال[9]: واحتفظتُ بالهميانِ، وأصلحتُ أمري مع غُرمائي، وفتحتُ دكَّاني،

---

(١) (وقت ورود الحاج) في (ظ): (في وقت الحاج)، وفي (ر): (وقت ورود الحجاج).

(٢) (ورود) ليست في (ظ)، و(خبر ورود) في (ر): (لتعرف خبر).

(٣) في (ظ، ر): (مغموم).

(٤) **السَّيرُ**: ما يُقَدُّ من الجلد، ج: سُيُور. ينظر: «الصحاح» (س ي ر).

(٥) (فانجر لي فما زلت) في (ظ): (فلم أزل)، وفي (ر): (فانجر فلم أزل).

(٦) (موصول به فأخرجته) في (ر): (من جلود فأخرجته).

(٧) (وجئت إلى) في (ظ): (ووافيت).

(٨) (وقلت: اللهم إن لك علي) في (ظ): (وعاهدت الله عَزَّوَجَلَّ أنه).

(٩) (علمت أنه له رددت عليه قيمة هذه الدنانير قال) في (ظ): (أعطاني صفته، رددته عليه)، وفي (ر): (علمت أنه له رددته عليه أو قيمت هذا الدنانير).

وعُدْتُ إلى سَمْسرتي وتجارتي[١]، فما مضَتْ إلَّا ثلاثُ سِنينَ، حتَّى صارَ في مِلكي عَينٌ ووَرِقٌ بألوفٍ[٢] دنانيرَ.

وجاءَ الحاجُّ[٣] فتتبَّعتُهم لأُعرِّفَ بالهميانِ، فلم أجد مَن يُعطيني خبرَهُ[٤]، فعُدتُ إلى دُكَّاني.

فبينما أنا جالسٌ إذا برجلٍ قائمٍ حيالَ دُكَّاني، أشعثَ، أغبرَ، وافرِ[٥] السِّبال، في خِلْقة سُؤَّالِ الخراسانيَّةِ وزِيِّهم، فظَنَنتُه سائلًا، فأومأتُ إلى دُرَيهماتٍ لأُعطيَه، فأسرعَ الانصرافَ، فارتَبْتُ منه، فقُمْتُ ولَحِقتُه وتأمَّلتُه، فإذا هو صاحبي الذي كنتُ أنتفعُ مِن سَمْسرةِ مَتاعِه[٦] كلَّ سَنةٍ بأُلوفٍ.

فقلتُ له: يا هذا، ما الذي أصابكَ؟ وبكيتُ رحمةً له.

فقال[٧]: حديثي طويلٌ.

فقلتُ: البيتَ البيتَ، وحملتُه إلى منزلي، وأدخلتُه الحمَّامَ، وألبستُه ثيابًا نظافًا، وأطعمتُه، وسألتُه عن حاله وخبرِه[٨]. فقال: أنت تعرف حالي ونعمتي،

---

(١) (سمسرتي وتجارتي) في (ظ): (رسمي من التجارة والسمسرة)، وفي (ر): (رسمي في التجارة والسمسرة).

(٢) (وورق بألوف) في (ض، ظ): (ودين ألوف).

(٣) في (ظ): (الحج)، وفي (ر): (الحجاج).

(٤) (خبره) في (ظ): (صفته).

(٥) (أشعث، أغبر، وافر) في (ظ): (أشعث، أغبر، وافي)، وفي (ر): (أغبر، وافي).

(٦) (سمسرة متاعه) في (ض): (شمسرته ومتاعه)، وفي (ظ): (بسمسرته).

(٧) (فقال) في (ظ، ر): (فبكى وقال).

(٨) (وسألته عن حاله وخبره) في (ظ): (وسألته عن خبره)، وفي (ر): (ثم سألته عن خبره).

وإني أردتُ الخروجَ إلى الحجِّ بعد[1] آخرِ سنةٍ جئتُ إلى بغدادَ، فقال لي أميرُ بلدي، عندي قطعةُ ياقوتٍ أحمرَ كالكَفِّ، لا قيمةَ لها عِظَمًا وجلالةً، ولا تصلحُ إلَّا للخليفة[2]، فخذها معك، فبِعها لي ببغدادَ، واشترِ لي مِن ثمنها متاعًا -طَلَبَهُ- من عطرٍ وطُرَفٍ بكذا وكذا، واحملِ الباقي مالًا.

فأخذتُ القطعةَ، وهي كما قال، فجَعلتُها في هميانِ جلودٍ، صفتُه كذا وكذا -ووصفَ صِفةَ الهِمْيانِ الذي وجدتُه- وجعلتُ في الهميانِ ألفَ دينارٍ عينًا[3] من مالي، وحملتُه في وسطي.

فلما جئتُ إلى بغدادَ نزلتُ أَسْبَحُ عَشِيًّا في الجزيرة التي بسوق يحيى، فتركتُ الهميانَ وثيابي حيثُ ألاحظها.

فلما صعدتُ من دجلةَ، لبستُ ثيابي، وقد غربت الشمس، وأُنسيتُ الهميانَ، فلم أذكره إلَّا مِن غدٍ[4]، فعُدْتُ أطلبُهُ، فكأنَّ الأرضَ ابتلعَتْه.

فهوَّنتُ على نفسي المصيبةَ، وقلتُ: لعلَّ قيمةَ الحجرِ ثلاثةُ[5] آلافِ دينارٍ، أغرَمُها له.

فخرجتُ إلى الحجِّ، فلمَّا قضيتُ حَجِّي، ورجعتُ إليك، وحاسبتُكَ[6] على ثمنِ متاعي، اشتريتُ للأميرِ ما أرادَ من الحوائجِ، ورجعتُ إلى بلدي،

---

(١) في (ض): (عند)، وفي (ظ): (في).

(٢) في (ظ): (لخليفة).

(٣) (عينًا) ليست في (ظ).

(٤) (إلا من غد) في (ظ): (إلى أن أصبحت).

(٥) في (ر): (خمسة).

(٦) (قضيت حجي ورجعت إليك، وحاسبتك) في (ظ): (رجعت حاسبتك).

فأنفذتُ إليه ما حَملتُه من الحوائجِ، وأخبرتُه خبري، وقلتُ[1]: خذ منِّي تمام ثلاثة[2] آلاف دينارٍ عوضًا عن الحجَرِ[3].

فطَمِعَ فيَّ وقال: قيمةُ الحجرِ خمسونَ ألفَ دينارٍ. وقبضَ عليَّ، وأخذَ جميعَ ما أملكُه من مالٍ وضياعٍ، وأنزل بي من صنوف المكارِهِ، حتَّى أشهدَ عليَّ في جميع عقاري وضياعي[4]، وحبسَني سبعَ سنين، كنتُ أُرَدَّدُ فيها على العذاب.

فلمَّا كان في هذه السنة، سأله الناس في أمري، فأطلقني.

فلم يمكنني المقام في بلدي، وتَحمُّلِ شماتة أعدائي، فخرجت على وجهي أعالج الفقر، بحيث لا أعرف، وجئت مع الحج الخراساني[5]، أمشي أكثر الطريق، ولا أدري ما أعملُ، فجئتُ إليكَ لأشاوِركَ في مَعاشٍ أتعلَّقُ به.

قال: فقلت له: يا هذا[6]، قد ردَّ الله عليكَ بعضَ[7] ضالَّتِكَ، هذا الهميانُ الذي وصفْتَ عندي، وقد كان فيه ألفُ دينارٍ أخذتُها[8]، وعاهدتُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّني ضامِنُها لمن يُعطيني صفةَ الهِمْيانِ، وقد أعطيتَني صِفتَه، وعلمتُ أنَّه لك. [ظ/١٤٣]

(١) قوله: (إليه ما حملته... وقلت) في (ظ): (إلى الأمير ما اشتريته، وأتيته، فأخبرته بخبري، وقلت له).
(٢) في (ر): (خمسة).
(٣) في (ظ) زيادة: (عوضًا عن الحجر).
(٤) (عقاري وضياعي) في (ظ): (أملاكي).
(٥) (الحج الخراساني) في (ض): (الخراسانية).
(٦) (قال: فقلت له يا هذا) في (ظ): (فقلت)، وفي (ر): (فقلت: يا هذا).
(٧) (بعض) ليست في (ض، ر).
(٨) في (ظ): (وأخذتها).

وقمتُ فجئتُ بكيسٍ فيه ألفُ دينارٍ[1]، فقلتُ: خذ ألفَ دينارٍ، وتَعيَّشْ بها ببغدادَ، فإنَّكَ لا تَعدِمُ خيرًا إن شاء الله تعالى.

فقال: يا سيدي الهميانُ بعينه عندَك؟ لم يخرج عن يدك؟

قلتُ: نعم.

فشهقَ شهقةً، ظننتُه قد ماتَ معها، وخرَّ ساجدًا[2]، فما أفاقَ إلَّا بعدَ ساعة. وقال: إيتني بالهميانِ. فجئته به.

فقال: ايتني بسِكِّينٍ. فجئته بسكينٍ، فخرق أسفلَ الهميان، فأخرجَ منه حجرَ ياقوتٍ أحمرَ كالكَفِّ، فأشرقَ البيتُ منه، وكادَ يأخذُ بصري شعاعُه، وأقبلَ يشكرُني، ويدعو لي.

فقلتُ: خذ دنانيرَك.

فحلفَ بِكُلِّ يمينٍ أنَّه لا يأخذُ منها إلَّا ثمنَ ناقةٍ ومحملٍ ونفقةٍ تُبلِّغُه بلدَه، فاجتهدتُ به[3]، فبعد كلِّ جهدٍ أخذَ ثلاث مئة دينارٍ، وأَحلَّني من الباقي، وأقامَ في منزلي[4]، إلى أن عاد الحاجُّ[5]، فخرجَ معهم.

---

(١) (ألف دينار) في (ض): (دنانير).

(٢) (وخرَّ ساجدًا) في (ظ): (وغشي عليه).

(٣) (بلده فاجتهد به) ليست في (ظ).

(٤) (في منزلي) في (ظ): (عندي).

(٥) في (ر): (الحجاج).

فلما كان من[1] العام المقبل، جاءني بقريبٍ ممَّا كان يجيئُني[2] به سالفًا من المتاع.

فقلت: خَبِّرني بخبرك.

فقال: مضيتُ، فشرحتُ[3] لأهل البلد خبري، وأريتُهم الحجرَ، فجاء معي وُجوهُهم إلى الأمير، وأعلَمُوه القِصَّةَ، وخاطبُوه في إنصافي.

فأخذَ الحجرَ، وردَّ عليَّ جميعَ ما كان أخذَهُ مِنِّي، من مالٍ ومتاعٍ وعقارٍ وغير ذلك، ثمَّ وهب لي مالًا من عنده.

وقال: اجعلني في حِلٍّ ممَّا عذبتُكَ وآذيتُكَ. فأحللتُه.

وعادت نعمتي إلى ما كانت عليه، وعُدت إلى تجارتي ومعاشي، وكلُّ هذا بفضل الله عَزَّوَجَلَّ، فعل الله بكَ وصنع.

قال[4]: وكان يَجيئُني بعدَ ذلك، في كلِّ سنةٍ إلى أن[5] مات[6].

---

(١) (من) ليست في (ظ)، وفي (ر): (في).

(٢) (يجيء) في (ظ، ر): (يجيئني به سالفًا).

(٣) في (ر): (وشرحت).

(٤) (فقعل الله بك وصنع قال) في (ظ): (ودعا لي).

(٥) (في كل سنة إلى أن) في (ظ): (حتى).

(٦) ينظر: «نشوار المحاضرة» (١/ ١٥٦).

[٧: ١٣] [أضاعَ هِميانَهُ في طريق الحجِّ ووجدَهُ بعد ما افتقرَ]

حدَّثني عبدُ الله بن محمَّدِ بن الحسنِ[١] العبقسيُّ[٢]: قال حدَّثني أبي: أنَّ رجلًا حجَّ[٣]، وفي وسطه هميانٌ فيه دنانيرُ وجواهرُ، قيمةُ الجميعِ ثلاثةُ آلاف دينارٍ، وكان الهِميانُ من ديباجٍ أسودَ، فلمَّا صارَ في بعضِ الطريق، جلسَ يَبولُ، فانحلَّ الهميانُ من وسطه وسقطَ، ولم يعلم بذلك إلَّا بعدَ أن سارَ عن الموضع فراسِخَ. [ض/١٠٥]

واتَّفقَ أن جاءَ في أثره رجلٌ، فجلسَ يبولُ مكانَه، فرأى الهميانَ فأخذَه، وكان له دِيْنٌ فحَفِظَه.

قال: وكان الرجلُ من أهل بلدنا، فأخبرني أنَّه قال: لم يُؤثِّر في قلبي ذَهابُه؛ لأنِّي استخلفتُه عندَ الله عَزَّوَجَلَّ[٤] -وكان في طريقٍ لله عَزَّوَجَلَّ فيه رضًا وثوابٌ- وكانت معي تجارةٌ عظيمةٌ وأموالٌ كثيرةٌ.

قال: فقضيتُ حَجِّي، وعُدتُ إلى بلدي، فتتابعَتِ المحَنُ عليَّ حتَّى بَقِيتُ لا أملكُ شيئًا[٥]، فهربتُ على وجهي من بلدي.

---

(١) في (ظ، ر): (الحسين).

(٢) (العبقسي) في (ر): (الصروي). وقد سبقت ترجمته (٣/ ٤٦).

(٣) (حجَّ) في (ض): (سافر).

(٤) (لأني استخلفته عند الله عَزَّوَجَلَّ) في (ظ): (لكثرة مالي، فاحتسبته عند الله تعالى، وتغافلت).

(٥) قوله: (فتتابعت.... شيئًا) في (ظ): (فلما كان بعد سنين، افتقرت لمحن توالت علي، حتى لم يبق لي شيء).

فلمَّا كان بعدَ سنينَ من فقري، وقد أفضيتُ إلى الصدقة عليَّ، وزوجتي معي، وقد أويتُ إلى بعض القرى، فنزلتُ في خانٍ خرابٍ، فأصابَ[1] زوجتي الطَّلْقُ، وَما أملك غيرَ دانِقٍ ونصفٍ فضَّةً، وكانت لَيلَةً مطيرة، فَوَلَدَتْ.

فقالت لي: يا هذا، الساعةَ تخرجُ روحي، فاخرج، فخذ لي شيئًا تقوَى به نفسي.

فخرجتُ أتخبَّطُ في الظُّلمة والمطر، حتَّى جِئتُ إلى بقَّالٍ، فدَققتُ[2] عليه، فكلَّمني بعد جُهدٍ، فشرحتُ له حالي، فرَحِمَني، ودفع إليَّ بتلك القِطَعِ التي كانت معي حُلْبةً[3] وزيتًا وغلاهما، وأعارني غَضَارةً[4] جعلتُ فيها ذلك، وجئتُ أريدُ الموضعَ، فلما قربتُ من الخان[5] زلقتُ، فانكسرَتِ الغَضَارةُ وذهبَ ما فيها.

فوردَ على قلبي أمرٌ عظيمٌ، ما وردَ عليَّ مِثلُه قَطُّ، فأقبلْتُ ألطمُ وجهي وأصيحُ وأبكي، فإذا برجلٍ قد أخرجَ رأسَهُ من شُبَّاكِ داره، وقال: ويلكَ! ما لك تبكي؟ ما تَدعُنا ننام.

فشرحتُ له قِصَّتي. فقال: هذا البكاء كلُّه بسبب دانقٍ ونصف؟

---

(١) في (ض): (فضرب).

(٢) في (ظ): (فوقفت).

(٣) **الحُلْبَة**: حبٌّ أصفر معروفٌ، يتعالج به. ينظر: «تاج العروس» (ح ل ب).

(٤) **الغَضَارَة**: الطين الحُرُّ نفسه، ومنه يُتَّخذُ الخزفُ الذي يُسمَّى: الغَضار. واستعملها هنا بمعنى وعاء الخَزف. ينظر: «تهذيب اللغة» (خ ض ر).

(٥) (وجئت أريد الموضع فلما قربت من الخان) في (ظ): (فمشيت أريد موضعي).

قال: فداخلني من الغمِّ من قوله أعظمُ من الغمِّ الأوَّل، فقلت: يا هذا، والله ما عندي قَدرٌ[1] لما ذهب منِّي، ولكنَّ بكائي رحمةٌ لنفسي ممَّا قد دُفِعْتُ إليه، فإنَّ زوجتي وولدي الساعة يموتان جوعًا، وواللهِ، وإلَّا فَعَليَّ وعَليَّ.. وحلفتُ له أيمانًا مُغلَّظةً: لقد حَججتُ في سنة كذا وكذا، وأنا أملكُ من المال شيئًا كثيرًا، فذهبَ منِّي هميانٌ فيه دنانيرُ وجوهرٌ وياقوتٌ يساوي ثلاثةَ آلاف دينارٍ فما فكَّرتُ [ظ/١٤٤] فيه، وهو ذا تراني الآنَ أبكي بسبب دانقٍ ونصفٍ فِضَّةً، فاسألِ الله تعالى العافيةَ والسلامةَ، ولا تُعيِّرني، فتُبتلى بمثل بلواي.

قال: فقال له: يا رجل، بالله ما كانت صفةُ هِميانك؟

فأقبلتُ ألطمُ وجهي غيظًا منه، وقلتُ: ما يُقنِعُكَ[2] ما خاطبتَني به، وما تراهُ من ضرِّي[3] وقيامي في الطين والمطر والظُّلمة حتَّى تستهزِئَ[4] بي أيضًا! وأيُّ شيءٍ ينفعُني أو ينفعُكَ صفةُ هِمياني وقد ضاعَ منذ كذا وكذا سنةً؟

قال: ومشيتُ، فإذا الرجلُ قد خرجَ يصيحُ بي: تعالَ يا رجلُ، خذ هذا.

فقدَّرتُه يتصدَّقُ عليَّ، فجئتُ، فقلتُ: أَيشٍ تريدُ؟

قال: صف لي صفةَ هِميانِكَ؟ وقبضَ عليَّ، ولم يتركني أمشي، فوَصفتُه له[5].

---

(١) (قدر) في (ظ، ر): (محل).

(٢) **أقنَعَهُ الشيءُ**: أرضاه. ينظر: «مختار الصحاح» (ق ن ع).

(٣) في (ر): (جهدي).

(٤) في (ض): (تتلاهى)، وفي (ظ): (تلهى).

(٥) (علي ولم يتركني أمشي فوصفته له) في (ظ): (على يدي، فلم أقدر أتخلص منه، فوصفت له همياني).

فقال لي: ادخُلْ. فدَخلْتُ.

فقال لي: أينَ امرأتُكَ؟

فقلت: في الخانِ الفلانيِّ.

فأنفذ غِلمانَهُ، فجاؤوا بها، فأُدخِلَتْ إلى حُرَمِه، فأصلحوا مِن شأنها كلَّ ما تحتاجُ إليه، وأطعموها، وجاءني بجُبَّةِ بُردٍ وقميصٍ وسراويلَ وعمامةٍ، وأدخلني الحمَّامَ سَحَرًا، وطرح ذلك عليَّ، فأصبحتُ في عِيشَةٍ طيِّبةٍ[١].

فقال لي: أَقِمْ عندي أيَّامًا لأُضيفَك، فأقمتُ عنده عشرةَ أيَّامٍ، فكان يُعطيني في كلِّ يومٍ عشرينَ دينارًا[٢]، وأنا مُتحيِّرٌ من عظيم بِرِّهِ بعد شِدَّةِ جفائِه.

فلمَّا كان بعدَ ذلك قال: في أيِّ شيءٍ كنتَ تتصرَّف؟

قلت: كنت تاجرًا.

قال: فلي غَلَّاتٌ[٣]، وأنا أعطيكَ رأسَ مالٍ تتَّجِرُ به في شَرِكَتي.

فقلت: أفعل.

[ر/٦٥] فدفع إليَّ مئتي دينارٍ، وقال لي: اتَّجِرْ بها هاهنا.

فقلتُ: هذا مَعاشٌ، قد أغناني الله جلَّ وعزَّ به، يجبُ أن ألزمَهُ[٤]، فلَزِمتُه.

---

(١) في (ر): (راضية).

(٢) (عشرين دينارًا) في (ض): (عشرين درهمًا وعشرة دنانير)، وفي (ر): (عشرة دنانير).

(٣) (قال: فلي غلات) في (ظ): فقال: (أقم عندي).

(٤) (يجب أن ألزمه) في (ر): (بحيث أن لزمه).

فلما كان بعدَ شهورٍ رَبِحنا، فجئتُه، فأخذتُ حَقِّي، وأعطيتُه حقَّه[١]، وعَلِمَ حالي، فقال لي: اجلس. فجلستُ.

فأخرج لي همياني بعينه، وقال لي: أتعرفُ هذا؟ فحينَ رأيتُه، شهقتُ وأُغميَ عليَّ. وما أفقتُ إلَّا بعدَ ساعة.

فلمَّا أفقتُ قلت[٢]: يا هذا، أملَكٌ أنتَ، أم نبيٌّ؟

قال: لا، ولكني ممتحَنٌ بحفظ هميانك منذ كذا وكذا سنةً، ولمَّا سمعتُكَ تلكَ الليلةَ تقولُ ما قُلتَه، وطالبتُكَ بالعلامة، فأعطيتَنيها، أردتُ أن أعطيكَ للوقتِ هِميانَكَ، فخشيتُ أن تنشقَّ مرارتُكَ من الفرح، فأعطيتك تلك الدنانيرَ التي أوهمتُكَ أنَّها هِبةٌ، وإنَّما أعطيتُكَها من مالِكَ[٣]، فالدنانيرُ المئتانِ قَرضٌ مِن هميانِكَ، فخذ هميانَكَ واجعلني في حِلٍّ.

قال: فشكرتُه، ودعوتُ له، وأخذتُ الهِميانَ، وارتجعَ دنانيرَهُ، ورجعتُ إلى بلدي فبِعتُ الجوهرَ والياقوتَ وضَممتُ ثمنَهُ إلى المال، واتَّجرتُ، فما مضَتْ إلَّا سُنيَّاتٌ حتى صِرتُ صاحبَ عشرةِ آلاف دينارٍ، وصلحَتْ حالي، وأنا أعيشُ مِن فضلِ الله تعالى، ثم فضلِ تلك الدنانيرِ إلى الآن.

---

(١) (فأخذت حقي وأعطيته حقه) في (ظ): (فقلت له: خذ ربحك).

(٢) (فلما أفقت قلت) في (ظ): فقلت له، وفي (ر): (ثم قلت).

(٣) في (ظ، ر): (همیانك).

[٧: ١٤] [عليُّ بنُ عيسى يشتهي الماءَ المثلَّجَ في حَرِّ مكَّةَ فيُسْقاهُ]

حدَّثني القاضي أبو بكرٍ محمَّد بن عبد الرحمن بن قريعةَ، وأبو محمَّدٍ عبدُ الله بن أحمدَ بن داسَه البصريُّ، قالا[١]: حدَّثنا أبو[٢] سهلِ بن زيادٍ القطَّانُ[٣]، صاحب عليِّ بن عيسى - **قال القاضي أبو عليٍّ**: وقد رأيتُ أنا هذا الرجلَ قديمًا عند أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبصرةِ وأنا صبيٌّ، وهو يتوكَّلُ لعليِّ بن عيسى في ضيعته بالهَنِيَّةِ والمَرِيَّةِ من أعمال البصرة، ورأيتهُ ببغدادَ في سنة تسعٍ وأربعين وثلاثِ مئةٍ، وهو مُحدِّثٌ نبيلٌ، وكتبتُ عنه كثيرًا، وما سَمِعتُه يحكي هذه الحكاية[٤] - **قال**:

كنتُ مع عليِّ بن عيسى لما نُفِيَ إلى مكَّةَ، فدخلنا في حرٍّ شديدٍ، وقد كِدنا نتلَفُ، فطافَ[٥] عليُّ بن عيسى وسعى، وجاءَ وألقى نفسَهُ كالميِّت من الحَرِّ والتعبِ، وقَلِقَ قلقًا شديدًا. وقال: أشتهي على الله تعالى جلَّ ذِكرُه شربةَ ماءٍ مثلوجٍ[٦].

---

(١) (حدثني القاضي... البصري قالا) ليس في (ظ، ر).

(٢) (حدثنا أبو) في (ر): (وحدثت عن أبي).

(٣) هو أحمد بن محمَّد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطان، كان ثقة، (ت: ٣٥٠هـ). ينظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢٣٨).

(٤) قوله: (قال القاضي أبو علي... الحكاية) من (ض)، وليس في باقي النسخ.

(٥) (نتلف فطاف) في (ر): (أن نتلف وطاف).

(٦) في (ظ): (بثلج).

فقلتُ له: يا سيدي - أَيَّدكَ الله - تعلمُ أنَّ هذا ما لا يُوجَدُ بهذا البلد[١].

فقالَ: هو كما قلتَ، ولكنَّ نفسي ضاقت عن سترِ هذا القولِ[٢]، فاستروحَتْ إلى المُنَى[٣]. [ص/١٠٦]

وخرجتُ من عنده، فرجعتُ إلى المسجد الحرام، فما استقرَرْتُ فيه حتَّى نشأَتْ سحابةٌ وكثفَتْ[٤]، ثمَّ برقَتْ وأرعدَتْ رعدًا متَّصلًا شديدًا، ثم جاءت بمطرٍ يسيرٍ، وبرَدٍ كثير.

فبادرتُ إلى الغِلمانِ، فقلت: اجمعوا. قال: فجمعنا منه شيئًا كثيرًا، ومَلأنا منه جِرارًا كثيرةً، وجمعَ منه أهلُ مكَّةَ شيئًا عظيمًا.

قال[٥]: وكان عليُّ بن عيسى صائمًا[٦]، فلما كان وقتُ المغربِ خرجَ إلى المسجد الحرام لِيُصلِّيَ المغربَ[٧]، فقلت له: أنتَ واللهِ مُقبِلٌ، والنكبةُ زائلةٌ عنكَ، وهذه علاماتُ الإقبالِ، فاشربِ الثلجَ كما طلبْتَ.

قال: وجِئتُه في[٨] المسجدِ بأقداحٍ مملوءةٍ من أصناف الأشربة والأسوقة[٩] مكبوسةً بالبَرَدِ، فأقبل يسقي ذلكَ مَن يَقرُب منه من الصوفيَّةِ والمجاورين

(١) (البلد) في (ظ، ر): (المكان).
(٢) (القول) ليست في (ظ).
(٣) في (ظ) زيادة: (قال).
(٤) (وكثفت) في (ض): (وكسفت)، وليست في (ظ).
(٥) (وملأنا منه... قال) ليس في (ظ).
(٦) (صائمًا) في (ظ): (نائمًا).
(٧) (المسجد الحرام ليصلي المغرب) في (ظ): (الصلاة)، وفي (ر): (المسجد ليصلي المغرب).
(٨) (في) في (ر): (إلى).
(٩) **الأَسْوِقَة**: جمع سويق، وهو: طعام يُصنَعُ من دقيق الحنطة أو الشَّعير، سُمِّي بذلك لانسياقه =

في المسجد الحرام[1] والضُّعفاء، ويستزيدُ[2]، ونحن نأتيهِ بما عندنا من ذلك، وكُلَّما قلتُ له: اشرب، يقولُ[3]: حتَّى يشربَ الناس.

فخبَّأتُ منه مقدارَ خمسةِ أرطالٍ من البَرَدِ، وقلت له: لم يبقَ شيءٌ.

فقال: الحمدُ لله، ليتني كنتُ تمنَّيتُ المغفرةَ بدلًا من تَمنِّي الثلجِ، فلَعلِّي كنتُ أُجابُ.

فلمَّا دخلَ البيتَ[4] حَلفتُ عليه أن يشربَ منه، وما[5] زِلتُ أداريهِ حتَّى شربَ منه بقليلِ ماءٍ و[6]سَويقٍ، وتَقوَّتَ ليلتَه بباقيه[7].

حدَّثني أبو الربيع سليمانُ بن داودَ، صاحبٌ كان لأبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يخدمُ قديمًا في دار القاضي أبي عمرَ[8]، وكانت له جَدَّةٌ يقالُ لها: شَمْسَةُ قهرمانةٌ لأبي عمرَ، قال: حَججتُ مع أبي الحسين ابن أبي عمرَ[9]..

= في الحلْق. ينظر: «تاج العروس» (س و ق)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» (س و ق).

(١) (في المسجد الحرام) ليست في (ظ).

(٢) في (ر): (ويشربونه).

(٣) (وكلما قلت له: اشرب يقول) في (ض، ر): (وأقول له: اشرب فيقول).

(٤) (دخل البيت) في (ظ): (رجع إلى بيته).

(٥) (منه وما) في (ظ): (فما)، وفي (ر): (وما).

(٦) (ماء و) ليست في (ض، ر).

(٧) (وتقوت ليلته بباقيه) في (ظ): (وتقوت به باقي ليلته)، وفي (ر): (بقية ليلته).
ينظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ١٧٤)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٦٨١).

(٨) هو محمَّد بن يوسفَ بن يعقوب، أبو عمر الأزديُّ، وقد سبقت ترجمته (١/ ٩٠).

(٩) هو عمر بن محمَّد بن يوسف بن يعقوب، أبو الحسين الأزديُّ، وقد سبقت ترجمته (١/ ٩٠).

فذكرَ نحوًا من هذا الحديث، وليس فيه: فسقى الناسَ إلى أن لم يبقَ إلَّا خمسةُ أرطالٍ، ولا قوله: ليتَني كنتُ تمنَّيتُ المغفرةَ[1].

---

(١) (حدثني أبو الربيع... تمنيت المغفرة) ليس في (ظ، ر).

[٧: ١٥] [فتى ورثَ مالًا فأتلفَهُ، ثمَّ آلَ أمرُه إلى صلاحٍ]

حدَّثني عبدُ الله بنُ محمَّد بن الحسنِ العَبْقَسيُّ[١]، قال: حدَّثني أبي قال: كان يجاورني ببغدادَ[٢] فتًى من أولاد الكُتَّاب، وَرِثَ مالًا جليلًا، فأتلفَهُ في القيان، وأكلَهُ إسرافًا وبِدارًا، حتَّى لم يبقَ معهُ شيءٌ، واحتاجَ إلى نَقضِ دارِه، فلم يبقَ فيها إلَّا غير بيت يَكُنُّه.

فحدَّثني بعضُ مَن كان يعاشرُه، وانقطعَ عنه لمَّا افتقرَ، قال: قصدتُه[٣] يومًا بعد انقطاعي عنه بنحوٍ من سنةٍ، لأعرفَ[٤] خبرَهُ، فدخلتُ إليه، فوجدتُه نائمًا في ذلك البيت في يومٍ باردٍ على حصيرٍ خَلَقٍ، وقد توطَّأَ قطنًا كأن[٥] حشوَ فراشٍ، وتغطَّى بقُطنٍ كان في[٦] لحافٍ، فهو بين ذلك القطن كأنَّه السَّفرجَلُ.

فقلت: ويحكَ، بلغتَ إلى هذا الحدِّ!

قال: هو ما ترى.

قلتُ: فهل لكَ حاجة؟

(١) في (ر): (بن الحسين بن الحفا العبقسي). وقد سبقت ترجمته (٣/ ٤٦).

(٢) (ببغداد) ليست في (ر).

(٣) (قصدته) في (ر): (فصرت إليه).

(٤) (لأعرف) في (ض): (لا أعرف).

(٥) في (ظ): (كانه).

(٦) (كان في) في (ر): (كأنه).

قال: أوتقضيها؟

فظننتُه يطلبُ مني شيئًا يُنفِقُه، فقلتُ: إي والله.

قال: أشتهي أن تحملني إلى بيتِ فلانةَ حتَّى أراها؛ يعني التي أتلف ماله عليها، وبكى[1].

فرَققتُ له، ومضيتُ إلى منزلي، فجِئتُه مِن ثيابي بما لَبِسَهُ، وأدخلتُه الحمَّامَ، وأدخلتُه إلى بيتي، وأطعمتُه، وبَخَّرتُه، وأخذتُ بيدِه، وقصدنا دارَ المغنِّيَةِ.

فلمَّا رأتنا لم تَشُكَّ أنَّ حالَهُ قد صلحَتْ، وأنَّه قد جاءها بدراهمَ، فبَشَّتْ في وجهه، وسألَتْه عن حاله، فصدقَها عن حالِه، حتَّى انتهى إلى ذكر الثياب وأنَّها لي.

فقالت له في الحال: قم، قم.

فقال لها: لم؟

قالت: لِئلَّا تجيءَ ستِّي[2] وتراكَ، وليس معكَ شيءٌ، فتَحْرَدَ عليَّ[3] لِمَ أدخلتُكَ، فاخرُجْ بَرًّا[4]، حتَّى أصعدَ وأُكلِّمَكَ مِن فوق.

---

(١) (وبكى) في (ض): (ومات وبلي من حبها فرققت له).

(٢) **ستِّي**: أي سيِّدتي، وهو من لحن العامَّة. ينظر: «التكملة والذيل على درة الغواص» (ص: ٨٧٣).

(٣) (علي) ليست في (ظ). **وتحرد عَليَّ**: تغضب. ينظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٥٥).

(٤) **البَرُّ**: نقيضُ الكِنِّ. قال الليث: والعرب تستعمله في النكرة، تقول العرب: جلستُ برًّا، وخرجت بَرًّا. قال أبو منصور: وهذا من كلامِ المولَّدِين، وما سمعتُه من فُصَحَاءِ العرب البادية. ينظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٣٤)، و«لسان العرب» (ب ر ر: ٤/ ٥٤).

فخرجَ وجلسَ ينتظرُ أن تخاطبَهُ من رَوْزَنةٍ[1] في الدارِ إلى الشارعِ، وهو جالسٌ، فأقلَبَتْ[2] عليه مرقةَ سِكْبَاجٍ[3]، فصيَّرتْهُ آيةً ونكالًا، وضَحِكَتْ.

فبكى، وقال: يا أبا فلانٍ: بلغَ أمري إلى هذا، أُشْهِدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وأُشهِدُكَ أنِّي تائبٌ.

قال: فأخذْتُ أَطنزُ به[4]، وقلتُ: أيَّ شيءٍ تنفعُكَ التوبةُ الآنَ وقد افتقرْتَ[5]؟

ورددتُه إلى بيتِه، ونزعتُ ثيابي عنه، وتركتُه بينَ القطن كما كانَ أوَّلًا[6]، وحَملتُ ثيابي فغسلتُهم، وانقطعتُ عنه، فما عرفتُ له خبرًا نحوَ ثلاثِ سنينَ.

فأنا ذاتَ يومٍ في باب الطاق[7]، فإذا بغلامٍ يَطرقُ لِرَجُلٍ راكبٍ، فرفعتُ رأسي، فإذا به على بِرذَونٍ فارِهٍ بمركبٍ خفيفٍ مَليحٍ فِضَّةٍ وثيابٍ حسَنةٍ، وكان قديمًا أيَّامَ يسارِه يركبُ من الدوابِّ والمراكبِ أفخرَها، وآلتُه وثيابُه وقماشُه أفخرُ شيءٍ كان نزلَ عليه، ووَرِثَهُ مِن والدِه[8].

---

(١) **الرَّوْزَنة:** فتحة أو خَرْقٌ في أعلى سقف البيت، وهي معرَّبة. ينظر: «المخصص» (١/ ٥١٣)، و«لسان العرب» (ر و ز ن).

(٢) (وهو جالس فأقلبت) في (ظ): (فأقلبت)، وفي (ر): (فقلبت). وهما بمعنى. ينظر: «تاج العروس» (ق ل ب).

(٣) **السِكْبَاجُ:** لحمٌ يُطبَخُ بِخَلٍّ. ينظر: «تاج العروس» (سكبج).

(٤) **الطَّنْزُ:** السخرية. ينظر: «لسان العرب» (ط ن ز: ٥/ ٣٦٩).

(٥) (وقد افتقرت) ليست في (ض، ر)، وأثبتناها من (ظ).

(٦) (أولًا) ليست في (ض).

(٧) **باب الطاق:** محلَّة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، تعرف بطاق أسماء، بين الرصافة ونهر المعلّى، منسوب إلى أسماء بنت المنصور، وكان طاقًا عظيمًا في دارها، وعند هذا الطاق كان مجلسُ الشعراء في أيام الرشيد. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٠٨ - ٤/ ٥).

(٨) (وآلته وثيابه وقماشه أفخر شيء كان نزل عليه وورثه من والده) ليست في (ظ)، و(كان نزل=

فحين رآني قال[1]: فلان!

فعلمتُ أنَّ حالَهُ قد صلحَتْ، فقبَّلْتُ فخذَهُ، وقلت: سيِّدي أبو فلان؟

قال: نعم.

قلت: أيُّ شيءٍ هذا؟

قال: صُنْعُ الله تعالى، ولهُ الحمدُ والشُّكر، فاعزم بنا إلى الدارِ[2].

فتَبِعتُه حتَّى انتهى إلى بابِ دارِه، فدخلنا دارَهُ التي كان أَخْرَبَها، وباعَ جميعَ ما كان فيها، وإذا به قد رمَّمها وجصَّصها من غير بَياضٍ، وطبَّقَها[3] مِن غَيرِ بياضٍ[4]، وبنى فيها مَجلِسَينِ متقابلَين وخزائنَ ومُستراحًا، وجعلَ باقي ما كان في الدار من البيوت والمجالسِ صحنًا كبيرًا، وقد صارت طيِّبةً، إلَّا أنَّها ليست بذلك الشرفِ الأوَّلِ.

فأدخلني إلى حُجْرةٍ كان يخلو فيها قديمًا، قد أعادَها أحسنَ ما كانت عليه، وفيها فَرْشٌ حَسَنٌ، ولكن ليس من الحُسْنِ الأوَّلِ، وفي داره ثلاثةُ غِلمانٍ، قد جعلَ كلَّ خدمتين إلى واحدٍ منهم، وخادمٌ شَيخٌ كنتُ أَعرِفُه لأبيه، قد ردَّه وأقامَه

= عليه وورثه من والده) ليست في (ر).

(١) (فحين رآني قال) في (ظ): (فلما رآني قال لي: يا).

(٢) (فأعزم بنا إلى الدار) في (ظ، ر): (البيت البيت).

(٣) **طبَّقَ الدار**: فرش أرضها بالطابوق، وهو: الآجرُّ الكبير. ينظر: «معجم متن اللغة» (ط ب ق).

(٤) (من غير بياض) ليست في (ر).

على باب حَرمِه، وله سائسٌ وهو شاكرِيُّهُ[1]، وشيخٌ بوَّابٌ ممَّن كان يَصحَبُهم[2] قديمًا، ووكيلٌ يتسوَّقُ له حوائجَهُ[3].

فجلسَ وأجلسَني، فجاؤونا بفاكهةٍ حَسنةٍ[4] قليلةٍ، في آلةٍ مقتصدةٍ مليحةٍ، ثمَّ جاؤوا بعدَها بطعامٍ نظيفٍ كافٍ، غيرِ مُسرفٍ ولا مُقصِّرٍ، فأكلنا ثمَّ نامَ، ولم تكن تلك عادتُه، ومُدَّت ستارةٌ، وأُحضِرَتْ مَشامٌّ ورياحينُ في صَوانٍ وزبديَّاتٍ[5]، والجميعُ مُتوسِّطٌ مليحٌ غيرُ مسرفٍ، وانتبهَ، وصلَّى، وتبخَّرَ بقطعةِ نَدٍّ[6]، وبخَّرني بقطعةِ عُودٍ مُطرَّى[7]، وقدَّمَ بين يديه صينيَّةً فيها من مطبوخ العنب شيءٌ حسنٌ. [ظ/١٤٦]

فقلتُ: يا سيِّدي ما هذه الترتيباتُ التي لستُ أعرفها؟

فقال: دع عنكَ ما مضى، فإنَّ الحالَ لا يحتملُ الإسرافَ، وخُذْ فيما نحنُ فيه. [ض/١٠٧]

---

(١) (وله سائسٌ وهو شاكريُّه) ليست في (ر)، وفي (ض): (وله سائس وهو شاكرده). **والشاكري**، هو الأجير والمستخدم. **وشاكِرده**: فارسية وتعريبها: (شاقِرْدَى) وهو المتعلِّم. ينظر: «القاموس المحيط» (ش ك ر)، و«تاج العروس» (ش ج ر د).

(٢) (ممن كان يصحبهم) في (ظ): (كان يصحبه).

(٣) (حوائجه) ليست في (ظ، ر).

(٤) (فجاؤونا بفاكهة حسنة) في (ظ): (وأحضر فاكهة).

(٥) **الصَّواني**: الأواني المنسوبة إلى الصين. ينظر: «مختار الصحاح» (ص و ن).
والزَّبادِي: جمعٌ، مفرده: زِبْدِيَّة، وهي صَحْفَةٌ من الخزَف. ينظر: «تاج العروس» (ز ب د).

(٦) **النَّدُّ**: نوعٌ من الطيب وعودٌ يتبخَّر به، معرَّبة. ينظر: «مختار الصحاح» (ن د د)، و«المصباح المنير» (ن د د).

(٧) **عُودٌ مُطرَّى**: نوعٌ من الطيب، ويُقال أيضًا: مُطرَّة. ينظر: «العين» (ط ر و).

فلمَّا طابَتْ نفسي ونفسُه[١]، قال لي: يا أبا فلانٍ، تَذكرُ[٢] أيَّامَنا الأولى؟

قلت: نعم.

قال: أنا الآنَ في نعمةٍ[٣] متوسِّطةٍ، وما قد أفدتُه من العقلِ والعلمِ بأمرِ[٤] الدنيا وأهلِها ليُسَلِّيني عمَّا ذهبَ منِّي، وهو ذا ترى فرشي وآلتي وثيابي ومركوبي، وإن لم يكن ذلك بالعظيم المفرط، ففيه جَمالٌ وبلاغٌ وتَنعُّمٌ وكفايةٌ، وهو مُغْنٍ عن ذلك الإسرافِ والتخرُّقِ[٥] والتبذيرِ، وقد تخلَّصْتُ من تلك الشِّدَّةِ الشديدة.

أتذكرُ يومَ عاملتني فلانة بما عاملتني به[٦]؟

قلتُ: نعم، فالحمدُ لله الذي كشفَ ذلك عنكَ، فمن أين هذه النعمة؟

قال: ماتَ خادمٌ كان مولىً لأبي، وابنُ عمٍّ لي في يومٍ واحدٍ بمصرَ، فحصلَ لي من تَرِكَتِهما أربعونَ ألف دينارٍ، فوصلَ أكثرُها إليَّ، وأنا بين القطن كما رأيتَني، فحمدتُ الله جلَّ وعزَّ، واعتقدتُ التوبةَ من التبذير، وأن[٧] أُدبِّرَ ما رُزِقتُه، فعَمَّرتُ هذه الدارَ بألف دينارٍ، واشتريتُ فيها من الفرش والآلة والثياب والجواري ما تراهُ وغيرَه بسبعةِ[٨] آلافِ دينارٍ، وسلَّمتُ إلى بعضِ التجَّارِ الثقات ألفي دينارٍ يتَّجِرُ

(١) (نفسي ونفسه) في (ظ): (أنفسنا).

(٢) (يا أبا فلان، تذكر) في (ظ): (تذكر)، وفي (ض): (يا فلان أتنكر) والمثبت من (ر).

(٣) (نعمة) في (ر): (همة).

(٤) (بأمر) في (ض): (ما من).

(٥) (ذلك الإسراف والتخرق) في (ظ): (الإسراف والتخرق)، وفي (ر): (ذلك الإسراف).

(٦) (بما عاملتني به) ليست في (ض، ظ)، والمثبت من (ر).

(٧) (التبذير وأن) في (ر): (التدبير السيء وأنا).

(٨) (بسبعة) في (ظ): (بتسعة).

لي بها، وأودعتُ بطنَ الأرض عشرةَ آلافِ دينارٍ للشدائد والحوادث[1]، وابتَعتُ بالباقي ضَيعةً تغلُّ لي في كلِّ سنةٍ ما يزيد على قدْرِ نفقتي هذه التي شاهدتَها، فما أحتاجُ إلى قَرضٍ ولا استزادةٍ، ولا تُقبِلُ غلَّةٌ إلَّا وعندي بقيَّةٌ من الغَلَّةِ الأولى، وأنا أتقلَّبُ في نعمةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما ترى. [ر/٦٦]

ومن تمام النعمة ألَّا أُعاشِرَكَ، ولا أحدًا ممَّن كان يُحسِّنُ إليَّ السَّرفَ. يا غِلمانُ أخرجوهُ. فأُخرِجْتُ، فما أَذِنَ لي -واللهِ- بعدَها في الدخول عليه.

(١) (للشدائد والحوادث) في (ظ): (للحوادث).

[٧: ١٦] [بِشارةُ أبي حنيفةَ لتلميذِهِ أبي يُوسفَ تتحقَّق]

حدَّثني أبي، قال: بلغني من غير وجهةٍ[١] أن أبا يوسفَ صحبَ أبا حنيفةَ؛ لِيتعلَّمَ العِلمَ على فقرٍ شديدٍ، وكان ينقطعُ بملازمته عن طلب المعاشِ، فيعودُ إلى منزلٍ قَفرٍ وشِدَّةٍ شديدةٍ، وكانت أُمُّه تحتالُ له ما يَقتاتُهُ يومًا بيومٍ، فلمَّا طال ذلك عليها خرجَ إلى المجلسِ يومًا، فأقامَ فيه يومَهُ وعادَ ليلًا، فطلبَ[٢] ما يأكلُ، فجاءتْهُ بغَضَارةٍ مُغَطَّاةٍ، فكشفَها فإذا فيها دفاترُ، فقال: ما هذا؟

قالت: هذا الذي أنتَ مُشتَغِلٌ به نهارَكَ أجمعَ، فكُلْ منه ليلًا. فبكى، وباتَ جائعًا، وتأَخَّرَ من غدٍ عن المجلسِ حتَّى احتالَ ما أكلوهُ، فلما جاءَ[٣] إلى أبي حنيفةَ، سأله عن سببِ تأخُّرِه، فصدَقهُ.

فقال: ألا عرَّفْتَني، فكنتُ أَمدُّكَ؟ ولا يجبُ أن تغتمَّ، فإنَّه إن طال عُمركَ، فستأكلُ بالفقه اللَّوْزِينَجَ بالفُستُقِ المقشَّرِ[٤].

---

(١) (من غير وجهة) ليست في (ظ).

(٢) قوله: (فلما طال ذلك... ليلًا فطلب) في (ظ): (فطلب يومًا).

(٣) (ما أكلوه، فلما جاء) في (ظ): (فيما أكله، ثم مضى).

(٤) (بالفقه اللوزينج بالفستق المقشر) في (ظ): (اللوزينج بالفستق).
واللَّوْزِينَج: حلوى تُصْنَعُ من السكَّر المسحوق الناعم، واللوز المقشر المسحوق أيضًا، ويعجنان بماء الورد، ثم يؤخذ من الخبز المرقق ويُجعَلُ عليه اللوز والسكر المعجون، ثم يطوى ويقطع قطعًا صغارًا، ويوضع علي الشيرج، ويغمر بالجلاب الذي أضيف إليه ماء الورد، وينثر عليه الفستق المدقوق ناعمًا. ينظر: «كتاب الطبيخ» للبغدادي (ص: ٧٦).

قال أبو يوسف: فلمَّا خدمتُ الرشيدَ، واختصصتُ به، قُدِّمَتْ[1] بحضرته يومًا جامَةٌ[2] لوزينجٍ بفُستقٍ مُقشَّرٍ[3]، فدعاني إليها، فحينَ أكلتُ منها ذكرتُ أبا حنيفةَ فبكيتُ، وحَمِدتُ الله جلَّ وعزَّ، فسألني الرشيدُ عن السبب في ذلك[4]، فأخبرتُه[5].

---

(١) في (ظ): (قدم).

(٢) **الجام**: منهم من قال هو جمعٌ، واحده: جامة، وهي نوع من الآنية. ومنهم من قال هو مفرد. ينظر: «المحيط في اللغة» (ج و م)، و«مشارق الأنوار» (ج و م).

(٣) (مقشَّرٍ) ليست في (ض، ظ)، وأثبتناها من (ر).

(٤) (السبب في ذلك) في (ظ): (قصتي).

(٥) ذكرها المؤلِّف في «نشوار المحاضرة» (١/ ٢٥١)، ووردت أيضًا في: «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٥٩)، و«مرآة الزمان» (١٣/ ٣٤).

[٧: ١٧] [أذَّنَ قبل دخول الوقت لِنُصرةِ امرأةٍ مظلومة]

حدَّثني القاضي أبو الحسَنِ محمَّدُ بن عبد الواحدِ الهاشميُّ بالبصرة: أنَّ شيخًا من التجَّار كان له على بعضِ القُوَّادِ مالٌ جليلٌ ببغدادَ، فماطلَهُ به، وجحَدهُ إيَّاهُ، واستخفَّ به.

قال: فعَمِلتُ على الظُّلامةِ[١] إلى المعتضد بالله؛ لأنِّي قد تحمَّلت عليه، واستشفعتُه[٢]، وتظلَّمتُ إلى عبيد الله بن سليمانَ، فلم ينجع ذلك.

فقال لي بعضُ إخواني: عليَّ أن آخذَ لك المالَ، ولا تحتاجُ إلى الظُّلامةِ[٣] إلى الخليفة، قم معي الساعةَ.

قال: فقمتُ معه، فجاء بي إلى خيَّاطٍ في سوق الثلاثاء[٤]، وهو جالسٌ يخيطُ ويقرِئُ القرآنَ في مسجدٍ، فقصَّ عليه قِصَّتي، فقامَ معنا.

فلمَّا مشَينا، تأخَّرتُ وقلتُ لصديقي: إنَّكَ قد عرَّضتَ هذا الشيخَ ونفسكَ وإيَّايَ لمكروهٍ عظيمٍ، هذا إذا حصلَ على باب الرجل صُفِعَ وصُفِعنا معه، فإنَّه لم يلتفِتْ إلى شفاعةِ فلانٍ وفلانٍ، ولم يُفكِّر في الوزيرِ، يُفكِّرُ في هذا؟ [ظ/١٤٧]

(١) (فعملت على الظلامة) في (ظ): (فعزمت على التظلم).

(٢) في (ر): (واستشفعت).

(٣) (الظلامة) في (ظ): (أن تتظلم).

(٤) **سوق الثلاثاء**: محلة كبيرة ببغداد ذات أسواق واسعة، وهي من أعمر أسواق بغداد. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٨٢).

فضحكَ الرجلُ وقال: لا عليكَ، اِمْشِ واسكُتْ.

فجئنا إلى باب القائد، فحين رأى غِلمانُه الخياطَ أعظموهُ، وأَهوَوا لِتقبيل يَدِه، فمنعَهم.

وقالوا: ما جاءَ بكَ[1] أَيُّها الشيخُ، فإن صاحبَنا راكبٌ، فإن كان أمرٌ نَعمَلُه نحنُ بادَرْنا إليه، وإلَّا فادخل واجلِسْ إلى أن يجيءَ. فقويَتْ نفسي بذلك، فدخلنا وجلسنا.

فجاءَ القائد، فلما رأى الخيَّاطَ أعظمَهُ إعظامًا تامًّا، وقال: لستُ أنزعُ ثيابي، أو تأمُرَني[2] بأمرِكَ.

فخاطبَهُ في أمري، فقال: واللهِ ما عندي إلَّا خمسةُ آلاف درهمٍ، فتسألُه[3] أن يأخذَها، وأعطيه رهنًا في باقي ماله إلى شهر؟

فبادرتُ أنا إلى الإجابة، فأحضرَ الدراهمَ ورهنًا[4] بقيمة الباقي، فقبضتُ ذلك، وأشهدتُ الخيَّاطَ وصديقي عليه بأنَّ الرهنَ عندي على البقيَّةِ إلى شهرٍ، فإن حانَ الأجلُ ولم يُعطِني[5] فأنا وكيلٌ في بَيعِه وأخذِ مالي من ثمنِه، فأشهدتُهم على ذلك، وخرجنا.

---

(١) (جاء بك) في (ر): (حاجتك).

(٢) (أو تأمرني) في (ر): (حتى تأمر).

(٣) (فتسأله) في (ض): (فسأله).

(٤) في (ظ، ر): (وحليًا).

(٥) (ولم يعطني): ليست في (، ر).

فلمَّا بلغنا[1] إلى موضعِ الخيَّاطِ طرحتُ المالَ بين يديه، وقلت: يا شيخُ إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد ردَّ عليَّ هذا المالَ بِكَ[2]، فأُحِبُّ أن تأخذَ رُبعَهُ أو ثُلثَهُ أو نِصفَهُ بطِيْبٍ من قلبي.

فقال: يا هذا، ما أسرعَ ما كافأتني على الجميلِ بالقبيح، انصرِفْ بمالِكَ، بارك الله لكَ فيه.

فقلتُ: قد بَقِيَتْ لي حاجةٌ.

قال: قل.

قلت: تُخبِرُني عن سبب طاعة هذا الرجل لكَ، مع تَهاوُنِه بأكثرِ أهل الدولة.

فقال: يا هذا قد بلغْتَ مُرادَك، فلا تقطعني عن شُغلي وما أعيشُ منه[3].

فألحَحْتُ عليه، فقال: أنا رجلٌ أَؤُمُّ[4] وأُقرِئُ في هذا المسجد منذ أربعينَ سنةً، ومعاشي من هذه الخياطة، لا أعرفُ غيرَها.

وكنتُ منذ دهرٍ قد صلَّيتُ المغربَ، وخرجتُ أريد منزلي، فاجتزتُ بتُركِيٍّ كان في هذه الدار -وأومأَ إلى دارٍ تجاهَ المسجد- وامرأةٌ جميلةٌ مجتازةٌ، فتعلَّقَ بها وهو سكرانُ، لِيُدخِلَها دارَهُ، وهي ممتنعةٌ منه تستغيثُ، وليس أحدٌ يُغيثُها، [ض/١٠٨]

(١) (بلغنا) في (ض): (بلغت).

(٢) (بك) في (ظ): (بسببك).

(٣) في (ظ): (به)، و(وما أعيش منه) ليست في (ر).

(٤) (أؤمُّ) في (ظ): (أصلي بالناس).

ولا يَمنعُه منها، وتقولُ في جُملة كلامِها: إنَّ زوجي حلفَ بطلاقي أن لا أبيتَ إلا عنده[1]، فإن بيَّتَني خَرِبَ بيتي مع ما يرتكبُه منِّي من المعصية.

قال: فجِئتُ إلى التركيِّ، ورَفِقتُ به وسألتُه تَرْكَها، فضربَ رأسي بدَبُّوسٍ كان في يده فشجَّني، ولَكَمَني، وأدخلَ المرأةَ دارَه[2].

فصِرتُ إلى منزلي، فغسلتُ الدمَ، وشددتُ الشجَّةَ، واسترحتُ، وخرجتُ أصلِّي العشاءَ الآخرة، فلما فرغنا منها قلتُ لمن حضر: قوموا معي إلى عدوِّ الله هذا التركيِّ، لِنُنكرَ عليه، ولا نبرحَ، أو تخرجَ المرأةُ.

فقاموا، وجئنا، فضَجَجْنا[3] على بابِه، فخرجَ إلينا في عِدَّةٍ من غِلمانِه، وأوقعَ بنا، وقَصَدَني من بين الجماعة، فضربَني ضربًا عظيمًا كِدتُ أتلَفُ منه، فحملَني الجيرانُ إلى منزلي كالتالف، فعالجَني أهلي، ونِمتُ نومًا قليلًا، وأَفقتُ قُربَ[4] نصفِ الليلِ، فما حملني النومُ للألمِ والفكرِ في القِصَّة.

فقلتُ: هذا قد شَرِبَ طولَ ليلتِه، ولا يَعرِفُ الأوقاتَ، فلو أَذَّنتُ، لَوقعَ له أنَّ الفجرَ قد طلعَ، فأطلقَ المرأةَ.

---

(١) (إلا عنده) في (ظ): (برًّا).

(٢) (داره) ليست في (ض، ظ).

(٣) في (ر): (فضجينا).

(٤) (وأفقت قرب) في (ظ): (وقمت)، وفي (ر): (وأفقت).

قال: فخرجتُ إلى المسجدِ مُتحامِلًا، وصعدتُ المنارةَ، فأذَّنتُ، وجلستُ أطَّلِعُ منها إلى الطريقِ، أترقَّبُ[1] خروجَ المرأةِ، فإن خرجَتْ، وإلَّا أقمتُ الصلاةَ؛ لِئلَّا يَشُكَّ في الصباحِ، فيُخرِجَها.

فما مضت إلَّا ساعةٌ والمرأةُ عندَهُ، حتى رأيت الشارعَ قد امتلأَ خيلًا ورَجِلًا[2] ومشاعلَ، وهم يقولون: مَن هذا الذي أذَّنَ الساعةَ؟ أين هو؟ ففَزِعْتُ، وسَكَتُّ.

ثمَّ قلتُ: أُخاطِبُهم لَعلِّي أستعينُ بهم على إخراجِ المرأة، فصِحْتُ من المنارةِ: أنا أذَّنتُ.

فقالوا لي: انزِلْ، فأَجِبْ أميرَ المؤمنين.

فقلت: دنا الفرَجُ، ونزلتُ، فإذا بَدرٌ المعتضديُّ[3] وعِدَّةُ غِلمانٍ معه، فحملوني وأدخلوني إلى المعتضد، فلمَّا رأيتُه هُبْتُه وارتعدْتُ، فسكَّنَ منِّي.

وقال: ما حملكَ على أن أذَّنتَ في غير وقت الأذانِ؛ فتغرَّ به المسلمينَ، فيخرجَ ذو الحاجة في غير حينِها، ويمسكَ المريدُ للصوم في وقتٍ قد أباح اللهُ له الأكلَ فيه، وينقطعَ العَسَسُ عن الطَّوفِ والحرسِ[4]، فيتمكَّنَ اللصوصُ فيما يريدون[5]؟ [ظ/١٤٨]

---

(١) (أترقَّب) في (ر): (أرقب).

(٢) (ورجلا) في (ظ): (ورجالًا).

(٣) هو أبو النجم، أكبرُ حُجَّاب الخليفة المعتضد، وقائد جيشه. ينظر: «الإنباء في تاريخ الخلفاء» (ص: ١٤٩).

(٤) (عن الطوف والحرس) في (ظ): (والحرس عن الطرق).

(٥) (فيتمكن اللصوص فيما يريدون) ليست في (ظ، ر).

فقلتُ: تُؤَمِّنُني يا أميرَ المؤمنين، لِأَصدُقَ؟

قال: أنتَ آمِنٌ.

فقصصتُ عليه قصَّةَ التركيِّ والمرأة، وأَريتُهُ الآثارَ التي بي.

فقال: يا بَدرُ، عليَّ بالغلامِ والمرأةِ الساعةَ، وعُزِلْتُ أنا في موضعٍ.

ومضى بدرٌ فأحضرَ المرأةَ والغلامَ التركيَّ، فسألها المعتضدُ عن الصورةِ فأخبرَتْهُ بمثلِ ما قُلته[1].

ثمَّ استدعاني، فوقفْتُ، بإزائه فجعل يخاطبُ الغلامَ، وأنا قائمٌ أسمَعُ.

فقال له: كم جرايَتُكَ؟ قال: كذا وكذا.

قال: وكم عطاؤك؟ قال: كذا وكذا.

قال: كم صِلاتُكَ؟ قال: كذا وكذا.

قال: كم جاريةً لك؟ قال: كذا وكذا.

قال: أفما كان لك فيهنَّ وفي هذه النعمةِ[2] العريضةِ كفايةً عن ارتكابِ معاصي الله عَزَّوَجَلَّ، وخَرقِ[3] هيبةِ السلطان، حتَّى استعملْتَ ذلك وتجاوزتَهُ بالوثوبِ على مَن أمركَ بالمعروف؟

---

(١) في (ظ): (أخبرته).

(٢) في (ر) زيادة: (العظيمة).

(٣) (وخرق) في (ض): (وخوف).

فأُسقِطَ التركيُّ في يدِه، ولم يُحِرْ جوابًا[١].

فقال الخليفةُ: هاتوا[٢] جُوَالِقًا ومداقَّ الجِصِّ[٣] وقَيدًا وغُلًّا. فأُحضِرَ ذلك، فقيَّدَهُ وغَلَّهُ، وأدخلَهُ الجوالقَ، وأمر الفرَّاشينَ بِدَقِّهِ بمَداقِّ الجِصِّ، وأنا أرى ذلكَ وهو يصيحُ، ثمَّ انقطعَ صَوتُه وماتَ[٤]، فأمرَ به، فطُرِحَ في دجلةَ، وتقدَّمَ إلى بدرٍ بحَمْلِ ما في دارِه.

ثمَّ قال لي: يا شيخُ، أيَّ شيءٍ رأيتَ من أجناسِ المُنكَرِ، كبيرًا كان أو صغيرًا، وأيُّ أمرٍ عنَّ لك أن تأمرَ فيه بمعروفٍ فأمُر به، وأنكرِ المُنكَر، ولو على هذا، وأومأَ بيده إلى بدرٍ، فإن جرى عليكَ شيءٌ تكرهُه أو لم يُقْبَل منكَ، فالعلامةُ بيننا أن تُؤذِّنَ في مثل هذا الوقتِ[٥]، فإنِّي أسمعُ صوتَك وأستدعيكَ، وأفعلُ مثلَ هذا بمَن لا يقبلُ منكَ أو يؤذيكَ.

قال: فدعوتُ له، وانصرفتُ.

---

(١) أي: لم يَرجِعْ ولم يَرُدّ. ينظر: «لسان العرب» (ح و ر: ٤/ ٢١٨).

(٢) كذا في النسخ، وقد ذُكِرَت في «نشوار المحاضرة» (١/ ٣١٧) بلفظ: (هاتم)، وهي عامّيَّة. ينظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ١٦٣)، و«البارع في اللغة» للقالي (ص: ١٤١).

(٣) **الجوالق**: فارسيٌّ معرَّب، وهو بكسرِ الجيمِ واللامِ (جِوالِق)، وبضمِّ الجيمِ، وفتحِ اللّامِ وكسرِها (جُوالَق)، وعاءٌ، وهو العِدْل. ينظر: «الاقتضاب شرح أدب الكاتب» (٣/ ٩٨)، و«تاج العروس» (ج ل ق: ٢٥/ ١٢٩).
والمداقُّ: جمع مِدَقٍّ: ما يُدَقُّ به. ينظر: «الصحاح» (د ق ق). **والجِصّ**: مادة تدخل في البناء. ينظر: «الصحاح» (ج ص ص).

(٤) في (ظ): (وأنا أسمع صياحه إلى أن مات).

(٥) (مثل هذا الوقت) في (ظ): (مثل الوقت الذي أذنت فيه)، وفي (ر): (هذا الوقت).

وانتشر الخبرُ في الأولياء والغلمان، فما خاطبتُ منهم[1] أحدًا بعدها في إنصافٍ لأحدٍ[2]، أو كفٍّ عن قبيحٍ إلَّا أطاعني كما رأيتَ؛ خوفًا من المعتضد، وما احتجتُ أن أُؤذِّنَ في مثل ذلك الوقت إلى الآن[3].

---

(١) (منهم) ليست في (ظ).

(٢) في (ظ): (أحد).

(٣) ينظر: «نشوار المحاضرة» (١/ ٢١٢)، و«تجارب الأمم» (٥/ ١٨).

[٧: ١٨] [أُحَيحَةُ بن الجُلَاحِ يُتلِفُ مالَهُ ثمَّ يَصلُح حالُه]

[ر/ ٦٧]

ووجدتُ في بعض كتبي[١]: أن رجلاً - قيل: هو أُحَيحَةُ بن الجُلَاحِ[٢]- أسرعَ في ماله، وأتلفَهُ مع إخوانٍ له، حتَّى افتقرَ، فهَجروهُ وقطَعوهُ، واحتاجَ إليهم في الشيءِ اليسيرِ، فمنعوه[٣]، فلَحِقَتْهُ شِدَّةٌ وضُرٌّ وجهدٌ.

فماتَ بعضُ أقاربِه[٤]، فورَّثه مالًا وضَيعةً خرابًا تُعرَفُ بالزوراءِ، فأخذَ المالَ وخرج إلى الضيعةِ يَعمرُها به، فطَمِعَ فيه القومُ الذين كان أتلفَ المالَ الأوَّلَ[٥] عليهم، فكتبُوا إليه يعتذرونَ ممَّا جرى، ويُرغِّبونَهُ في مواصلتهم، ومعاشرتهم، وكان أديبًا، فكتبَ إليهم: [من البسيط]

إنِّـي مُكِبٌّ على الـزَّوْراءِ أَعْمُرُهَا ... إنَّ الكَرِيمَ على الإخوانِ ذو المالِ

كـلُّ الـنِّـداءِ إذا نـادَيـتُ يَخذُلُني ... إلَّا نِـدَائِـي إذا نَـادَيـتُ يـا مالي

فأَيِسُوا منه، وكَفُّوا عنه، وثابَتْ حالُهُ بضَيْعَتِه وحَسُنَتْ.

---

(١) (كتبي) في (ظ): (الكتب).

(٢) هو أُحَيْحَة بن الجُلَاح بن الحريش الأوسيُّ، أبو عمرو: شاعرٌ جاهليٌّ، من دُهاة العرب وشُجعانِهم. ينظر: «الأعلام» (١/ ٢٧٧).

(٣) في (ض): (فقعدوا عنه)، وفي (ر): (فقعدوا به).

(٤) (أقاربه) في (ظ): (أهله).

(٥) (كان أتلف المال الأول) في و(ظ): (أنفق ماله)، وفي (ر): (أتلفوا المال الأول).

[٧: ١٩] [الوليدُ بن يزيدَ يُبشَّرُ بالخلافةِ]

أخبرني أبو الفرجِ الأصبهانيُّ إجازةً، قال: حدَّثنا الحسنُ بن عليٍّ[١]، قال: حدَّثنا أحمدُ بن الحارث الخرَّازُ، وأخبرني أبو الفَرَجِ قال: وأخبرني أحمدُ بن عبد العزيز[٢]، قال: حدَّثنا عمرُ بن شَبَّةَ، عن المدائنيِّ[٣]، عن جُوَيرِيَةَ بن أسماءَ[٤]، عن المِنهالِ بن عبد الملك[٥]، وعن إسحاقَ بن أيُّوبَ، كلُّهم عن [أبي الزُّبَيرِ المنذرِ بن عمرٍو][٦]، وكان كاتبًا للوليدِ بن يزيدَ بن عبد الملكِ، قال:

---

(١) هو الحسنُ بن عليِّ بن محمَّدٍ، أبو محمَّدٍ النيسابوريُّ الخفَّاف المقرئ. ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٧٢).

(٢) هو أحمد بن محمَّد بن عبد العزيز أبو بكر الجوهري البصري، حدث عن: عمر بن شبة. وعنه: أبو القاسم الطبراني في معاجمه. ينظر: «إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني» (ص: ١٦٨).

(٣) علي بن محمَّد بن عبد الله المدائني، سبقت ترجمته (١/ ٨٩).

(٤) هو جُوَيرِيةُ بنُ أسماءَ بن عُبَيدٍ الضبعيُّ، البصريُّ، أبو مخارق، المحدث الثقة، سمع نافعًا، (ت: ١٧٣هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣١٧).

(٥) يكنى أبا ذُفافةَ، مولى بني أمية. ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٢٨٥) و(٥٧/ ٢٢٠).

(٦) (عن أبي الزبير المنذر بن عمرو) في (ض): (عن ابن الزبير بن عبد المنذر) في (ظ): (وحدث المنذر بن عمرو)، وما قبله من السند سقط منهما، وفي (ر): (عن ابن الزبير بن عبد المنذر بن عمرو). والمثبت من كتاب «الأغاني» (٧/ ١٤)، وفي «بغية الطلب في تاريخ حلب» (١٠/ ٤٤٥٤) ذكر أن اسمه: (أبو الزبير بن المنذر بن عمرو).

أرسلَ إليَّ الوليدُ صبيحةَ اليومِ الذي أَتتهُ فيهِ الخلافةُ(١)، فأتيتُه، فقال لي: يا أبا الزُّبيرِ، ما أتَتْ عليَّ ليلةٌ أطوَلُ من هذه الليلةِ، عرضَتْ لي أمورٌ، وحدَّثتُ نفسي فيها بأمورٍ، وهذا الرجلُ قد أُولِعَ بي، فاركب بنا نتنفَّس(٢).

فرَكِبتُ معه، وسِرنا نحو مِيلَينِ، ووقفَ على تلٍّ، وجعلَ يشكو هشامًا(٣)؛ إذ نظرَ إلى رَهَجٍ(٤) قد أقبلَ. قال عمرُ بن شَبَّةَ في حديثه(٥): وسمعَ قعقعةَ البريدِ، فتَعوَّذَ باللهِ من شرِّ هشامٍ(٦)، وقال: إنَّ هذا البريدَ قد أقبلَ بموتٍ وَحِيٍّ(٧)، أو بمُلكٍ عاجلٍ.

فقلت: لا يَسوؤكَ اللهُ أيُّها الأميرُ، بل يَسرُّكَ ويُبقيكَ(٨).

إذ بدا رجلانِ على البريدِ مُقبلانِ إلينا، أحدُهما مولى لآل أبي سفيانَ بن حَربٍ، فلما قَرُبا أتيا الوليدَ، ونزلا يَعدُوَانِ حتَّى دَنَوَا، فسلَّما(٩) عليه بالخلافةِ، فوجَمَ، وجعلا يُكَرِّرانِ عليه السلامَ بالخلافةِ، فقال: وَيْحَكُما، ما الخبرُ؟ أماتَ هشامٌ؟

---

(١) (الخلافة) في (ض): (الجلاد).
(٢) (نتنفس) في (ض): (نتفرح)، وليست في (ظ).
(٣) يعني هشامَ بنَ عبد الملك.
(٤) **الرَّهَجُ**: الغُبار المُثار، وأرهج الغبارَ إذا أثاره. ينظر: «الصحاح» (رهج).
(٥) (قال عمر بن شبَّة في حديثه) ليست في (ظ، ر).
(٦) (شرِّ هشام) في (ض): (هشام ومن شره). والمثبت موافق «للأغاني».
(٧) **الوَحِيُّ**: السريع. ينظر: «الصحاح» (و ح ي).
(٨) (ويبقيك) في (ظ): (وينفعك)، وفي (ض): (ويقيك). والمثبت من (ر) وهو موافق «للأغاني».
(٩) (قربا أتيا... فسلما) في (ظ): (رأيا الوليد نزلا، وسلما).

قالا: نعم.

قال: فمرحبًا بكما، ما معكما؟

قالا: كتابُ مولاكَ سالمِ بن عبد الرحمن[1]، فقرأَ الكتابَ وانصرَفْنا.

وسألَ عن عِيَاضِ بن [مسلمٍ][2]، كاتبِه الذي كان هشامُ ضَربَهُ وحبسَهُ، فقالا: يا أميرَ المؤمنين لم يزل محبوسًا، حتَّى نزلَ بهشامٍ أمرُ الله تعالى، فلما صارَ[3] إلى حالٍ لا يُرجى[4] معها الحياةُ لِمثلِه، أرسلَ عياضٌ إلى الخُزَّانِ: احتفِظُوا بما في أيديكم، فلا يَصِلنَّ أحدٌ إلى شيءٍ، وأفاقَ هشامٌ، فطلبَ شيئًا، فمُنِعَهُ، فقال: أرانا كنَّا خُزَّانًا للوليدِ، وقضى من ساعتِه.

فخرج عياضٌ من السجنِ ساعةَ قضى هشامٌ، فختمَ الأبوابَ والخزائنَ[5]، وأمرَ بهشامٍ فأُنزِلَ عن فراشِه، ومنعَهم أن يُكفِّنوهُ من الخزائنِ، فكفَّنهُ غالبُ

---

(١) هو سالم بن عبد الرحمن، أبو العلاء، كاتب هشام بن عبد الملك، كان بالرصافة حين مات هشام، فكتب إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك يعلمه بذلك. ينظر: «بُغْيَةُ الطَّلَب في تاريخ حلب» (٩/ ٣٩٨).

(٢) في النسخ: (سالم)، والمثبت من كتاب «الأغاني» (٧/ ١٤)، وهو الصواب. وهو عياض بن مسلم الكاتب، كان كاتبًا للوليد بن يزيدَ بن عبد الملك بن مروان، ذكرَهُ أبو الحسين محمَّد بن عبد الله الرازيُّ في تسمية كتاب أمراء دمشق في خلافة الوليد بن يزيد. ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٢٨٥).

(٣) (نزل بهشام أمر الله تعالى فلما بلغ) في (ظ): (نزلت بهشام مصيبة الموت فلما بلغ).

(٤) في (ض) زيادة: (الحياة).

(٥) (من السجن ساعة قضى هشام، فختم الأبواب والخزائن) في (ظ): (لوقته من السجن عندما قضى هشام، فغلق الأبواب، وختمها)، وفي (ر): (من السجن وختم الأبواب والخزائن).

مولى هشامٍ[1]، ولم يجدوا قُمقمًا يُسخَّنُ فيه الماءُ[2]، حتَّى استعاروه. وذكرَ بقيَّةَ الحديثِ، وكان طويلاً غير متعلِّقٍ بهذا البابِ، فلم أذكُرْهُ[3]. [ر/٦٨]

(١) في (ظ): (مولاه).

(٢) **القُمْقُم**: ما يُسخَّنُ فيه الماءُ من نُحاسٍ وغيرِه، ويكونُ ضَيِّقَ الرأس. ينظر: «مجمع بحار الأنوار» (ق م ق م).

(٣) ينظر: «الأغاني» (٧/ ١٤).

[٧: ٢٠] [ابن هَرْمَةَ الشاعرُ وكَثرةُ مَدحِه لعبدِ الواحدِ بنِ سُليمانَ]

أخبرني أبو الفَرَجِ الأصبهانيُّ، قال: حدَّثني عمِّي[١]، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سَعدٍ[٢]، قال: حدَّثنا عليُّ بنُ محمَّدٍ الأنصاريُّ، قال: حدَّثنا أحمدُ بن يَحيى الهرْميُّ، وكان من بني أخي إبراهيمَ بنِ هَرْمَةَ الشاعرِ[٣]، قال: قال رجلٌ لإبراهيمَ بنِ هَرْمَةَ الشاعر: لأيِّ شيءٍ استحقَّ منك عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك أن تقولَ فيه: [من الوافر] [ر/٦٩]

أعبدَ الواحدِ المأمولَ إنِّي ... أَغصُّ حِذارَ سُخطِكَ بِالقَرَاحِ
وَجَدْنا غالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا ... فَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الجَنَاحِ؟

فقال: إن ذهبتُ أعدُّ صنائعَهُ التي استحقَّ بها هذا القولَ عندي أَطلْتُ، ولكن أُحدِّثُكم بأصغرِ صنيعةٍ له عندي.

(١) هو الحسن بن محمَّد، وقد سبقت ترجمته (١/ ٤٠٩).
(٢) هو عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، أبو محمَّد الورَّاق الأنصاري. سبقت ترجمته (١/ ٣٤١).
(٣) هو إبراهيمُ بن عليِّ بن سَلَمَةَ بن عامرِ بن هَرْمَةَ بن هُذَيلٍ الفِهْريُّ، أبو إسحاقَ، شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أنشد الشعر بين يدي الرشيد. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٠٧).

[ظ/١٤٩] كنتُ منقطعًا إليه بالمدينة أيَّامَ كان يتولَّاها، فأغناني عمَّن سواهُ، ثم عُزِلَ، فظَنَنتُ أنَّ مَن يلي يكونُ مِثلَهُ، فأقمتُ بالمدينة أغدو وأروحُ إلى الوالي طَمعًا فيه، إلى أن[١] لم يَبْقَ لي شيءٌ.

فقلتُ لأختي: ويحكِ، أما تَرينَ ما أنا فيه من الشِّدَّةِ وتَعذُّرِ القُوْت؟

[ض/١٠٩] **قالت:** هذا بِسُوءِ اختيارِكَ.

قلتُ: فبِمَنْ تُشيرينَ عَلَيّ؟

قالت: ما أعرفُ غيرَ عبد الواحد بن سُليمانَ[٢].

فقلت: ومَن لي به؟ وهو بدمشقَ، وأنا بالمدينة!

فقالت: أنا أعاوِنُكَ، وأُشِيعُ صُحبتَكَ[٣].

قلت: افعلي.

فباعت حُليًّا كان لها، واشترت لي راحلةً، وزوَّدتني، فسِرتُ عليها إلى دمشقَ، فوافَيتُها بعد اثنتي عشرةَ ليلةً، فأنختُ عشاءً على باب عبد الواحد، وعقلتُ راحلتي، ودخلتُ المسجدَ، فحَططتُ رَحْلي فيه.

---

(١) (من يلي... إلى أن) في (ظ): (الوالي سيحسن إلي، فلم يبرني بشيء، فأنفقت ما كان معي، حتى).

(٢) هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان أمير مرواني أموي. ولي إمرة مكة والمدينة سنة (١٢٩هـ) لمروان بن محمَّد، (ت: ١٣٢هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٣٨)، و«الأعلام» (٤/ ١٧٥).

(٣) (أعاونك وأشيع صحبتك) في (ظ): (أعينك على قصدك إليه).

فلما أذَّنَ المؤذِّنُ خرج عبد الواحد، فتطوَّعَ، ثمَّ أقيمت الصلاةُ فصلَّى، وجلسَ ساعةً يُسبِّحُ؛ ثم[1] حوَّلَ وجهَهُ إلى جلسائه يُحدِّثُهم، فلمحَ الناقةَ والرَّحْلَ، فقال: لمن هذا؟

فوثبتُ، وقبَّلتُ يده، وقلتُ: أنا يا سيِّدي عبدُكَ إبراهيمُ بن هَرْمةَ.

فقال: أبا إسحاقَ، كيف خبرُكَ؟

فقلت: شَرُّ خبرٍ بعدَكَ أيُّها الأميرُ، تلاعبَتْ بيَ المِحَنُ، وجفاني الصديقُ، ونبا عني[2] الوطنُ، فلم أَجِدْ مُعوَّلًا إلَّا عليك.

فوالله ما بادرني إلَّا بدمعته، فقال: وَيْحكَ، بلغَ بك الجهدُ إلى ما ذكرْتَ؟

قلتُ: إي والله أيُّها الأميرُ، وما أَخفيتُه عنك أكثر.

فقال: اسكُنْ، ولا تُرَعْ.

ثمَّ نظرَ إلى فتيةٍ بين يديه جلوسٍ، كأنَّهم الصقورُ، فوثبوا، فاستدنى أحدَهم، وهمسَ إليه بشيءٍ، فولَّى مُسرِعًا، ثمَّ أومأَ إلى الثاني، فهمسَ إليه بشيءٍ، فمضى، وفعل كذلك بالثالث، فمضى.

ثمَّ أقبلَ الأوَّلُ، ومعه خادمٌ على رأسه كيسٌ، فصبَّه في حِجْري، فقال له أبوهُ: كم هذا؟ قال: ألفٌ وسبعُ مئة دينارٍ، والله ما كان في بيتِ مالِكَ غيرُها.

---

(١) (فلما أذن... يسبح؛ ثم) في (ظ): (فلما صلى عبد الواحد وجلس يسبح).

(٢) (ونبا عني) في (ض): (ونأى بي).

ثمَّ أقبلَ الثاني، وبين يديه عبدٌ على كتفه كارةٌ[١]، فصبَّها بين يديهِ[٢]، فإذا فيها حُليٌّ مُختلَعٌ من حليِّ بَناتِه ونسائِه، وقال لأبيه: واللهِ ما أبقيتُ لهنَّ حُليًّا.

وأقبلَ الثالثُ ومعه غلامانِ، معهما كارتان عظيمتان مِن فاخر ثيابِه، فوضعَ ذلك بين يَديَّ.

ثم قال: يا ابن هَرْمةَ، أنا أعتذرُ إليكَ مِن قلَّةِ ما حَبوتُكَ به، مع بُعدِ الشُّقَّةِ وطُولِ العَهدِ وسعةِ الأمل، ولكنَّكَ جئتنا في آخرِ السَّنةِ، وقد تقسَّمت أموالَنا الحقوقُ، ونسفَتْها أيدي المؤمِّلينَ، فلم يبقَ لنا[٣] غيرُ هذه الصبابة، آثرناكَ بها على أنفسنا، واستللناها لك من أَفواهِنا، ولو قَدِمتَ قبلَ هذا الإعسارِ لأعطيناكَ[٤] ما يكفيكَ، أو عَلِمْنا بكَ لأتاكَ عَفوًا، ولم تتجشَّمْ إلينا مَشقَّةً، ولم تحتَجْ إلى سوانا، وذلك منِّي لكَ أبدًا ما بقيتَ، فأقسمتُ عليكَ لما أصبحتَ إلَّا على ظهر راحلتِكَ، وتداركْتَ أهلكَ، فخلَّصْتَهم من هذه المحنة.

فقُمْتُ إلى ناقتي، فإذا هي قد ضَعُفَتْ، فقال: ما أرى في ناقتك فضلًا. يا غلامُ أَعطِه ناقتي الفلانيَّةَ، فجاءَ بها بِرَحْلِها، فكانت - والله - أحبَّ إليَّ مِن كلِّ ما ساقَهُ إليَّ؛ ثِقةً ببلوغي عليها.

---

(١) **الكارَةُ:** ما يُحمَلُ على الظَّهر من الثِّيابِ. ينظر: «مختار الصحاح» (ك و ر).

(٢) (كارة فصبها بين يديه) في (ض): (مثل الكارة فصبه)، وفي (ر): (مثل الكارة).

(٣) في (ظ): (عندنا).

(٤) (قدمت قبل هذا الإعسار؛ لأعطيناك) في (ض): (قد أتت غلَّتُنا لأنفدتُ إليك منها)، وفي (ر): (أبت علينا لآسيناك منها).

ثمَّ دعا بناقتين أُخريَين[1]، فأوقرَهما بالمال والثياب، وزادًا يكفيني لِطَريقي، ووهبَ لي عبدَينِ، وقال: هذان يسقيان لك، ويرعيان، ويرحلان إلى أن تَرِدَ، ثمَّ إن شِئتَ ترتبِطُهما، أو تبيعُهما.

فقلتُ: أفتلومُني على أن أغتصَّ - حذارَ سخطِ هذا[2] - بِريقي، فضلًا على الماء القَراح[3]!

(١) (أخريين) ليست في (ض، ر)، والمثبت من: (ر).

(٢) (فضلًا على الماء القراح) في (ظ): (قال: لا والله).

(٣) ينظر: «الأغاني» (٦/ ٣٦٣) مع اختلاف في تفاصيل القصة.

[٧: ٢١] [هرثمةُ بنُ أَعيُنٍ ومِحنتُه مع الهادي ليلةَ وفاتِه]

قال: وحدَّثني عليُّ بن هشامٍ أبي قيراطٍ، قال: حدَّثنا أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ الفضلِ [الجرجرائيُّ][(١)] -وهو الذي كان وزيرًا للمتوكِّل، وكان هو الذي قد تقلَّدَ ديوانَ زِمام الجيشِ وغَيرِه من الدواوينِ - **قال:** حدَّثني خالي الحسنُ بن رجاءِ بن أبي الضحَّاكِ، **قال:** حدَّثني الحسنُ بن سَهلٍ، قال: حدَّثني أبو غانمٍ[(٢)] هَرْثَمةُ بن أَعْيُنٍ[(٣)] بمَرْوَ في أوَّلِ أيَّامِ الأمين، قال:

كنتُ[(٤)] اختصصتُ بموسى الهادي، وكنتُ مع ذلك شديدَ الحذر منه؛ لإقدامِهِ على سَفكِ الدِّماء.

فاستدعاني في نصف نهارِ يومٍ شديد الحَرِّ قبلَ أكلي، فارتَعْتُ لذلك، وبَادرتُ إليه، فأدخلني مِن دارٍ إلى دارٍ، حتَّى قَرُبتُ من دار حَرمِه، فدخلَ دارًا وجلسَ، ثمَّ صرفَ جميعَ مَن كان بحضرتِه، وقال لي: اخرج فأَغلِقْ بابَ هذه الحُجرةِ، وَعُد إليَّ.

---

(١) في النسخ (الجرجاني) وهو تصحيفٌ، والمثبت كما في الباب الخامس، وينظر: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (٣/ ٤٩٤).

(٢) (الجرجاني وهو... أبو غانم) ليست في (ظ).

(٣) هو هرثمة بن أعين الأمير القائد الشجاع، ولاه هارون الرشيد عدة ولاياتٍ (مصر، ثم إفريقية، فخراسان). كان له عنايةٌ بالعمران، (ت: ٢٠٠هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٢١٢)، و«الأعلام» (٨/ ٨١).

(٤) (أول أيام الأمين، قال: كنت) في (ر): (أيام الأمين قال: قد).

فازددتُ جزَعًا، وفعلتُ ما أَمرَ، وعُدْتُ.

فقالَ لي: قد تأذَّيتُ بهذا المُلحدِ يحيى بن خالدٍ، ليس له فِكرٌ إلَّا في تضريبِ الرجالِ عَليَّ، واجتذابِهم إلى صاحبه هارونَ، يُريدُ أن يقتُلَني، ويسوقَ الخلافةَ إليه، وأريدُ أن تمضيَ اللَّيلةَ إلى هارونَ، وتقبضَ عليه، وتذبحَهُ، وتجيئَني برأسه، إمَّا أن تفعلَ ذلك به في دارِه، وتحتاطَ في التدبيرِ حتَّى لا يفوتَك، أو أن تُخرِجَهُ مِن دارِه برسالةٍ منِّي تستدعيه فيها إلى حضرتي، ثمَّ تَعدِلَ به إلى دارِكَ، فتقتُلَهُ، وتجيئَني برأسِه. [ظ/١٥٠]

فورد عليَّ أعظمُ موردٍ، وقلتُ: يأذنُ لي[1] أميرُ المؤمنينَ، في الكلام؟

قال: قل.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أخوكَ وابنُ أمِّكَ وأبيكَ، وله عهدٌ بعدَكَ، فكيف تكونُ صورتُنا، عند الله عَزَّوَجَلَّ أوَّلًا، ثمَّ عندَ الجيش؟

فقال: إنَّك إن فعلتَ هذا، وإلَّا ضَربتُ عُنقكَ السَّاعةَ.

فقلتُ: السَّمعَ والطَّاعةَ.

ثم قال: وأريدُ إذا فرغْتَ من هذا اللَّيلةَ أن تُخرِجَ جميعَ مَن في الحبس من الطالبيِّينَ في غَدٍ، فتَضرِبَ رِقابَهم، وتُغرِقَ جُثَثَهم.

فقلتُ: السَّمعَ والطَّاعةَ.

---

(١) (أعظم مورد، وقلت: يأذن لي) في (ظ): (أعظم وارد فقلت: تأذن)، وفي (ر): (أعظم وارد وقلت: يأذن).

قال: ثمَّ ترحلَ إلى الكوفةِ بجميعِ مَن معكَ من الجيشِ، وتضمَّ أضعافَهم من الجيش المقيمِ بالباب[1]، فتُخرِجَ عنها جميعَ مَن بها من العبَّاسِيِّينَ وشيعَتِهم، وعُمَّالي المتصرِّفينَ معهم، ثمَّ تَضرِمَها بالنَّار، حتَّى تحترقَ هي وجميعُ مَن فيها، وتَخرِبَها فلا يبقى فيها جدارٌ.

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، هذا أمرٌ عظيم.

فقال: نعم هؤلاء أعداؤنا، وشيعةُ بني أبي طالبٍ، وكلُّ آفةٍ تَرِدُ علينا فهي مِن جهتهم، ولا بُدَّ مِن هذا كُلِّه.

فقلتُ: السَّمعَ والطَّاعةَ.

فقال: لا تبرحْ مِن مكانِكَ، حتَّى إذا انتصفَ الليلُ رَكِبتَ إلى هارون.

فقلتُ: السَّمعَ والطَّاعةَ.

ونهضَ عن موضعه، ودخل إلى دُور النِّساء، وجلستُ مكاني، فلم أشكَّ في أنَّه سيَقتلُني[2]، ويُدبِّرُ هذا الأمرَ على يد غيري؛ لما أظهرتُ له من الجزعِ عند كلِّ بابٍ منها، والتخطئةِ لرأيه، والامتناعِ عليه، ثمَّ الإجابةِ كارهًا، وقد علم الله عَزَّوَجَلَّ أنِّي ما أجبتُه إلَّا على أن أخرجَ من حضرته، فأركبَ فرسي مِن بابه، وألحقَ بطرفٍ من أطرافِ الأرض، وأخرجَ من جميع نعمتي، وأكونَ بحيثُ لا يصلُ إليَّ، حتَّى يموتَ أحدُنا.

---

(١) (وتضم أضعافهم من الجيش المقيم بالباب) ليست في (ظ).

(٢) (سيقتلني) في (ظ): (قد قبض عليّ ليقتلني)، وفي (ر): (قد قبضَ عليَّ، وأنه سيقتلني).

فلمَّا اعتقلني، ودخلَ إلى دُورِ الحرمِ، لم أشكَّ في أنَّه قد فَطِنَ لِغرضي، وأنَّه سيقتلُني؛ لِئلَّا يفشوَ السِّرُّ، فوردَتْ عليَّ شِدَّةٌ شديدةٌ، وزادَ الغَمُّ عَليَّ مع انقطاع الحيلةِ بي، فطَرحتُ نفسي بالغَمِّ والجوعِ والحَرِّ، وجعلتُ رأسي على عَتبةِ باب المجلسِ، ونِمتُ.

فما انتبهتُ إلَّا بخادمٍ قد أيقظَني، وقال: أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ. فإذا الوقتُ قريبٌ من نصف اللَّيل.

فقلت: إنَّا لله، عزم والله على قتلي. وأقبلتُ أتشاهد، ومشيتُ مع الخادم إلى مَمرٍّ سمعتُ فيه كلامَ نساءٍ.

فقلت في نفسي: عزمَ على قتلي بحُجَّةٍ، فهو يُدخِلُني دورَ الحرَمِ، ثم يقول لي: من أذن لك في الدُّخول على حَرمي؟ ويعتلُّ عليَّ بذلك، فيقتلُني، فوقفتُ. [ص/١١٠]

فقال ليَ الخادمُ: ادخُل.

فقلت: لا أدخلُ، ولا يجوزُ لي أن أدخلَ(١).

فقال: ويحكَ ادخُل.

فقلت: هو ذا أسمعُ صوتَ الحَرم، ولا يجوزُ أن أدخلَ.

فقال: ويحكَ، ادخُل.

فصِحتُ وقلتُ: والله، لا دخلتُ، ولو ضربتَ عُنقي، أو أسمعَ كلامَ أميرِ المؤمنينَ بالإذن لي في الدخول.

---

(١) (ولا يجوز لي أن أدخل) ليست في (ض، ظ).

فإذا امرأةٌ تصيحُ وتقولُ: يا هرثمةُ، أنا الخَيْزُرانُ[1]، وقد حدثَ أمرٌ عظيمٌ استدعيتكَ له، فادخل.

فوردَ عليَّ ما تحيَّرتُ منه، ودخلتُ، فإذا بستارةٍ ممدودةٍ، فقالت لي من ورائها: إنَّ موسى قد ماتَ، وأراحكَ الله جلَّ وعزَّ والمسلمينَ منه، فادخُل فانظُرْ إليه، فأتيتُه، فإذا هو مُسجًّى على سريرٍ، فمسَستُ قَلبَهُ ومَجسَّهُ، ومَناخِرَه، فإذا هو مَيْتٌ بلا شكٍّ. [ر/ ٧٠]

فقلتُ: ما كان خبره؟

فقالت لي الخيزرانُ: إنِّي قد كنتُ بحيثُ أسمعُ خطابَهُ لك في أمر ابني هارونَ، وفي أمرِ المُحبَسينَ الطالبِيِّينَ وفي أمرِ الكوفةِ[2]، فلمَّا دخل عَليَّ استعطفتُه، وسألته أن لا يفعلَ من ذلكَ شيئًا، فصاح عليَّ، فلم أزل أَرفقُ به إلى أن بكيت، وتمرَّغتُ بين يديه، وأقسمتُ عليه بالله عَزَّوَجَلَّ أن لا يفعلَ. فانتهرَني، وقال: والله لئن لم تُمسكي[3]؛ لَأضرِبنَّ عُنقَكِ السَّاعةَ.

فخِفتُه، وقُمت، فصَففتُ قدميَّ في المحرابِ، أُصلِّي، وأبكي، وأدعو الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

---

(١) هي الخَيْزُرانُ الجرشيَّة، زوجة المهديِّ العباسيِّ، وأمُّ ابنيه الهادي وهارون الرشيد: ملكةٌ حازمةٌ متفقِّهةٌ، يمانيَّة الأصل، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، وكانت من جواري المهديِّ، وأعتقها وتزوجها. ماتت في زمن الرشيد (١٧٣هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ٦١٥)، و«الأعلام» (٢/ ٣٢٨).

(٢) في (ظ) زيادة: (وأمر الطالبيين وأهل الكوفة)، وفي (ر): (وفي أمر المحبسين الطالبيين وفي أمر الكوفة).

(٣) في (ر): (تسكتي).

فلمَّا كان منذُ ساعةٍ، طرحَ نفسَهُ على فِراشه لينامَ، فشرقَ، فتداركناه بكُوز
[ظ/١٥١] ماءٍ، فشَرِبَ منه، فازدادَ شَرقُه إلى أن ماتَ، فقُمْ إلى يَحيى بن خالدٍ، وعَرِّفهُ ما كان خاطبكَ به، والخبرَ كُلَّهُ وما جرى، وامضيا إلى هارونَ، وجيئا به قبلَ أن ينتشرَ الخبرُ، وجَدِّدِ البيعةَ على النَّاس.

قال: فقُمتُ وفعلتُ ذلك، وجئتُ بالرشيد، فما أصبحنا إلَّا وقد فرغنا من بَيعَتِه، واستقامَ أَمرُه، وتوطَّأت له الخلافةُ، وكفاني الله عَزَّوَجَلَّ والنّاسَ ما كان قد أظلَّنا مِن مكروه موسى، وكان ذلك سببَ اختصاصي العظيم بالرشيد، وتضاعُفِ نِعمتي ومَحلِّي عنده[1].

(١) ينظر: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (٣/ ٤٩٤).

[٧: ٢٢] [صاعدُ بنُ مَخْلَدٍ يُقلِّدُ ديوانَ الجُندِ بحِنْكة أخيه عبدونَ]

حدَّثني عليُّ بن هشامٍ، قال: سمعتُ أبا الحسن عليَّ بن محمَّدِ بن الفرات يتحدَّث أنَّ أبا جعفرٍ محمَّد بن موسى بن الفرات -وكان يخلفُ أبا نوحٍ عيسى بن إبراهيمَ على ديوان الضياع- حدَّثه أنَّه كانت[1] في يد[2] صاعدِ بن مَخْلَدٍ[3] ضماناتٌ كثيرةٌ، وكانت إليه أعمالُ معاملته فيها مع أبي نوحٍ[4]، وكان صاعدٌ إذ ذاك من وجوه النَّاس، ولم يكن بلغَ مبالغ الكبار.

فحضرَ عنده صاعدٌ في أوَّل خلافة المعتزِّ، ونحنُ حضورٌ، فطالبه أبو نوحٍ بأموالٍ وجبَتْ عليه، وجرت بينهما مناظراتٌ أدَّتْ إلى أن شَطِعَ[5] من الجواب، فاغتاظَ أبو نوحٍ وأغضبَه[6]، فردَّ عليه صاعدٌ مثلَ ما قال له.

---

(١) (سمعت أبا الحسن... كانت) في (ظ): (كان)، وفي (ر): (سمعت أبا الحسن علي بن محمَّد بن الفرات يتحدث أن أباه أبا جعفر محمَّد بن موسى بن الحسين بن الفرات -وكان خلف أبا نوح عيسى بن إبراهيم على ديوان الضياع- حدثه أنه كان).

(٢) في (ر): (يدي).

(٣) في (ض) زيادة: (ضياع).
هو صاعد بن مَخْلَدٍ، وزيرٌ من أهل بغدادَ. كان نصرانيًّا، وأسلم على يد الموفَّق العباسيِّ. واستكتبَهُ الموفَّق سنةَ (٢٦٥هـ)، ووجَّهه في المهمَّات، ولُقِّبَ بذي الوزارتين، (ت: ٢٧٦هـ). ينظر: «المنتظم» (١٢/ ٢٧٥)، و«الأعلام» (٣/ ١٨٧).

(٤) (إليه أعمال معاملته فيها مع أبي نوح) في (ظ): (معاملته مع أبي نوح عيسى بن إبراهيم)، وفي (ر): (إليه أعمال معامليه فيها مع أبي نوح).

(٥) **شَطِعَ**: جَزِع وضَجِرَ من مَرضٍ ونحوه. ينظر: «تاج العروس» (ش ط ع).

(٦) (وأغضبه) في (ر): (وأعضَّه). ومعنى **أعضَّه**: قال له: عُضَّ هن أبيك، وفي الحديث: «فأَعِضُّوهُ=

فاستعظمَ مَن حضر ذلك، واستخفُّوا به، وقالوا: يا مجنونُ! ما هذا الفعل؟ قتلتَ نفسكَ، قم قم. فأقاموه، وخلَّصوه من أن يُمَثِّل به أبو نوحٍ في الحال، وقالوا له[1]: هذا مجنونٌ، ولم يَدرِ ما خرجَ مِن فيه[2].

فانصرفَ صاعدٌ إلى منزله، مُثخَنًا مُتحيِّرًا، لا يدري ما يعملُ فيما قد نزلَ به، فحدَّثَ أخاهُ عبدونَ[3] بما جرى.

فقال له: إن لم تُطِعْني، فأنت غدًا مقبوضٌ عليكَ، ومُطالَبٌ من المصادرة بما لا يفي به حالُك، ولا حالُ جميع[4] أهلك، ومقتولٌ بلا شكٍّ تشفِّيًا[5] منك.

قال له صاعد: فما الرأي؟

قال: كم عندكَ من المال العتيد الصامت، اصدُقني عن جميعِه[6]؟

قال: خمسونَ ألفَ دينار.

قال: قل لي: تسمحُ نفسُكَ أن تتعرَّى عنها، وترميَ بها كأن لم تكن، وتُعِزَّ نفسَك، وتحرسَ دمكَ، وما بقيَ مِن حالك وضياعِك وعقارِك، وتصيرَ من

= بهَنِ أَبيه». ينظر: «الصحاح» (ع ض ض)، و«مسند أحمد» (٢١٢٣٦).

(١) (من أن يمثل به أبو نوح في الحال وقالوا له) في (ظ): (من أبي نوح وقالوا).

(٢) في (ظ): (رأسه)، وفي (ر): (فكيه).

(٣) هو عبدون بن مخلد، أخو صاعد بن مخلد، كان ناقص الصنعة شديد التخلف، (ت: ٣١٠هـ) مترهبًا في دير عبدون، المسمَّى بذلك نسبةً له. ينظر: «الديارات للشابشتي» (ص: ٢٧٠)، و«الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة» (ص: ١٢٢).

(٤) في (ض) زيادة: (من عرفك من).

(٥) (تشفيا) في (ض): (بشقاءٍ).

(٦) (العتيد الصامت، اصدقني عن جميعه) (ظ): (واصدقني).

أجلَّاء الناس؟ أم لا تَسمحُ بذلك، فتُؤخَذُ الدنانيرُ منكَ تحتَ المقارعِ، وتذهبُ الضيعةُ والنعمةُ كلُّها، وتتلَفُ النفس؟

ففكَّرَ طويلًا، ثمَّ قال: تعرَّيتُ عنها في عزِّ[1] نفسي.

قال: وجاءَ إلى صاحبِ موسى بن بغا[2] وقتَ عتَمةٍ، فقال له: أوصلني إلى فلانٍ الخادم.

قال: وكان هذا الخادم يطيعه موسى في كل أمره، وموسى إذ ذاك هو الخليفة، وكَتبتُه كالوزراءِ، والأمورُ في يده، والخليفةُ في حِجْره.

قال: فأخذَ الحاجبُ المالَ، وأوصلَهُ إلى الخادم، فأحضرَه العشرينَ ألفَ درهمٍ الباقيةَ، وقال: خُذْ هذه هديّةً إليكَ، وتوصِلُني إلى الأمير السَّاعةَ، وتُعاوِنُني عليه في حاجةٍ أريدُ أن أسألَهُ إيَّاها، ومشورةٍ أشيرُ عليه بها، فأوصلَهُ الخادم.

فلمَّا مثلَ بين يديهِ، سعى إليه بكتابِه، وقال له: قد نهبوكَ، واقتطعوا مالَك، وأخربوا ضياعَك، وأخي يجعلُ كتبتكَ أجلَّ مِن الوزارة، ويتغلَّبُ لكَ على الأمور، ويُوفِّرُ عليكَ كذا وكذا، ويحملُ إليكَ اللَّيلةَ من قبل أن ينتصفَ اللَّيلُ خمسين ألف دينارٍ عَيْنًا، هديَّةً منه إليكَ، لا يريدُ عليها مكافأةً، ولا يرتَجِعُها من مالِكَ، وتَستكتِبُه، وتخلَعُ عليه.

قال: فقال موسى: أُفكِّرُ في الأمر؟

---

(١) (عز) في (ظ): (تَبقِّي).

(٢) هو موسى بن بغا الكبير، أبو عمران، أحدُ قُوَّاد المتوكِّل الذين قَدِموا معه دمشقَ، (ت: ٢٦٤هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٦٠/ ٤٠١).

فقال: ليس في هذا فِكرٌ. وألحَّ عليه.

قال: فقال له[1] الخادمُ: في الدُّنيا أحدٌ جاءه هذا المالُ العظيم[2]، فردَّهُ! وكاتبٌ بكاتبٍ، والمالُ رِبحٌ؟

قال: فأجابَهُ وصافحَهُ[3].

فقال له: فتُنْفِذُ الساعةَ مَن يُحضِرُكَ أخي، فتُشافِهُه بذلك.

قال: فأنفذَ إليه مَن استحضرَهُ، وقرَّرَ عليه ذلك[4]، وباتَ عبدونُ في الدَّار، وقلَّد موسى كتبةَ صاعدٍ في الحال، وأمرَهُ بالرُّكوبِ إليه لِيخلعَ عليه، وتقدَّمَ إلى النُّقباءِ أن يُباكِرُوا الرجالَ ويُحضِروهم؛ لِيَركبوا معه.

قال: وبكَّرَ صاعدٌ، وليس عند أحدٍ له خَبرٌ، فخلعَ عليه موسى بن بغا لِكتبَتِه، وركبَ الجيشُ على بَكْرَةِ أبيهم معه، فانقلبت سرَّ مَن رأى[5] بظهور هذا الخبر.

فبكَّرَ بعضُ المتصرِّفينَ إلى الحسن بن مَخْلَدٍ، وكان صديقًا لأبي نوحٍ، فقال له: أعرفت خبر صاعد؟

فقال: نعم، وقد بلغكَ ما عاملني به؟ واللهِ لأفعلنَّ به ولَأصنعَنْ.

---

(١) (قال: فقال له) في (ظ): (فقال)، وفي (ر): (قال: وقال له).

(٢) (هذا المال العظيم) في (ظ): (مثل هذا المال ربح)، وفي (ر): (هذا المال العظيم دفعة).

(٣) (وصافحه) في (ظ): (موسى وأنعم له).

(٤) (وقرَّر عليه ذلك) ليست في (ض، ر).

(٥) (سر من رأى) في (ظ): (سامراء).

قال: أنتَ نائمٌ، ليس هذا أردتُ، ولكن قد وَلِيَ الرجلُ كِتْبَةَ الأميرِ[1] موسى بن بغا، وخلعَ عليه السَّاعةَ، وركبَ الجيشُ بأسرِه معه إلى داره. [ض/١١١]

فقال أبو نوح: هذا ما لم نَظُنَّه[2]، باتَ خائفًا منَّا، وأصبحنا خائفينَ منه، فما الرَّأيُ عندك؟

قال: أنا أُصلِحُ بينكما السَّاعةَ.

قال: فركبَ الحسنُ بن مَخْلَدٍ إلى صاعدٍ، وهنَّأَهُ، وأشارَ عليه أن يصالحَ أبا نوحٍ، وقال له: وأنتَ بلا زوجةٍ، وأنا أجعلُكَ صِهرَهُ، وتعتضِدُ به، فإنَّكَ وإن كنتَ قد نصرْتَ عليهِ، فهو مَن تعلَمُ موضِعَهُ ومحلَّهُ، وتتجمَّلُ بمصاهرتِه ومَودَّتِه، وأنتَ جنيتَ على الرَّجل. قال: ولم يَدعْهُ حتَّى أجابَ إلى الصُّلح والمصاهرة.

فقال له: فتركبُ معي إليهِ، فإنَّه أبو البنت، والزَّوجُ يقصدُ المرأةَ، ولولا ذلكَ لَجاءَكَ.

قال: فحملَه من يومه إلى أبي نوحٍ، فاصطلحا، ووقعَ العقدُ في الحال بينهما، وزوَّج أبو نوحٍ في ذلك المجلسِ بِنتَهُ الأخرى بالعبَّاس بن الحَسنِ بن مَخْلَدٍ، فولدت له أبا عيسى، المعروف بابن بنت أبي نوحٍ، صاحبِ بيت مالِ الإعطاء، ثمَّ تقلَّد ديوانَ زمامِ الجيش لِعَمِّهِ سُليمانَ بن الحسَن، وكان[3] أصغرَ سِنًّا من أبيه.

---

(١) (أعرفت خبر صاعد... كتبة الأمير) في (ض): (قد خلعَ على صاعدٍ. قال: لأيِّ شيءٍ؟ قال: تقلد كِتبَة).

(٢) (هذا ما لم نظنه) في (ظ): (هذا ما ظننته).

(٣) أي: عمُّه.

وكانت كِتْبَةُ صاعدٍ لموسى ومصاهرتُه لأبي نوحٍ أوَّلَ مرتبةٍ عظيمةٍ بلغَها، ثمَّ تقلَّبت به الحالُ حتَّى تقلَّدَ الوزارةَ[1].

(١) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٧٨).

[٧: ٢٣] [عبَّادُ بن الحَرِيش وخبره مع عمرو بن الليث]

حدَّثني أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ عُبيد الله الكاتبُ الشيرازيُّ المعروفُ بابن المَرزُبانِ، **قال:** حدَّثني رجلٌ من شيوخ المتصرِّفينَ ببلدنا، يقالُ له: عَبَّادُ بن الحَرِيشِ[1]، **قال:** لما صحبَ عليُّ بن المرزبانِ عمُّ أبيكَ عمرَو بن اللَّيث[2]، تَرقَّتْ حالُه معه، حتَّى قلَّده عمالةَ شيرازَ، فصادرَ المتصرِّفينَ على أموالٍ ألزمَهم إيَّاها، وكنتُ ممَّن أخذَ خطَّهُ على العمل الذي كنت أليه بثمانينَ ألفَ درهمٍ، فأدَّيتُ منها أربعينَ ألفًا، ونفدَتْ حيلتي وحالي، ولم يبقَ لي في الدنيا إلَّا داري التي أَسكُنها، ولا قدرَ لِثمنها فيما بقي عَليَّ، فلم أَدرِ ما أعمل.

وفكرت فوجدت علي بن المرزبان رجلا حرا سليم الصدر، فبكرت من الغد قبل طلوع الفجر، فدققت بابه.

فقال لي غلامٌ كان يَجري منه مجرَى الحاجبِ مِن خلف الباب: مَن أنت؟

فقلتُ: عبَّادُ بن الحَرِيش.

قال: في هذا الوقت؟

---

(١) هو من الكُتَّاب الشعراء ذو ذكاءٍ وبديهةٍ، له ذكر في «بدائع البدائه» (ص: ٢١٧).

(٢) هو عمرو بن الليث الصفار، كان ضرابًا في الصفر، فآل به الحالُ إلى السَّلطنة، تملَّكَ بعدَ أخيه، وأحسنَ السياسةَ، وعدَلَ، وعظمت دولته، وأطاعَ الخليفة، (ت: ٢٨٩هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥١٦).

قلت: مُهِمٌّ.

ففتحَ لي، فدخلتُ، وشكوتُ إليه حالي، وقلت: أَدخِلني إليه، قبلَ تكاثُرِ النَّاسِ عليه، فإن فرَّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عنِّي فعلتُ بك وفعلت.

قال: فدخلَ، فاستأذنَ لي، وتلطَّفَ، حتَّى أوصلَني إليه وهو يَستاكُ. [ر/٧١]

فقال: ما جاءَ بك في هذا الوقت؟

فدعوتُ له، وقلتُ: بشارةٌ رأيتُها البارحةَ.

قال: ما هي؟

قلتُ: رأيتُك في النَّوم كأنَّكَ تجيءُ إلى شيرازَ مِن حضرة الأمير، وتحتكَ فَرَسٌ أشهبُ عظيمٌ، لم يُرَ قَطُّ أَحْسَنُ منه، وعليك السوادُ، وقلنسوة الأمير، وفي يدكَ خاتَمهُ، وحواليكَ مئةُ ألفِ إنسانٍ من فارسٍ وراجلٍ قد تلقَّوكَ، وأنا فيهم إلى العقبةِ الفلانيَّة، وقد تَلقَّاكَ أميرُ البلد، فترجَّلَ لك وأنتَ تَجُوز، وطريقُكَ كلُّه أخضَرُ مُنوَّرٌ مُزهِرٌ، والنَّاس يقولون: إنَّ الأميرَ قد استخلفكَ على جميع أَمرِه[1].

فقال: خيرًا رأيتَ، وخيرًا يكونُ إن شاءَ الله تعالى، فما تريدُ؟

فشكوتُ إليه حالي، وذكرتُ له أمري.

فقال: أنظرُ لك بعشرين ألفَ درهمٍ، وتُؤدِّي عشرينَ ألفًا.

(١) في (ض) زيادة: (قال: وقصصتُ الرؤيا، وهذا معناها).

فحلفتُ بالطلاق[1] أنَّه لم يبقَ لي إلَّا مَسْكَني، وثَمنُه ألفُ درهمٍ، وبكَيتُ، وقبَّلتُ يدَهُ، واضطربتُ بحضرته، فرَحِمَني، وكتبَ إلى الدِّيوانِ بإسقاطِ ذلك عنِّي، وانصرفتُ.

قال: فلم يَمضِ إلَّا شهورٌ حتَّى كتبَ عمرُو بن اللَّيثِ إلى عليِّ بن المَرْزُبانِ، يستدعيهِ، ويأمرُه بحَملِ ما اجتمعَ له من المال.

قال: وكان قد جمعَ له من المالِ ما لم يُسمَعْ قَطُّ باجتماع مثله في وقتٍ واحدٍ من أموالِ[2] فارسَ، فإنَّه كان جمعَ له سِتِّينَ ألفَ ألفَ درهمٍ، قال: وحملها عليٌّ إليه بنيسابورَ، وخرجَ، فتلقَّاهُ عمرُو بن اللَّيثِ بجميع قُوَّادِه وأهلِ عسكره، وأعظمَهُ، وهالَهُ عِظَمُ ذلك المالِ، فاستخلفَهُ على فارسَ وأعمالِها، وحَرْبِها وخَراجِها، وفوَّضَ إليهِ الأمورَ كلَّها، وأَذِنَ له في الحلِّ والعقدِ بغيرِ استئمارٍ، وخلع عليه سَوادًا، وحملهُ على فَرَسٍ أشهبَ عظيمِ الخِلْقة، كان يُعظِّمهُ عمرٌو، ويُكثِرُ رُكوبَه[3]، ودفع إليه خاتمَهُ، وردَّهُ إلى فارسَ. [ظ/١٥٨]

فوافى في زمنِ الرَّبيعِ، ولم يَحُلِ الحَولُ على قِصَّتي معه[4]، وخرجَ أميرُ البلدِ يَستَقبِلُه، وخرج الناسُ فتلقَّوهُ على ثلاثين فرسخًا، وخرجت فلَقِيتُه في مضيقٍ على العقبة التي ذكرتُها في المنام، والدُّنيا على الحقيقةِ خَضراءُ بأزاهير الرَّبيع، وحولَهُ أكثرُ من مئة ألفٍ من الناس، وعليه قلنسوة عمرو بن اللّيث، وفي يده خاتمه،

(١) (بالطلاق) في (ظ): (له بأيمان البيعة).
(٢) قوله: (قط... أموال) في (ظ): (أنه اجتمع قطّ لأحد من مال).
(٣) (ركوبه) في (ر): (ذِكْرَه).
(٤) (قِصَّتي معه) في (ظ): (رؤياي).

وعليه السَّوادُ، وتحتَهُ الفرَسُ الأشهَبُ، وقد تَلقَّاهُ أميرُ البلد، فترجَّلَ له، فحين رأيتُه ترجَّلتُ، ودعوتُ له.

فلمَّا رآني تبسَّمَ، وأخذ بيدي، وأحفى السُّؤالَ بي، ثمَّ فرَّقَ الجيشُ بيني وبينه، فلَحِقتُه إلى الدار، فلم أستطع القُربَ منها؛ لازدحامِ الناس والدَّوابِّ، فانصرفتُ، وباكَرتُه من غدٍ في مثل ذلك الوقت الذي جِئتُه فيه ليلةَ الرؤيا.

فقال لي الحاجبُ: من أنت؟

فقلت: عبَّادُ.

فقال: ادخل. فدخلتُ وهو يَستاكُ، فضَحِكتُ وضَحِكَ، ثمَّ قال: قد صحَّت رُؤياكَ يا عبَّاد.

فقلتُ: الحمد لله.

فقال: لا تبرحِ الدَّارَ حتَّى أنظرَ في أمرك.

قال: وكان بارًّا بأهله، ورَسمُه إذا ولي عملًا أن لا ينظرَ في شيءٍ من أمر نفسه، حتَّى ينظرَ في أَمرِ أهله، فيصرفَ مَن يصلحُ منهم للتصرُّف، ويَرزقَ منهم مَن لا يَصلحُ للتصرُّف، أو يَبرَّه، فإذا فرغَ منهم؛ عدلَ إلى الأخصِّ، فالأخصِّ من حاشيته، فإذا فرغَ من ذلك؛ نظر في أمر نفسه. [ص/١١٢]

قال: فجلستُ في الدَّارِ إلى قُربِ العصرِ، وهو ينظرُ في أمر أهلِه، والتوقيعاتُ تَخرجُ بالصِّلات والأرزاقِ، وكتب التقليدات، إلى أن صاحَ الحاجب: عبَّادُ بن الحَرِيش. فقُمْتُ إليه[1].

فقال: إنِّي ما نظرتُ في أمرِ أحدٍ غيرِ أهلي، ولمَّا فرغتُ منهم بدأتُ بكَ قبلَ النَّاسِ كلِّهم، فاحتكِم ما تريد.

قلتُ: تَردُّ عليَّ المالَ الذي أدَّيتُه، وتُقلِّدُني العملَ الذي صرفْتَني عنه.

قال: فوقَّعَ لي بِرَدِّ المالِ وتقليدِ العملِ، وقال: امضِ، فقد سوَّغتُكَ العملَ[2]، فخُذِ ارتفاعَهُ كُلَّه[3].

قال: وكان يستدعيني في كلِّ مُديدةٍ، ويحاسِبُني، ولا يأخذُ منِّي شيئًا، إنَّما يكتبُ في روزنامجاتٍ[4] مِن مالِ العمل، ويُصْلِح في حسباناتٍ، ويقبلها ويُخلِّدُها في الدِّيوانِ، وأَرجعُ إلى العمل.

---

(١) في (ظ) زيادة: (فأدخلني عليه).

(٢) (سوغتك العمل) في (ظ): (أوزعتك العمل)، وفي (ر): (أوعزتك بالعمل).

(٣) **سَوَّغَ له** كذا؛ أي: أعطاهُ إيَّاهُ. وأيضًا **سوَّغَهُ له**: أباحه، وجوَّزه. **والمرادُ بالتَّسويغِ**: الإذنُ في تَنَاوِلِ الاستِحقاقِ من جهةٍ مُعَيَّنَةٍ، تَيسيرًا وتَسهيلًا على الآخِذِ. ينظر: «المصباح المنير» (س و غ)، و«تاج العروس» (س و غ: ٢٢/ ٥٠٨). **والارتفاعُ**: الغلَّة.

(٤) (في روزنامجاتٍ) وفي (ظ): (لي روزات) في (ض): (إلي رَوْزانٍ) والمثبت من (ن)، **والروزنامجات**: جمع **روزنامجة**: وهي الدفتر اليومي للتجار، فارسي معرَّب. ينظر: «المعجم الذهبي» (ر و ز).

فكنتُ كذلك إلى أن زالت أيَّامُه، فرجَعْتُ إلى شيرازَ، وقد اجتمعَ لي مالٌ عظيمٌ، صودِرْتُ منه على شيءٍ يسيرٍ[1]، وجلستُ في بيتي، وعقدتُ نِعمةً بالمال، ولم أطلب تَصرُّفًا إلى الآن[2].

(١) (منه على شيء يسير) في (ظ): (على بعضه)، وفي (ر): (منه).

(٢) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٢٤٠).

[٧: ٢٤] [شرُّ السُّلطانِ يُدفَعُ بالمماطلة]

حدَّثني عبدُ الله بن محمَّدِ بن أبي عَلَّانٍ الأهوازيُّ(١)، قال: حدَّثني جدِّي أبو القاسمِ ابن أبي عَلَّانٍ(٢)، وقد جرى حديثُ السُّلطانِ، وأنَّ شرَّهُ يجبُ أن يُدفعَ بالسَّاعات، قال:

وردَ إلينا أبو يوسفَ البريديُّ(٣)، كاتبُ السيِّدة أمِّ المقتدرِ، فطالبني وأبا يحيى بن زكريَّا الرَّامَهُرْمُزيَّ(٤) أن نضمنَ منه ضياعَ السيِّدةِ، وشدَّدَ علينا، ونحن ممتنعونَ، إلى أن أخلى لنا مَجلِسَهُ يومَ خميسٍ، وناظرَنا مناظرةً طويلةً، وشدَّدَ علينا أمرًا عظيمًا، كِدنا معه أن نُجيبَهُ، وكان علينا في ذلك ضررٌ كبيرٌ، وخُسرانٌ ظاهرٌ لو أجبناه.

---

(١) هو عبد الله بن محمَّد بن مهرويهِ بن أبي عَلَّان، أبو محمَّد، قاضي الأهواز، أحد شيوخ المعتزلة، له مصنفات كثيرة من جملتها: «معجزات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، (ت: ٤٠٩هـ). ينظر: «نشوار المحاضرة» (١/ ٢١١)، و«المنتظم» (١٥/ ١٢٩).

(٢) يعني جدَّه مهرويه بن أبي علَّان.

(٣) هو يعقوب بن محمَّد البريديُّ، ولَّاه وزير المقتدر الحسين بن القاسم ولايةَ البصرة، وهو أحد ثلاثة إخوةٍ، عاثوا في العراق فسادًا، أكبرهم: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد البريدي، والثاني يعقوب هذا، والثالث أبو الحسين عليُّ بن محمَّد، وكانت نهاية يعقوب على يد أخيه أحمد، الذي اتهمه بالاستحواذ على مال الخراج وقتله. ينظر: «نشوار المحاضرة» (٧/ ٢٠٤)، و«تجارب الأمم» (٥/ ٣٠٤)، و«الكامل في التاريخ» (٦/ ٧٦٦).

(٤) وهو زكريا بن محمَّد بن زكريا الرامهرمزي. صرَّح المؤلِّف باسمه في «نشوار المحاضرة» (٢/ ١٥٩).

فقلت لأبي يحيى: اجتهِدْ في أن تدفعَ المجلسَ اليومَ؛ لِنُفكِّرَ إذا انصرفنا كيف نعمل.

قال: وكان أبو يوسفَ مِحْداثًا طَيِّبَ الحديثِ، فجرَّهُ أبو يحيى إلى المحادثةِ، واستلبَ هو الحديثَ، وسكتَ أبو يحيى.

قال: وكان عادةُ أبي يوسفَ في كلامِه أن يقولَ في كلِّ قطعةٍ مِن حديثه: أفهمتَ؟

قال: فكلما قال أبو يوسف لأبي يحيى: أفهمت؟[1] يقول: لا، فيعيدُ الحديثَ، ويَخرجُ منه إلى حديثٍ آخرَ.

فلم يزل كذلكَ إلى أن حَمِيَ النهارُ، وقَرُبت الشمسُ مِن موضعِنا، فرجعَ أبو يوسفَ إلى حديثِ الضَّمان، وطالبَنا بالعقد. فقلتُ له: قد حَمِيَ النهارُ، وهذا لا يتقرَّرُ[2] في ساعةٍ، ولكن نعودُ غدًا، ورفقنا به.

فقال: انصرفا. فانصرفنا.

واستدعانا مِن غدٍ، فكتبنا إليه: إنَّه يومُ جمعةٍ، وهو يومٌ ضَيِّقٌ، ونحتاجُ فيه إلى دخول الحمَّامِ والصَّلاةِ، وقلَّ أمرٌ يتمُّ إذا ابتُدِئَ به يومَ الجمعة قبلَ الصَّلاة، ولكنَّا نُباكِرُكَ يومَ السبت. فاندفعَ.

(١) (قال: فكلما قال أبو يوسف لأبي يحيى: أفهمت) ليست في (ض).

(٢) (قد حمي النهار وهذا لا يتقرر) في (ظ): (إنه قد حمي الوقت وهذا لا يتقرر)، وفي (ر): (له: قد حمي النهار، وهذا لا ينعقد).

واستدعانا يومَ السبت، وقد[1] وضعنا في أنفُسِنا الإجابةَ؛ إذ لم نَجِدْ منها بُدًّا، وعندنا يأسٌ من أن تنجعَ الحيلةُ في دفعه.

فحين دخلنا عليه وردَ عليه كتابٌ، فقرأَهُ، وشغلَ قلبَهُ، فقال: انصرِفا اليومَ. فانصرفنا.

ورحلَ من الغد عن[2] الأهواز؛ لأنَّ الكتابَ كان يتضمَّن أمرَ صَرفِه، فبادرَ قبلَ ورودِ الصَّارفِ، وكُفينا أمرَهُ بعون الله تعالى[3].

---

(١) (فاندفع واستدعانا يوم السبت وقد) في (ظ): (فلما كان يوم السبت صرنا إليه و).

(٢) (من الغد عن) في (ض): (بعد ساعة من).

(٣) أورد المؤلِّف في «نشوار المحاضرة» (١/ ٢١١) قصةً قريبةً منها مع اختلافٍ في التفاصيل.

[٧: ٢٥] [أراد نقض رسومهم فصرفهُ اللَّه عن التصرُّف]

[ظ/١٥٩]

قال[١]: وورد إلينا في وقتٍ من الأوقات بعضُ العُمَّالِ مُتقلِّدًا للأهوازِ من قِبَلِ السُّلطان، وقد أسماه ونسيَهُ[٢] الذي حدَّثني، قال: فتتبَّع رسومَنا[٣]، ورام نقضَ شيءٍ منها.

وكنتُ أنا وجماعةٌ من التُّنَّاء[٤] في تلك المطالبة، وكان فيها ذهاب غلَّاتِنا في تلك السَّنةِ لو تمَّ علينا، وذهابُ أكثرِ قيمةِ ضياعنا.

قال: فقالت لي الجماعةُ: ليس لنا غيرُك يخلو بهذا الرجل، ويبذلُ له مرفقًا جليلًا، ويكفينا أمرَه.

قال: فجِئتُه، وخلوتُ به، وبذلتُ له مرفقًا جليلًا، فلم يقبَلْه، ودخلتُ عليه بالكلام مِن غير وجهٍ، فما لانَ، ولا أجابَ.

قال: ويَئِستُ منه، وكِدتُ أن أقومَ خائبًا؛ قال: فقلتُ له في عرض الكلام[٥]:

---

(١) هو ابن أبي علان، عبد الله بن محمَّد بن مهرويه الأهوازيُّ، راوي القصة السابقة.

(٢) (ونسيه) في (ض): (وأنسبه).

(٣) (رسومنا) في (ض): (رسومًا). **والرُّسوم**: جمع رَسْم، وهي الأوامرُ التي تصدر عن السلطان ونحوه، وتُطلَقُ أيضًا على التصرفات المقرَّرة بأمر السلطان، وهذا المعنى المراد هنا. يقال: رَسمٌ، ومرسومٌ. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (ر س م) و(ع ل م).

(٤) **والتُّنَّاء**: سُكَّان البلد المولودون فيه. وعكسه الطُّرَّاء. ينظر: «المحيط في اللغة» (ت ن أ)، و«أساس البلاغة» (ط ر أ).

(٥) (أن أقوم خائبًا؛ قال: فقلت له في عرض الكلام) في (ظ): (أن أقوم قلت له)، وفي (ر): (أقوم =

يا هذا الرجلُ، أنتَ مقيمٌ في هذا الأمر على خَطَر[1] شديدٍ؛ لأنَّك تَظلِمُنا، وتزيلُ رُسومَنا من حيث لا يحمدكَ السُّلطان، ولا تنتفعُ أنتَ بذلك.

ومع هذا فأخبرني، هل تأمنُ أن تكونَ قد صُرِفتَ، وكتابُ صرفِكَ في الطَّريق، يَرِدُ عليكَ بعدَ يومينِ أو ثلاثةٍ، فتكونُ قد أهلكْتَنا، وأَثِمتَ في أمورِنا، وفاتكَ هذا المرفقُ الجليل، ولعلَّنا نحن نُكفى، ويجيءُ غيرُك فلا يطالبنا، أو يطالِبُنا فنبذلُ له هذا المرفقَ، فيقبلُه، ويكونُ الضَّررُ إنَّما يدخلُ عليك وحدك.

قال: فحينَ سمع هذا وافقَ، كأنَّه قد علم من أمره[2] ضعفًا ببغدادَ، أو تَلوُّنًا عليه، فاعتقدَ أنَّ لي ببغدادَ من يُكاتِبُني بالأخبار، وأنِّي قد أحسستُ بانحلال أَمرِه، فأخذ يخاطبني بمخاطبة مَن قد وقع له أنَّه قد وقع إليَّ هذا، قال: فقوَّيتُه في نفسه، فأجابَ إلى أخذِ المرفق، وإزالة المطالبة.

فسلَّمتُ إليه رِقاعًا إلى الصيارفِ بالمال، وأخذتُ منه حُجَّةً بزوالِ المطالبةِ، [ر/٧٢] فانصرفتُ وقد بلغتُ ما أردْتُ.

قال: فلمَّا كان بعدَ خمسةِ أيَّامٍ عددًا، لا تزيدُ يومًا، ورد عليه الكتابُ بالصَّرف، قال: فدخلتُ إليه، فأخذَ يشكرُني ويُخبِرُني بما جرى وبما وردَ عليه، فأوهمتُه أنِّي كنت قلتُ له ذلك على أصلٍ، وكُفينا تلك المطالبةَ[3].

= خائبًا قال: فقلت له في عرض الكلام).

(١) في (ض): (خطأ).

(٢) (كأنه قد علم من أمره) في (ض، ر): (إن كان قد علم أمر نفسه).

(٣) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٢٧٠).

[٧: ٢٦] [سيف الدولة والشيخ الموصليُّ الضرير]

[ظ/١٦٠]

قال: وحدَّثني عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ معروفٍ، [أبو] القاسمِ(١)**، قال:** دخلتُ بحلبَ إلى أبي محمَّدٍ الحسنِ بنِ محمَّدٍ الصِّلْحيِّ الكاتبِ، وأبي القاسمِ ابنِ المغربيِّ(٢)، أُسلِّمُ عليهما، وكانا في صحبة الأميرِ سيف الدولة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهما في دارٍ واحدةٍ نازلان؛ لِضيق الدُّور بحلبَ، وكثرة عسكر سيف الدولة(٣).

وكان وكيلُ كلِّ واحدٍ منهما يُبكِّرُ، فيقيمُ لهما ولغِلمانِهما جميعَ ما يُحتاجُ إليه للمائدة والوظائف، فإذا كان من الغدِ بكَّرَ وكيلُ الآخرِ، فأقامَ الوظائفَ لهما ولغِلمانِهما على هذا.

فلمَّا استقررتُ عندهما، دخلَ عليهما شيخٌ ضريرٌ، فسلَّمَ وجلسَ، ثم قال: إنَّ لي بالأميرِ سيفِ الدولةِ حُرمةً قديمةً وجِوارًا واختصاصًا أيَّامَ مُقامِه بالموصل، وقد لَحِقَني مِحَنٌ وشَدائِدُ، أمَّلتُه لِكشفها، فقصدتُه، وهذه رُقعتي إليه، فإن رأيتما أن تتفضَّلا بعرضها عليه(٤)، فَعلتُما، وأخرجَ رُقعةً طويلةً جدًّا.

---

(١) هو أبو القاسم عبدُ الله بن أحمد بن معروف، أخو قاضي القضاة أبي محمَّد عبيد الله بن أحمد بن معروف، هكذا ذكر المؤلِّف في «نشوار المحاضرة» (٣/ ١٧٣).
في (ض): (بن القاسم)، وليس في النسخ الأخرى.

(٢) هو الحسين بن علي بن محمَّد بن يوسف بن بحر، أبو القاسم بن أبي الحسن المغربي الكاتب، جَدُّ أبي القاسم الوزير، ولد ببغداد، قدم حلب، واستكتبه سيف الدولة، وحظي عنده، ومات في أيامه. ينظر: «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٦/ ٢٧١).

(٣) (وكثرة عسكر سيف الدولة) ليست في (ض، ظ).

(٤) (بعرضها عليه) في (ظ): (بإيصالها إليه).

فلمَّا رأياها؛ قالا له: هذه عظيمةٌ، ولا ينشَطُ الأميرُ لِقراءتها، فغَيِّرها واختصِرْها، وعُدْ في وقتٍ آخرَ، فإنَّا نأخذُها ونُوصِلُها(١).

فقال: الذي أحبُّ أن تتفضَّلا بِعَرضِ هذه.

فدفعاهُ عن ذلك، فقامَ كالآيسِ يَجرُّ رِجلَيهِ، مُنكسِرَ القلب، فتداخلَني له رِقَّةٌ، فرَكِبتُ، ودَخلتُ إلى سيف الدولة، وهو جالسٌ.

وكان رَسمُه أن لا يصلَ إليه أحدٌ البتَّةَ إلَّا برُقعةٍ يكتبها الحاجبُ، باسم مَن يحضرُ، واحدًا أو ما كانوا، فإذا قرأ اسمَ الرجل، إن شاءَ أَذِنَ له، وإن شاءَ صرفَه.

فلمَّا استقررتُ عرضَ عليه الحاجبُ رقعةً فيها: فلانٌ بن فلانٍ الموصليُّ الضَّرير.

فقال: وهذا يعيشُ؟ أين هو؟

فقال: بالباب.

فقال: ليدخل، فما أظنُّه - مع ما أعرِفُه مِن زُهدِه في الطَّلب وقصد الملوك - قصَدَنا إلَّا مِن شِدَّةٍ.

قال: فدخلَ، فإذا بالشَّيخ الذي رأيتُه عند أبي محمَّدٍ الصِّلْحيِّ وأبي القاسم المغربيِّ.

فلمَّا قَرُبَ منه، استدناه، وبشَّ به، وقال له: يا هذا، أما سمعتَ بأَنَّا(٢) في الدُّنيا؟ أما علمتَ بمكانِنا على وجهِ الأرض؟ أما حان لكَ أن تزورَنا إلى الآن،

---

(١) (نأخذها ونوصلها) في (ظ): (نعرضها عليه).

(٢) (أما سمعت بأنا) في (ض): (ما سمعت بأني).

مع ما لكَ عندَنا من الحُرمةِ والسَّببِ الوكيد؟ لقد أسأتَ إلى نفسِكَ، وأسأتَ الظنَّ بنا.

قال: فجعلَ الرجلُ يدعو له، ويَشكرُه، ويعتذرُ إليه؛ فقرَّبه وأجلَسَهُ، فجلسَ ساعةً، ثمَّ قام، فسلَّم إليه تلكَ الرُّقعةَ بعينها، فأخذَها مِن يده، وقرأها إلى آخرِها، ثم استدعى يُونسَ بنَ بابا[1]، وكان خازنَهُ، فحضرَ، فأوعزَ إليه بشيءٍ سِرًّا، واستدعى رئيسَ الفرَّاشينَ، وخاطبَهُ سِرًّا، واستدعى خادِمًا له، فخاطبَه بشيءٍ، واستدعى رئيسَ الإسطبلِ، فأمرَهُ بشيءٍ، وانصرفَ الجماعةُ.

وعاد ابنُ بابا، فوضعَ بين يديه صرَّتين فيهما دنانيرُ، لَعلَّهما يزيدانِ على خمسِ مئةِ دينارٍ، وثيابًا كثيرةً صحيحةً ممَّا يَصلحُ للشتاءِ والصيفِ، فوضعَها بين يديهِ مُنشَّرةً بطِيْبٍ كثيرٍ.

وجاء عريفُ الفرَّاشين ببُسُطٍ وزَلالي[2] وفُرشٍ كثيرةٍ من أنواع الفرش، فقوَّمتُه بألوفٍ كثيرةٍ دراهمَ، فصار ذلك كالتلِّ العظيمِ بين يديه.

وكان يعجبه إذا أمرَ لإنسانٍ بشيءٍ أن يحضرَهُ بحضرتِه، فيراهُ، ويُجمَعُ بين يديهِ، ثمَّ يعطيه لمن يَهبُه له.

قال: فاجتمع ذلك، والضرير لا يعلم به، وعنده أنه قد تغافلَ عنه، وأنا أراه في الحصر[3] من ذلك، وليس أحدٌ بحضرته يَجسُر أن يُسارَّ الضريرَ، ولا يقولَ له شيئًا.

---

(١) في (ض): (باتا)، وفي (ر): (مانا)، وكذا في الموضع اللاحق.

(٢) **الزَّلالي**: جمعُ زِلِّيَّةٍ، وهو نوعٌ من البُسُط. ينظر: «المحيط في اللغة» (ز ل ل)، و«تاج العروس» (ز ل ل).

(٣) (الحصر) في (ر): (الريب).

ثمَّ حضرَ صاحبُ الكُراعِ[1]، ومعه بغلٌ يساوي ثلاثةَ آلاف درهمٍ، ومركبٌ ثقيلٌ حَسنٌ.

وجاء غلامٌ أسوَدُ، عليه ثيابٌ جُددٌ، فسلَّم البغلَ إليه، فأمسكَهُ في الميدانِ أسفلَ الدَّكَّةِ[2] الّتي عليها الأميرُ سيفُ الدولة جالسٌ. وقال للغلام: كم جرايتُكَ في السَّنة؟

قال: عشرون دينارًا.

قال: قد جعلناها ثلاثين، وأخدمناكَ لهذا الشيخ، وخِدمتكَ له خدمةٌ لنا، فلا تُقصِّر فيها، ولا ينكسر قلبكَ بخروجِك من عندِنا، وأَحسِن خدمتَهُ. وأمرَ بأن تُدفعَ له جرايتهُ لِسَنةٍ، فدُفِعت إليه في الحال.

ثمَّ قال: فرِّغوا الدارَ الفلانيَّةَ. فنفذَ من يُفرِّغُها.

ثم قال: وقِّعُوا أن يُحدرَ إلى عياله زورقٌ من تلِّ فافان[3] إلى الموصل، فيه كُرَّان حنطةٍ، وكُرُّ شعيرٍ، ويُملأُ من فواكه الشَّام ومآكلِها، واعملوا بهذا كلِّه ثَبَتًا، ففُعِلَ ذلك.

---

(١) **صاحبُ الكُراع:** الكُراع: الخيلُ والماشية، وصاحب الكُراع: سائسُ الخيل والمسؤول عن الدوابّ. ينظر: «مختار الصحاح» (ك ر ع).

(٢) **الدَّكَّة:** المكانُ المستوي الذي يُقعَدُ عليه. ينظر: «الصحاح» (د ك ك).

(٣) **فافان:** موضعٌ على دجلةَ تحت ميَّافارقين، يصبُّ في دجلةَ، عنده وادي الرّزم. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٢٣٢).

ثمَّ استدعى أبا إسحاقَ بن شهرام الكاتب[1]، وكان خَصِيصًا به جدًّا، يخدِمُه في أسرارِه، ويترسَّلُ له إلى ملك الرُّوم، ويُنفِذُه في صغير مَهمَّاتِه وكبيرِها، فسارَّهُ بشيءٍ.

فأخذ أبو إسحاقَ بيد الضريرِ، وجعلَ يخاطِبُه عن الأميرِ سيفِ الدولةِ باعتذارٍ طويلٍ، ويقول: إنَّكَ جِئتَنا في وقتٍ هو آخِرُ السَّنةِ، وقد تقسَّمتْ[2] أموالَنا الحقوقُ والزُّوَّارُ والجيوشُ، وببابنا خلقٌ من الوافدين والزوَّارِ، نحتاجُ أن نُواسِيَهم، ولولا[3] ذلك لَأوفينا على أمَلِكَ، وقد أمرنا لك بكذا وكذا.

قال: وجعلَ ابن شهرامَ يقرأُ عليه الثَّبَتَ بالذي عُمِل.

قال: فقلتُ له والأميرُ سيفُ الدولة يسمعُ: يا هذا، لا تُورِدْ على الشَّيخِ هذه
[ض/١١٨] الجائزةَ جُملةً عقيبَ اليأسِ العظيمِ الذي لَحِقَهُ، فَتنشَقُّ مرارته.

[ر/٧٣] **قال:** فلمَّا استوفى الكلامَ، بكى الشيخُ بكاءً شديدًا، وقال: أيُّها الأميرُ، قد زِدتَ واللهِ على أملي بطبقاتٍ، وأوفيتَ على غنايَ بدرجاتٍ، وقضيتَ حقِّي، وما هو أعظمُ مِن حقِّي ببعضِ ما أنعمتَ عَليَّ به، وما أُحسِنُ أن أشكرَكَ، ولكن الله تعالى يتولَّى عنِّي شُكرَك ومجازاتَك، فتَمُنُّ عليَّ بتقبيلِ يَدِكَ، فإنَّه أفضلُ من كلِّ عَطِيَّةٍ؟

---

(١) هو مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن شهرام الكَاتِب، أبو إسحاق، المعروف بابن ظلوم المغنية. قدم حلب، واختصه سيف الدولة الحمدانيُّ لخدمته، وكان يُسيِّره في رسائلَ إلى ملك الروم، وكان كاتبًا مجيدًا، وشاعرًا محسنًا، (ت: ٣٧٤هـ). ينظر: «بغية الطلب في تاريخ حلب» (١٠/ ٥٨).

(٢) (تقسمت) في (ض): (وقد تعشمت).

(٣) (وقد تعشمت... نواسيهم) ليست في (ظ).

فأَذِنَ له، فدنا الشيخُ، فقبَّلَ يدهُ دفَعاتٍ، فجذبَهُ إليه سيفُ الدولة، وسارَّهُ بشيءٍ، فضحكَ الشيخُ، وقال: إي واللهِ، أيُّها الأمير.

قال: فاستدعى خادمَ حرمِه، وسارَّهُ بشيءٍ، وانصرفَ الشيخُ إلى الدار التي أُخلِيَتْ له، وقال له: أَقِمْ فيها إلى أن أنظرَ في أمرِكَ، وتَخرُجَ إلى عيالِكَ.

قال: فسألتُ عمَّا سارَّ به الخادمَ، فقيل[1]: أخرجَ إليه جاريةً من وصائفِ أُختِه بِكْرًا في نهاية الحُسن، بثيابٍ وآلةٍ قيمتُها تزيدُ على عشَرةِ آلافِ درهمٍ، فحُمِلَتْ[2] إليه.

قال ابنُ معروفٍ: فقُمْتُ قائمًا، وقلت: واللهِ أيُّها الأميرُ، ما سُمِعَ بمثل هذا الفعلِ عن أحدٍ من أهلِ الأرض قديمًا ولا حديثًا.

فقال: دعني من هذا، ما معنى قولك لأبي إسحاقَ ابن شهرامَ: لا تُورد عليه هذه الجائزةَ جُملةً واحدةً بغتةً عَقِبَ اليأس، فتنشقَّ مرارتُه؟

فقلتُ: نعم، كنتُ منذ ساعةٍ عند أبي محمَّدٍ الصِّلْحِيِّ وأبي القاسم ابن المغربيِّ، فجرى كذا وكذا، وقصصتُ عليه القِصَّةَ، وقلتُ في آخرِها: فانصرفَ هذا الشيخُ أخزى مُنصرَفٍ، ثمَّ جاءَ بنفسه، فعاملَهُ مولانا الأميرُ بهذا الفعل العظيم، فخِفْتُ أن يعرفَ شرحَ الجائزةِ فجأةً، فتَنْشقَّ مرارتُه.

فقال: هاتوا الساعةَ الصِّلحيَّ والمغربيَّ، فجاءَ أحدُهما قبلَ الآخَر، فلم يخاطِبْه حتَّى جاء الآخرُ، ثمَّ أقبلَ عليهما، فقال: وَيحَكُما، أترَيَاني لم

---

(١) (عما سار به الخادم فقيل) في (ظ): (الخادم عمَّا ساره به فقال: أمرني أن).

(٢) (عشرة آلاف) في (ر): (العشرين ألف).

أُحسِنْ إليكما[1]، وأُنوِّه بكما، وأُخفِّف النوبةَ عنكما، وأتناهى بجهدي في قضاء حقوقِكُما؟

فأخذا يشكرانِه.

فقال: ما أريدُ هذا، إنَّما أريدُ أن تقولا: لا، أو نعم.

فقالا: بلى والله، وزيادة.

قال: فمِن حَقِّي عليكما ومكافأتي وشُكري أن تقطعا عنِّي رجاءَ مُؤَمِّليَّ وقُصَّادي، وتُؤْيِساهم من بِرِّي، وتَنسُباني عندهم إلى الضَّجرِ برِقاعهم، والبُخلِ على المستمنحين؟ ما كان عليكما لو أخذتما رُقعةَ الشيخِ الضَّرير فأوصلتماها إليَّ؟

فإن أخرجَ الله تعالى له على يديَّ خيرًا؛ كنتما فيه شريكَيَّ، وإن ضجرتُ؛ كان الضَّجرُ منسوبًا إليَّ، وأنتما منه بريئان، وقد قضيتما حقَّ الرجلِ في قَصدِه إليكما؟ فلا حقَّهُ قضيتما، ولا حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ فيما أخذَهُ على ذوي الجاهِ مِن بذلِه قضيتما، ولا حقَّ إنعامي. قال: وأسرفَ في لَومِهما حتَّى كأنَّهما قد جَنَيا أعظمَ جنايةٍ.

فأقبلا يعتذران ويحلفان أنَّهما ما أرادا إلَّا التَّخفيفَ عنه من قراءةِ شيءٍ طويلٍ؛ وأرادا أن يُغيِّرَ الرجلُ الرُّقعةَ بما هو أخفُّ منها، فيَعرِضانِها على الأميرِ، وأنَّهما ما قدَّرا أنَّه آيسٌ، ولو عَلِما بذلك لَردَّاهُ حتَّى يرتجعا رُقعتَهُ، ويُوصِلَانِها.

---

(١) في (ض) زيادة: (وأصفَيتُكما).

قال: فأقبلت الجماعةُ تدعو له، وتحلفُ أنَّ هذا التأنيبَ والنِّيَّةَ في الجودِ أحسَنُ من الفعل العظيم بالضرير على عظيم حُسنِه، ويخاطبونَه بما أشبهَ هذا، حتَّى سكنَ وانبسطَ في الحديث[1].

(١) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٣/ ١٧٨).

[٧: ٢٧] [فِطنةُ المأمونِ وإحسانُه لِبعضِ حاشيته]

قال محمَّد بن عُبدوسٍ في كتابه «كتاب أخبار الوزراء»: ذكر عيسى بن أبي عبَّادٍ، قال: قال لي أبو عبَّادٍ[١]:

دعاني المأمونُ يومًا، فدفعَ إليَّ كتابًا مختومًا بخاتَمِه، وأمرني أن آتيَ عَمرَو بنَ مَسعدةَ، فأُناظِرَهُ على بابٍ بابٍ ممَّا تضمَّنَ، وآخُذَ خَطَّهُ في كلِّ بابٍ بحُجَّةٍ، وأَختِمَهُ بخاتمي وخاتم عمرٍو، وأحتفِظَ به إلى أن يسألَني عنه، ولا أُذَكِّرَه أبدًا ابتداءً به، وأكَّدَ عليَّ في تَركِ ابتدائِه بذِكْرِه.

فعَلِمتُ أنَّها وقيعةٌ[٢]، وقد كنتُ شاركْتُ عَمْرًا في أشياءَ، صارت إلينا منها أموالٌ، فخِفتُ أن يكونَ ذكرها في الكتاب.

فقصدتُ عَمْرًا، فوجدتُه في بستانِ أحمدَ بن يوسُفَ[٣]، مع بعض أصحابه[٤]، فعرَّفتُه أنِّي محتاجٌ إلى الخلوةِ معه.

---

(١) هو ثابت بن يحيى بن إسار أبو عباد الرازي، كاتب المأمون، وكان يصحبه في سفره وحضره. ينظر: «تاريخ دمشق» (١١/ ١٤٥).

(٢) (وقيعة) في (ض): (رفيعة)، وفي (ر): (رقعته).

(٣) هو أبو جعفر، أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب، مولى بني عجل، كان من أفاضل كُتَّاب المأمون، فصيح اللسان، حسنَ الشعر، وكان بستانه على دجلةَ، (ت: ٢١٣هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٤٦٣).

(٤) (مع بعض أصحابه) ليست في (ض).

فقال: دَعْني الساعةَ.

فضاقَ صدري.

فقلتُ: قد سالَ بنا السَّيلُ، وهلكنا وأنتَ لا تعلمُ[١]، ثمَّ أَقرأتُه الكتابَ، وطالبتُه بأن يكتبَ[٢]، تحتَ كلِّ فصلٍ منه، بحُجَّةٍ[٣].

فضَحِكَ، وقال: ويحكَ، أما تستحي أن تخدمَ رجلًا طولَ هذه المدَّةِ، ولا تعرِفَ خَلَّتهُ[٤]، ولا مذهبَهُ؟

فقلتُ: يا هذا، أَخبِرْني عنكَ؛ إن أقدمْتَ على جَحْدِ ما في الكتاب، أَتقدِرُ أن تَجْحَدَ[٥] ما شاركتُكَ فيه، أمَّا أنا فواللهِ ما أجحَدُه، ولكنِّي أصبرُ لأمرِ الله عَزَّوَجَلَّ. [ظ/١٦٢]

فقال لي: أتريدُ أن أُطلِعَكَ على ما هو أشدُّ عليكَ مِن هذا؟

قلتُ: وما هو؟

فقال: كتابٌ دفعَهُ إليَّ أميرُ المؤمنين فيكَ منذُ سَنةٍ، وأمرني فيه بمثل ما أمركَ به في هذا الكتابِ، فعرفتُ ضِيقَ صَدرِكَ، فلم أَذكُرْهُ لك.

فكِدتُ أموتُ إلى أن فرغَ مِن كلامِه، فقلتُ له: وأين هو؟

---

(١) (بضجر... لا تعلم) في (ظ): (وقلت: قد سال السيل وهلكنا وأنت غافل)، وفي (ر): (فضجر وقال: أسأت والله بي فقلت: قد سال بنا السيل وهلكنا وأنت لا تعلم).

(٢) (ثم أقرأته... يكتب) في (ظ): (هذا الكتاب، فقرأه فطالبته أن يكتب خطه).

(٣) (بحجة) في (ظ): (حجته)، وفي (ر): (بحجته).

(٤) **الخَلَّة:** الخَصلةُ تكون في الرَّجُل. ينظر: «تاج العروس» (خ ل ل).

(٥) (الكتاب أتقدر أن تجحد) في (ظ): (هذا الكتاب لتقدر حجة)، وفي (ر): (هذا الكتاب أتقدر أن تجحد).

قال: في منزلي.

فسألتُه إحضارَهُ، فوجَّهَ، فجاءَ به، وأنا أنتفضُ، وعَمرٌو يضحكُ. فلمَّا قرأه، قلتُ له: عند الله أحتسبُ نفسي ونِعمتي.

فقال: أنتَ واللهِ مجنونٌ.

فقلت له: دعنا مِن هذا، ووَقِّعْ تحت كلِّ فصلٍ بحُجَّتِهِ[١].

فنظرَ في جُملةِ ما نُسِبَ إليه في هذا الكتاب، فوجدَهُ أربعينَ ألف ألف درهمٍ، فوقَّع في آخرِه: لو قصَّرت بنا هِمَمُنا عن هذا المقدارِ[٢]؛ لوَسِعَتْنا منازلنا، وما يفي هذا بدُلجَةٍ في بَرْدٍ، أو تهجيرٍ[٣] في حَرٍّ، وأرجو أن يُطيلَ اللهُ بقاءَ أمير المؤمنين، ويُبَلِّغَنا فيه ما نُؤَمِّلُه به، وعلى يديه.

وكان جملةُ ما وقعَ[٤] عليَّ، سبعةٌ وعشرونَ ألفَ ألفِ درهمٍ.

فقلتُ له: قد -والله- قتلتَ نفسكَ وقتلتَني، أترى أميرَ المؤمنين يصفحُ عن سبعةٍ وستِّينَ ألفَ ألفِ درهمٍ؟

فقال لي: يا هذا، إنَّ صاحِبَنا - أطالَ اللهُ بقاءَهُ - ليسَ ببخيلٍ، ولكنَّه رجلٌ يكرَهُ أن يُغيِّرَ[٥] معروفَهُ، وإنَّما أرادَ أن يُعلِمَنا أنَّه قد عَلِمَ بما صار إلينا، وأمسكَ عنه على علمٍ.

---

(١) (بحجته) في (ض): (بحجتك).

(٢) في (ظ، ر) زيادة: (وأضعافه).

(٣) (بدُلجَةٍ في بَردٍ، أو تهجيرٍ) في (ض): (بدجلة في برد أو روحة)، وفي (ر): (بدخلة في بردٍ أو تهجير).

(٤) (وقع) في (ض، ظ): (رفع).

(٥) (يغيِّر) في (ر): (يُغبنَ في)، وفي (ظ): (يطوي).

ثمَّ خُتِمَ الكتابُ بخاتَمِه وخاتَمِي، وانصرفتُ وأنا في الموت، فلم أَبتْ حتَّى[1] كتبتُ وصيَّتي، وأحكمتُ بذلك أمري، فمكثتُ بذلك سنةً قَلِقًا مغمومًا، وهجرتُ مَطعَمِي ومَشْرَبي ومَلاذِّي كلَّها إلَّا ما يقيمُ الرَّمقَ، فبَلِيتُ ونَحَلتُ، وضَنِيَ بدَني[2].

فقال لي المأمونُ عشيَّةً - وقد دخلتُ إليه وهو وحدَهُ[3] -: يا ثابتُ، أنا مُنكِرٌ لِحالكَ! أفتشكو عِلَّةً؟

قلتُ: لا، يا أميرَ المؤمنين، ولكنِّي، منذُ سَنةٍ، حيٌّ كميتٍ؛ لأجل الكتاب الذي دفعَهُ إليَّ أميرُ المؤمنينَ؛ لِأُناظرَ عليه عمرَو بن مَسْعدةَ.

فقال لي: أَمسِكْ حتَّى أُعيدَ عليك جميعَ ما جرى بينكما. ثمَّ اندفعَ يُحدِّثُني بأَمرِنا حرفًا حرفًا، وما دارَ بيننا، حتَّى كأنَّهُ كان ثالِثَنا.

[ض/١١٩] **فقلتُ له**: لقد استقصى لكَ يا أميرَ المؤمنين الذي وكَّلتَهُ بخبرِنا، والله ما خرمَ منهُ حرفًا.

فقال لي: والله، ما وكَّلتُ بكما أحدًا، ولكن ظنٌّ ظَننتُه، وعَلِمتُ أنَّه لا يدورُ بينكما غيرُه، ولقد عجبتَ من غيرِ عَجبٍ؛ لأنَّ عقولَ الرِّجالِ تُدرِكُ بعضُها بعضًا، ولا ينفعكَ يقينُ مَن لا ينفعُكَ ظَنُّه، وعَمرٌو أَعرَفُ بنا منكَ، وأوسعُ صدرًا، وأبعَدُ هِمَّةً، وما أردتُ بما فعلتُ إلَّا أن تَعْلَما أنِّي قد عرفتُ ما صارَ إليكما،

---

(١) (أبت حتى) في (ظ): (ألبث أن).

(٢) (وهجرت مطعمي... وضني بدني) في (ظ): (وذاب جسمي).

(٣) (عشية وقد دخلت إليه وهو وحده) في (ظ): (يومًا).

فيزولَ عنِّي الغُبْن، وعلمتُ أنَّكما تتوقَّيانِ إظهارَ ما صار إليكما، وتَستُرانِه[1]، فأحببتُ أن أُزيلَ عنكما غمَّ المساتَرةِ، وثِقلَ[2] المراقبةِ، وإنِّي لَـمُتذَمِّمٌ منكما، خَجِلٌ من ضعيفِ أَثري عندكما.

فسُرِّيَ عنِّي ما كنتُ فيه[3]، وصِرتُ كأنِّي أُطلِقْتُ مِن عقالٍ، وشَكرتُه، ودَعوتُ له.

ثمَّ قلت له: ما أصنعُ بذلك الكتاب؟

قال: خَرِّقه، وامضِ مصاحبًا آمنًا في ستر الله عَزَّوَجَلَّ[4].

(١) (وتسترانه) في (ظ، ر): (وتستكثرانه).

(٢) في (ر): (وهمَّ).

(٣) (فسري عني ما كنت فيه) في (ظ، ر): (فسررت).

(٤) (مصاحبًا، آمنًا، في ستر الله عَزَّوَجَلَّ) في (ر): (مصونًا في ستر الله آمنًا). ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ١٩٢).

[٧: ٢٨] [البرامكة يسعون في إعانة غارمٍ عند الخليفة]

وجدتُ(١) في كتابٍ أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم حاجبِ النعمان(٢)، وهو يومئذٍ كاتبُ الوزير أبي محمَّدٍ المهلَّبيِّ على ديوان السواد، وذكر لي أنَّه نسخَهُ من كتابٍ أعطاه إيَّاه أبو الحسين عبدُ الواحدِ بن محمَّدٍ الخصيبي، وكان فيه إصلاحاتٌ بخطِّ أبي الحسين بن مايبداد(٣)، قال أبو الحسين عليُّ بن الحسينِ بن عبدِ الأعلى الإسكافيُّ: حدَّثني أبو النصرِ الفقيهُ، قال: حدَّثني(٤) سعيدُ بن سليمانَ الباهليُّ، قال: أضقْتُ ضِيقًا شديدًا، وكثر الغرماء عليَّ والمطالبون لي، فاستترتُ مدَّةً، ثمَّ صرتُ إلى عبدِ الله بن مالكٍ الخزاعيِّ، فشكوتُ إليه حالي، وشاورتُه في أمري.

فقالَ: لستُ أعرفُ لكَ وجهًا ولا حيلةً إلَّا إتيانَ البرامكة، ومسألتَهم إصلاحَ ما اختلَّ من أمرك.

قال: قلتُ: ومن يحتملُ تِيهَهم وصلفَهم؟

فقال: تحتمِلُه في جنبِ ما تقدرُ من صلاح حالك.

قال: فصِرتُ إلى الفضلِ وجعفرٍ ابنَي يحيى، فشكوتُ إليهما أمري.

---

(١) (وجدت) في (ر): (قال: وجدت).

(٢) واسمه أبو عبد الله الكاتب، وقد سبق ذكره: (٢/ ١٢٤).

(٣) في (ر): (مانبداد)، وفي (ح): (ماينداد)، وفي (س): (مامند).

(٤) (حدثني) في (ظ): (ذكر)، وليس فيها ما قبله من السند.

فقالا: نكفيكَ إن شاء الله.

قال: وانصرفتُ إلى عبد الله بن مالكٍ[1]، فعرَّفتُه ذلك.

فقال: أَقِم عندي، ولا ترجع إلى منزلك، وتقاسي غرماءَك. فأقمت.

فجاءني غلامي، فقال[2]: يا مولاي، رَحَبَتُنا[3] مملوءةٌ بالجِمال عليها المال، ورجلٌ مع الجِمال معه رُقعةٌ، يزعمُ أنَّه رسولُ الفضلِ وجعفرٍ ابنَي يحيى.

فقال عبد الله: أرجو أن يكونَ الله عَزَّوَجَلَّ قد فرَّجَ عنكَ، فامضِ إلى مَنزِلكَ.

فصِرتُ إلى مَنزِلي، فأدخلتُ الرجلَ الدارَ، فإذا معه رقعةُ الفضلِ وجعفرٍ، يَذكُرانِ أنَّهما عرَّفا أميرَ المؤمنينَ خبري، وأنَّ علَيَّ دَينًا مبلغُه ثمانُ مئة ألفِ درهمٍ، فأمرَ بحَملِها إليَّ.

[ص/١٢٠] ثمّ قالا له: فإذا انقضى دَينُه بهذا المالِ[4] يرجعُ إلى الدَّين أيضًا من الناس[5]!

فأمر لي بثمان مئة ألف درهمٍ أخرى لنفقتي.

وأنَّهما أضافا إلى ذلك من أموالهما، ألفي ألفَ درهمٍ، وحملا ذلك أجمعَ إليَّ.

---

(١) (مالك) في (ر): (المبارك).

(٢) (فجاءني غلامي) في (ظ): (فصار إلي غلام لي)، وفي (ر): (فصار إليَّ غلامي).

(٣) **الرَّحَبَةُ**: الساحة. ينظر: «الصحاح» (رح ب).

(٤) (قالا له فإذا انقضى دينه بهذا المال) في (ظ): (قالا فإذا قضى دينه)، وفي (ر): (قال لهما: فإذا قضى دينه بهذا المال).

(٥) (من الناس) ليست في (ض، ظ).

قال: فاستوفيتُ مِن رَسولِهما، ثلاثةَ آلافِ ألفِ درهمٍ وستَّ مئةِ ألفِ درهمٍ.

وقد ذكر **أبو الحسين القاضي** هذا الخبرَ في كتابه على قريبٍ من هذا اللَّفظ والمعنى بغيرِ إسنادٍ، ولم يَذكُر فيه مبلغَ المال ولا حالَ الاستتار[1].

(١) (وقد ذكر أبو الحسين... ولا حال الاستتار) ليست في (ر).

[٧: ٢٩] [المأمونُ يطالب أحدَ كُتَّابه بمالٍ كثيرٍ ثمَّ يهبه إيَّاه]

[ظ/١٦٣] **وجدتُ في كتابٍ عتيقٍ، فيه أخبارٌ جمعَها يعقوبُ بن بيانٍ الكاتبُ:** حدَّثني أبو القاسم عليُّ بنُ داودَ بنِ الجعدِ، قال: حدَّثني دينارُ بنُ عبد الله[١]، قال: حدَّثني أبي، **عن يَحيى بنِ خاقانَ، قال:** كنتُ كاتبَ الحسنِ بن سهلٍ، فقَدِمَ المأمونُ مدينةَ السَّلامِ، فقال لي: يا يَحيى، خَلوتَ بالسَّوادِ، ولَعِبتَ في أموالي، واختزنْتَها، واقتطَعْتَها.

قال: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّما أنا كاتبُ الحسنِ بن سهلٍ، والمناظرةُ في الأموال والأعمال مع صاحبي[٢]، لا معي.

فقال: ما أطالبُ[٣] غيرَك، ولا أعرفُ سواكَ، فصالِحْني على مئةِ ألفِ ألفِ درهمٍ.

قال: فضحكتُ.

فقال لي: يا يَحيى، أَجِدُّ وتَهزِلُ[٤]!

---

(١) هو دينار بن عبد الله بن زاذا، ابن عمِّ الفضل والحسن ابني سهل بن راد، ولي إمرة دمشقَ في خلافة المعتصم أيَّامًا، ثم ولاية البحر، ثمَّ بُرقةَ، وقُتِل فيها عام (٢٣١هـ) عن (٧٧) سنةً، ينظر: «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣١٩).

(٢) (والمناظرة... مع صاحبي) في (ض): (والمناظر... صاحبي).

(٣) (أطالب) في (ض، ر): (أطلب).

(٤) (أجدّ وتهزل) في (ض): (أخذت تهزل).

قلت: لا يا أمير المؤمنين، إنَّما ضحكتُ تَعجُّبًا، وبالله ما أملكُ إلَّا سبعَ مئة ألفِ درهمٍ، فكيف أصالحُ على مئة ألف ألفِ درهمٍ؟

فقال: دع ذا عنكَ، وأعطني خمسينَ ألفَ ألفِ درهمٍ[1].

فما زلتُ أُجاذِبُه ويجاذبُني، إلى أن بلغَ اثني عشرَ ألفَ ألفِ درهمٍ، فلمَّا بلغَ إليها؛ قال: نُفيتُ من الرشيدِ إن نَقَصْتُ منها شيئًا.

فقلت: السَّمعَ والطَّاعةَ.

قال: أَقِمْ لي ضمينًا، إن لم تَفِ لي بها طالبتُه.

قلتُ: صاحبي -يا أميرَ المؤمنين- يَضمَنُني.

قال: أتراني إذا دافعتَ الأداءَ أطالِبُ[2] الحسنَ بنَ سهلٍ عنك؟ هذا ما لا يكون.

فقلتُ: عبدُ الله بن طاهرٍ.

فقال: عبد الله سبيلُه سبيلُ صاحبِكَ.

قلتُ: فحُمَيدٌ الطُّوسيُّ[3].

فقال: وهذه سبيلُه.

---

(١) (درهم فقال: دع ذا عنك وأعطني خمسين ألف ألف درهم) ليست في (ض).

(٢) (دافعت الأداء أطالب) في (ض): (دفعت بالأداء طالبت).

(٣) هو حُمَيدُ بن عبد الحَميد الطوسي، سبقت ترجمته (٢/ ١٣٠).

قلت: ففَرَجٌ[1] مولاكَ يا أميرَ المؤمنين.

قال: بلى[2] والله ثِقةٌ، ثمَّ التفتَ إلى فَرجٍ، قال: أتضمَنُه فأُفرِجَ عنه[3]؟

قال: نعم يا أمير المؤمنينَ، قد ضَمِنتُه.

قال: إنِّي والله أُلِحُّ عليهِ[4] في المطالبة، حتَّى يهربَ، أو يستَتِرَ، ثمَّ آخُذُكَ بالمالِ فتؤدِّيهِ، فإنَّكَ مَليءٌ به[5].

فقال فَرَجٌ: صاحبي ثِقةٌ، وهو لا يُخفِرُني إن شاءَ الله تعالى[6].

قال يَحيى: فكتبتُ إلى الحسنِ بن سهلٍ، وعبدِ الله بن طاهرٍ، وحميدٍ، ودينارِ بن عبد الله، وغسان بن عبَّادٍ[7]، ورجال المأمون، أسأَلُهم إعانتي في المال.

قال: فحملوه إليَّ عن آخرِه[8]، كلُّ إنسانٍ منهم على قَدْره.

---

(١) هو فرَجٌ الرُّخَّجيُّ، سبقت ترجمته (١/ ٤٢٥).

(٢) (بلى) في (ظ): (مليء).

(٣) (فأفرج عنه) في (ظ، ر): (يا فرج).

(٤) (أُلِحُّ عليه) في (ظ، ر): (مُحوِجُه بإلحاحِ عليه).

(٥) (به) ليست في (ر).

(٦) **أخفره:** نَقَضَ عَهْدَهُ وَغَدَرَ. ينظر: «مختار الصحاح» (خ ف ر).

(٧) هو غسان بن عباد بن أبي الفرج، ابن عم الفضل بن سهلٍ، ولاه الحسَنُ خراسانَ، ثم ولَّاهُ المأمون السندَ، فأصلح شؤونها في ثلاث سنينَ وعاد إلى بغداد، توفي بعد سنة (٢١٦هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٥٠)، و«الأعلام» (٥/ ١١٩).

(٨) (فحملوه إلي عن آخره) في (ظ): (فحملوا لي ذلك عن آخره حمل، وفي (ر): (فحملوه إلي كله عن آخره حمل).

قال يحيى: فكتبتُ رقعةً إلى المأمون، أُعرِّفُه أنَّ المالَ قد حضر، وأسألُه أن يأمرَ مَن يَقبِضُه.

قال: فأحضرَني، فلمَّا وقعَتْ عينُه عليَّ؛ قال لي: يا خائنُ، الحمدُ لله الذي بيَّنَ لي خيانتَك، وأظهرَ لي كَذِبكَ، ألم تذكر لي أنَّكَ لا تملكُ إلَّا سبعَ مئةِ ألفِ درهمٍ؟ فكيف تَهيَّأَ لك أن حملْتَ في عشرة أيَّامٍ اثني عشرَ ألفَ ألفِ درهمٍ؟

قلت: حملتُ - يا أميرَ المؤمنينَ - مِن هذه الجريدة، ودفعتُ إليه جريدةً بأسماء مَن حَمل إليَّ المالَ، ومبلغِ ما حملَ كلُّ واحدٍ منهم.

قال: فقرأ الجريدةَ، ثمَّ أطرقَ مليًّا، ورفع رأسَهُ، فقال: لا يكونُ أصحابُنا أجودَ منَّا بهذا المالِ، قد وهبناهُ لك، وأبرأنا ضمينَك[1] منه. [ر/٧٤]

قال يحيى: فانصرفتُ مِن عنده، فرَددتُ المالَ إلى أصحابِه، فأبَوا أن يقبلوهُ، وقالوا: قد وهبناهُ لكَ، فاصنع به ما أحببتَ.

قال: فحلفتُ أن لا أقبلَ منه درهمًا واحدًا، وقلتُ لهم: قد أخذتُه في وقت حاجتي إليه[2]، ورَددتُه عندَ استغنائي عنه، وقَبولي إيَّاهُ في هذا الوقتِ[3] ضربٌ من التغنُّم[4]. فرَددتُه عليهم.

---

(١) (وأبرأنا ضمينك) في (ض): وأبريناك وضمينك).

(٢) (قد أخذته في وقت حاجتي إليه) في (ظ): (أخذته في وقت حاجتي)، وفي (ر): (أخذت في وقت حاجتي).

(٣) (في هذا الوقت) ليست في (ر).

(٤) (التغنُّم)في (ض): (النعيم).

[٧: ٣٠] [بعد أن أنفق آخر درهمين له جاءه الفرَج]

ووجدتُ(١) في هذا الكتاب، عن يعقوبَ بن بيان، قال: حدَّثني بعضُ أصحابنا، وهو عندي ثقةٌ، وقد تجارينا لُزومَ المتعطِّلينَ أبوابَ المتشاغِلين، وتعذُّرَ الشُّغلِ عليهم، بعد أن قلنا جميعًا: إنَّ الأرزاقَ مقسومةٌ، وإنَّ الله تعالى إذا أَذِنَ فيها(٢) سَهُلَتْ، قال: حدَّثني(٣) عمرُو بن حفصٍ عن أبيهِ، قال:

كان أبي حفصٌ قد صحبَ بعضَ عُمَّالِ فارسَ إلى فارسَ(٤)، فأقام على بابه سِتَّةَ أشهُرٍ، يلقاهُ كلَّ يومٍ، فلا يُكلِّمُه العاملُ بشيءٍ، وينصرفُ(٥) إلى منزله.

قال: فنفدَتْ نفقتُه وباع ما كان عنده(٦)، حتَّى قال له غلامُه يومًا: ما بقي إلَّا الدابَّةُ والبَغلُ ودِرهمانِ(٧). [ظ/١٦٤]

قال: فقال له: اشترِ لنا بالدِّرهمين خَوخًا - فإنَّه أرخصُ من الخُبز - لِنتقوَّتهُ، إلى أن يُفرِّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عنَّا.

---

(١) (ووجدت) في (ر): (قال: ووجدت).

(٢) (وقد تجارينا... أذن فيها) ليست في (ر).

(٣) (سهلت قال: حدثني) في (ظ): (سهلها، قال: فحدثني)، وفي (ر): (قال حكى).

(٤) (إلى فارس) ليست في (ر).

(٥) (بشيءٍ وينصرفُ) في (ظ): (فيها بشيءٍ وينصرف أبي).

(٦) (وباع ما كان عنده) في (ظ): (وباع كل ما كان معه)، وفي (ض): (وما كان معه).

(٧) (إلا الدابة والبغل ودرهمان)، وفي (ض): (معي إلا درهمين).

قال: ففعلَ الغلامُ ذلك، وأكلَ حفصٌ من الخوخِ شيئًا ونامَ، فما استيقظَ إلَّا بِدَقِّ البابِ، وإذا رسولُ العامِلِ يأمرُه بالحضورِ، فركبَ، فوجدَ العاملَ قاعدًا في دارِه على كرسيٍّ ينتظرُه.

قال: فلمَّا دخلَ عليه قال له العاملُ[1]: لا جزاكَ اللهُ عنِّي خيرًا، ولا عن نفسكَ.

قال: ولِمَ ذاك؟ أصلحكَ اللهُ!

قال: أنتَ مقيمٌ على بابي منذ سِتَّةِ أشهُرٍ، لم ترَ على نفسكَ أن تُرِيَني[2] وجهكَ يومًا واحدًا؟

فقال: أعزَّ اللهُ سيِّدي[3]، أنا في مَجلسِكَ كلَّ يومٍ.

قال: واللهِ، ما وقعَتْ لي عينٌ عليكَ، ولا خطرْتَ ببالي إلَّا السَّاعةَ، فإنِّي ذَكرتُكَ، فعَلِمتُ طولَ مقامِكَ في العطلة والغربة.

ودعا بكاتبِه، فكتبَ كُتبِي على فَسَا[4] ودَرَابْجِرْد[5]، وخرجتُ من يومي إلى العمل، فحصَّلتُ منه في مُدَّةٍ قريبةٍ - سوى نفقتي - ستَّ مئةِ ألفِ درهمٍ.

---

(١) (قال: فلمّا دخل عليه قال له العامل) في (ظ): (فلما دخل قال العامل)، وفي (ر): (فلما دخل إليه قال له العامل).

(٢) (تر على نفسك أن تريني) في (ر): (ترني).

(٣) (أعزَّ الله سيِّدي) في (ظ، ر): (أعزَّكَ الله).

(٤) **فَسَا**: مدينةٌ بفارسَ، وهي مدينةٌ نزهةٍ كبيرةٌ، لها حصنٌ وربضٌ، يجتمع بها التجار. ينظر: «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (ص: ١٤٧)، و«معجم البلدان» (٤/ ٢٦٠).

(٥) **دَرَابْجِرد**: كورةٌ بفارسَ نفيسةٌ، بينها وبين فسا ثمانيةَ عشرَ فرسخًا. ينظر: «المسالك والممالك» (ص: ٤٦)، و«معجم البلدان» (٢/ ٤٤٦).

[٧: ٣١] [كيف فرَّج اللَّه عن ابن نُمَيرٍ مُجلِّد الكتب]

وحدَّثني عبدُ اللهِ[١] بنُ محمَّدٍ الصَّرويُّ، قال: حدَّثني ابن نميرٍ مُجلِّدُ الكتبِ[٢] كان بالموصل، قال: أعطاني أبو عبدِ[٣] اللهِ بن أبي العلاءِ بنِ حمدانَ دفترًا أُجلِّدُه، وأكَّدَ عليَّ الوصيَّةَ في حِفظه، فأخذتُه منه، وتوجَّهتُ إلى دُكَّاني.

وكان طريقي على دجلةَ، فنزلتُ إلى مَشْرعةٍ أتوضَّأ، فسقطَ الدفترُ من كُمِّي في الماء، فتناولتُه عَجِلًا قبل أن يغوصَ، وقد ابتلَّ، فقامت قيامتي، ولم أشكَّ في أنَّه سيجري عليَّ مكروهٌ شديدٌ من أبي عبد الله من ضربٍ، وحبسٍ، وأخذِ مالٍ، فعملتُ على الهرب من الموصل. ثمَّ قلت: أُجفِّفُه، وأُجلِّدُه، وأجتهدُ في أن أُسلِّمَه إلى غلامٍ له، وهو لا يعلمُ، فإن ظهرَ له ما أصابَ الدفترَ؛ هربتُ، وإن كفى الله تعالى ذلك، وتمَّت عليه[٤] الحيلةُ ظهرتُ. [ظ/١٦٥]

فحللتُ الورقَ، وجفَّفتُه، وثقَّلتُه، حتَّى رجعَ واستوى أكثرَ ما يمكنُ في مثله، وجلَّدتُه، وتأنَّقتُ[٥] في التجليد.

---

(١) في (ض): (عبيد اللهِ بنُ)، وقد سبقت ترجمته (٣/ ٤٦).

(٢) (ابن نُمَيرٍ مُجلِّدُ الكتب) في (ض): (أنَّ نُميرَ بن مَخْلَدٍ)، وفي (ظ): (ابن قمير مجلد)، وفي (ل): (بن نمير مجلد). لم نقف له على ترجمة.

(٣) في (ل): (عبيد).

(٤) (كفى الله تعالى ذلك، وتمَّت عليه) في (ل): (كفاني الله تعالى ذلك وتمَّت له).

(٥) في (ل): (وبالغت).

فلمَّا فرغتُ منه؛ جِئتُ به لِأُسلِّمَهُ إلى الحاجب من باب الدَّار وأَمضي، فصادفتُ الحاجبَ جالسًا في الدهليزِ، فسلَّمتُ إليه الدفترَ.

فقال: ادخل إليه، وادفَعْهُ من يدكَ إلى يده، فإنَّه يتوقَّعُكَ، ولعلَّهُ يأمرُ لكَ بشيءٍ.

فقلتُ: لا أريدُ، فإنِّي مُستعجِلٌ.

فقالَ: لا يجوزُ[1]، ولم يدَعْني حتَّى دخلتُ، فلم أَشُكَّ أنَّ ذلك مِن سوء الاتِّفاقِ عليَّ المؤدِّي إلى المكروهِ، ومَشيتُ في الصَّحنِ وأنا في صورةٍ عظيمةٍ من الهَمِّ[2].

فوجدتُ أبا عبدَ الله جالسًا على بِركة ماءٍ في صحنِ دارِه، والغِلمانُ قِيامٌ على رأسِه، فأخرجتُ الدفترَ مِن كُمِّي. فقال لِأحد غِلمانِه: خُذه من يده، وهاتِه.

فجاءَ الغلامُ من جانب البِرْكة، وأنا من الجانب الآخَر، ومدَّ يدهُ لِيأخذَه، فأعطيتُه إيَّاهُ، فلم يتمكَّن في يده، حتَّى سقطَ الدفترُ في البِرْكة، وغاصَ إلى قَعْرِها.

فجُنَّ أبو عبد الله، وشتمَ الغلامَ، وقال: مَقارع، مَقارع[3].

فحمِدتُ الله عَزَّوَجَلَّ على استتارِ أمري من حيث لم أحتسِب، وعلى سلامتي وكفايتي ما كنت أخافُه، وخرجتُ والغُلامُ يُضرَبُ.

---

(١) (لا يجوز) في (ض): (تحوز).

(٢) (الهم) ليست في (ض، ظ).

(٣) (وقال: مقارع مقارع) في (ل): (وطلب المقارع).

[٧: ٣٢] [اللَّجاجُ شؤمٌ]

حدَّثني أبو الحسَنِ محمَّدُ بن محمَّدِ بن جعفرٍ الأنباريُّ(١)، الشَّاهدُ ببغدادَ، وأحدُ كُتَّاب قُضاتها وخلفائِهم، ويُعرَفُ بصِهر القاضي ابنِ سيَّارٍ(٢)، قال: حدَّثنا القاضي أبو الحسن عليُّ بنُ محمَّد بن مرعول الصيرفيُّ(٣)، الذي كان يخلف القاضي أبا القاسم التنوخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أعمالٍ من نواحي واسطٍ وكور الأهواز، وخلَّفَ بعدَهُ عِدَّةَ قُضاةٍ رؤساءَ، وكان من شيوخِ غِلْمانِ أبي الحسَنِ الكرخيِّ(٤)، وقد رأيتُ أنا أبا الحسَنِ هذا كثيرًا عند أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما سمعتُ هذا الحديثَ منه(٥)، قال: حدَّثني شيخٌ من البَصرِيِّين، أثقُ به، قال:

عادلتُ فلانًا القاضيَ -ذكره ابن مرعول رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأُنسيهُ محمَّد بن محمَّدٍ(٦)- إلى الحجِّ. قال: فتشاجرَ رجلانِ في الرُّفقة التي كنت فيها من القافلة،

(١) هو القاضي أبو الحسن محمَّد بن محمَّد بن جعفرٍ الأنباريُّ، صِهرُ ابن سيَّارٍ القاضي، وكاتبُه، (ت: ٣٩١هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٧/ ٤٧٣).

(٢) هو أحمد بن سَيَّار، القاضي أبو بكر الصَّيمريُّ. ولي القضاء ببعض ببغداد في (٦٣٥ هـ)، وحُمِدت سيرتُه، أديبٌ، شاعرٌ، (ت: ٣٦٨ هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢٦/ ٢٨٨).

(٣) أبو الحَسن البغداديُّ، خَلَفَ القاضي أبا القاسم التنوخي على أعمال من نواحي واسط وكور الأهواز، وكان من أعيان أصحاب أبي الحسن الكرخي. ينظر: «ذيل تاريخ بغداد» (١٩/ ٦٣).

(٤) هو عبيد الله بن الحسين، شيخ الحنفيَّة بالعراق، سمع ببغدادَ إسماعيلَ القاضي، كان علامةً كبير الشأن، أديبًا بارعًا، وانتشر تلامذته في البلاد. (ت: ٣٤٠ هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام» (٧/ ٧٤٣).

(٥) (وقد رأيت... الحديث منه) ليست في (ظ).

(٦) (رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنسيه محمَّد بن محمَّد) ليست في (ض، ر).

قال: فجذبهما ذلك القاضي إليه، ولم يزل يتوسَّطُ بينهما ويَرفقُ بهما، وقد استعملَ كلُّ واحدٍ منهما اللَّجاجَ والمشاحنةَ، حتَّى أقاما على حالِهما، وهو يصبرُ عليهما، ويقولُ لهما: اللَّجاجُ مشؤومٌ، فلا تستعملاهُ. ويُكرِّرُ هذه اللَّفظةَ، إلى أن أفصلَ بينهما.

ثم قال لي: أَذكِرْني حديثَ اللَّجاجِ، فقد جرى على يَديَّ منه شيءٌ أُطرِفُكَ به، لكَ فيه ولكلِّ مَن يَسمعُه أدبٌ.

قال: فأَذكرتُه بعدَ وقتٍ.

فقال: كنتُ أتولَّى القضاءَ في البلد الفلانيِّ، فتقدَّمَ إليَّ رجلان، فادَّعى أحدُهما على الآخَرِ عشرينَ دينارًا، فقلتُ للمدَّعى عليه: ما تقول؟

قال: له عليَّ ذلك، إلَّا أنَّني عبدٌ لآل فلانٍ، مكاتَبٌ مأذونٌ لي في التصرُّف، فاتَّجرتُ، فخَسِرتُ، وليس معي ما أُعطيهِ، وقد عاملني هذا الرجلُ سنينَ كثيرةً، ورَبِحَ عليَّ أضعافَ هذه الدَّنانيرِ مرارًا(١)، فإن رأى القاضي أن يسألَهُ الرِّفقَ بي، فإنِّي عبدٌ وضعيفٌ لا حيلةَ لي.

قال: فسألتُه أن يَرفُقَ به، ويُؤخِّرَه، فامتنعَ.

فقلتُ: قد سمعتَ.

فقالَ: ما لي حيلةٌ.

فقال الرجل: احبِسْهُ لي.

---

(١) (هذه الدنانير مرارًا) في (ل): (هذا القدر).

وأعادَ العبدُ يسألني مسألتَه أن لا يفعلَ، وبكى العبدُ، فرَقَقْتُ له، وسألتُ خصمَهُ أن لا يحبسَهُ، وأن يُنظِرَه.

فقال: لا أفعلُ.

فقال العبد: إن حبسَني أهْلكَني، وواللهِ ما أرجعُ إلى شيءٍ، وإنَّه لَيُضايِقُني، ويلجُّ في أمري، وقد انتفعَ من قِبَلي بأضعاف هذه الدنانير، وورثَ منذُ أيَّامٍ من أخي ألوفَ دنانيرَ، فأُشيرَ عليَّ بمنازعته إلى القاضي في الميراث، فلم أفعل.

قال: فحين قال ذلك، توجَّه لي وجهُ طَمعٍ في خلاصه من لَجاجِ ذلك الغريم، وقد كان غاظني بلَجاجِه ومَحْكِه[1].

[ظ/١٦٦] **فقلتُ:** كيف ورثَ أخاكَ، وكيف أردْتَ مُنازعتَه؟

فقال: إنَّ أخي كان عبدًا له، مأذونًا له في التصرُّف، وكان يتَّجِرُ ويتصرَّفُ، ويؤدِّي إليه ضريبتَهُ، وجمع مالًا عظيمًا وأمتعةً بأكثرَ من ثلاثةِ آلافِ دينارٍ، ثمَّ ماتَ، ولم يُخَلِّفْ أحدًا غيري، وأنا عبدٌ ضعيفٌ مملوكٌ، ولي ابنان طفلان من امرأةٍ حُرَّةٍ، وهما حُرَّان، وأنا أَعولُهما، وأَعولُ نفسي وزوجتي، وأُؤدِّي إلى مولايَ ضريبتَهُ، فطَمِعتُ في أن أنازعَهُ في الميراث، فآخُذَ منه شيئًا أعودُ به على نفسي وأولادي وعيالي، فقيل لي: إنَّكَ لا تَرِثُ، فلم أُحِبَّ منازعتَهُ؛ صيانةً له، وهو الآن يُضايِقُني.

قال: فقلتُ للرجل: هو كما قال: إنَّ أخاهُ كانَ عبدَك، وماتَ، وخلَّفَ عليكَ تركةً قيمتُها ثلاثةُ آلاف دينارٍ[2]؟

---

(١) **المَحْكُ:** اللَّجاجُ، وهو التمادي في الخصومة. ينظر: «مختار الصحاح» (م ح ك)، و(ل ج ج).

(٢) (إن أخاه كان... ثلاثة آلاف دينار) ليست في (ل).

قال: نعم.

فقلت: ولهذا العبد ابنان طفلان حُرَّان؟

قال: نعم.

فقلت: قم، فأَخِّرهُ الدَّنانيرَ، ولا تُطالِبْهُ بها.

قال: ما أبرحُ إلَّا بالدَّنانيرِ، أو تَحبِسَه.

فقلتُ: اقبل رأيي، ولا تَلِجَّ.

فقال: لا أفعل.

فقلت: لكلِّ شيءٍ آخِرٌ، وإنَّك إن لم تفعلْ، خرجَ من يَدِكَ مالٌ جليلٌ.

فقال: لا أفعل.

فقلت للعبد: قد أذنتُ لك أن تتكلَّمَ عن ابنيكَ الطِّفلَين، وهما على مذهبِ عبد الله بن مسعودٍ - وهو مذهبي[1] - أحقُّ بالميراث من مولاهُ، وإن كنتَ حيًّا، فإنَّكَ بمنزلة الميِّت للعبوديَّة، فطالِبْهُ عن ابنيكَ الحُرَّينِ الطفلينِ بالتَّرِكة.

قال: فطالبَهُ بها.

وأحضرتُ الشُّهودَ، وأعادَ[2] الخصومةَ والدَّعوى، ولم أزلْ أَرفُق بالمولى، حتَّى أسمعتُ الشُّهودَ إقرارَهُ بما كان أقرَّ به عندي، ثمَّ حكمتُ للابنَينِ الطفلَينِ

(١) في (ل): (مذهبٌ).

(٢) (وأحضرت الشهود وأعاد) في (ظ): (فأحضرت الشهود فأعاد).

عليه بالتَّرِكةِ، وانتزعتُ جميعَها من يَدهِ، وسلَّمتُ إليه منها عشرينَ دينارًا؛ قضاءً لما أقرَّ بهِ العبدُ[١]، وجعلتُ ذلك دَينًا عليه لِابنَيهِ.

وسلَّمتُ مِقدارَ ثمنِ العبد من مال الطفلَينِ إلى أمينٍ من أمنائي[٢]، وقلتُ: اشترِ أباهما من مولاهُ بهذه الدَّنانيرِ، وأَعتِقْهُ عليهما، ففعلَ ذلكَ.

وجعلتُ باقيَ مالِ الطفلين في يد أبيهما، وأَمينٍ جعلتُه مُشرِفًا عليه[٣]، وأَمرتُ الأبَ أن يتَّجِرَ لهما بالمالِ، ويأخُذَ الثُّلثَ من الرِّبح بحقِّ قيامِه، وحكمتُ بالجميعِ، وأنفذتُ الحكمَ، وأشهدتُ على إنفاذي له الشُّهودَ[٤].

فقامَ العبدُ، وقد فرَّجَ الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وأمَّنَه من أن يُحبسَ، وعَتقَتْ رَقبتُه، وصارَ مُوسِرًا بابنَيهِ.

وقامَ اللَّجوجُ خاسرًا حائرًا، وقد أخذَ عشرينَ دينارًا، وأعطى ثلاثةَ آلافِ دينارٍ.

---

(١) (قضاء لما أقر به العبد) في (ظ): (لما أقر له العبد به)، وفي (ل): (قضاء لدين أبيهما ثم حكمت بذلك).

(٢) في (ض): (الأمناء).

(٣) في (ض): (عليهما).

(٤) (وأنفذت الحكم، وأشهدت على إنفاذي له الشهود) في (ظ): (وأشهدت على إنفاذي الحكم له الشهود)، وفي (ل): (وأشهدت على إنفاذي لذلك بالشهود).

[٧: ٣٣] [ابن الجصَّاصِ يجدُ جواهرَهُ بعدَ خروجِه من سجن المقتدر]

حدَّثني أبو عليٍّ بنُ أبي عبدِ الله بن الجصَّاص[١]، قال: سمعتُ أبي[٢] يقول: اتَّفقَ أنِّي كنتُ يومَ قبضَ عليَّ المقتدرُ بالله جالسًا في داري، وأنا ضَيِّقُ الصَّدرِ ضِيقًا شديدًا، لا أعرفُ سببَهُ.

وكان من عادتي إذا لحقني مثلُ ذلك أن أُخرِجَ جوهرًا عندي في دُرجٍ مُعَدٍّ لهذا، من ياقوتٍ أحمرَ وأزرقَ وأصفرَ، وحَبًّا كبارًا ودُرًّا فاخرًا[٣]، يكونُ قيمةُ [ص/١٢١] الجميع خمسينَ[٤] ألفَ دينارٍ وأكثرَ، وأستدعيَ صينيَّةً من ذَهبٍ لطيفةً، فأجعلَه فيها، وألعبَ به، وأُقلِّبَه، فيزولَ ضيقُ صدري.

فاستدعيتُ ذلك الدُّرجَ، فجاؤوني به بلا صينيَّةٍ، فأنكرتُ ذلك، وأَمرتُ بإحضارها، وفتحتُ الدُّرجَ، وفرَّغتُ ما فيه في حِجْري، ورَددتُه على الخادم، وأَمرتُه أن[٥] يَجيئَني بالصينيَّة، وأنا جالسٌ في بستانٍ في صدر داري، في يومٍ باردٍ طيِّبِ الشَّمسِ، وهو مزهرٌ بصنوف الشقائق والمناثير، وأنا ألعبُ بتلك الجواهرِ؛

---

(١) الجوهري، سبقت ترجمته (٢/ ١١٥).

(٢) هو الحسين بن عبد الله، أبو عبد الله الجصّاص الجوهريُّ، سبقت ترجمته (٢/ ١١٥).

(٣) (ودرًا فاخرًا) في (ظ): (درًا).

(٤) في (ل): (عشرين).

(٥) (وأمرته أن) في (ظ): (وأنفذته).

إذ دخل النّاس إليَّ بالصياح والزعقات والمكروه والكبس، وقرُبوا منِّي، فدهشتُ، ولم أحبَّ أن يظفروا بما في حِجْري، فنفضتُ جميعَه بين ذلك الزهرِ في البستان، ولم ينتبهوا له، وأُخِذت وحُمِلتُ، وجرى عليَّ ما جرى من المصادرة، وبقيتُ في الحبس المدَّةَ الطويلةَ التي حُبِسْتُها.

وقد تقلَّبت الفصولُ على البستان، فجفَّ ما فيه، ولم يُفكِّر أحدٌ في قلعه، ولا زراعته، ولا إثارته، وأُغلِقَت الدّارُ، فما قربها أحدٌ من أبنائي ولا أصدقائي ولا أعدائي، بعدَ الذي أُخِذَ منها، وفرغت، ووقعَ اليأسُ من وجود شيءٍ فيها[1]. [ظ/١٦٧]

ثمَّ سهَّل الله الكريم تعالى إطلاقي، فأُطلِقتُ، فحينَ جِئتُ إلى داري، ورأيتُ الموضعَ الذي كنتُ فيه جالسًا ذلك اليوم؛ ذكرتُ الجوهرَ الذي كان في حِجْري، ونَفْضي إيَّاهُ في البستان، ووقعَ لي اليأسُ من وجودِ شيءٍ منه، وقلتُ: هيهاتَ. وأمسكتُ.

فلمَّا كان في غدٍ، قلتُ: تُرى هل بقيَ منه شيءٌ؟ فأخليتُ[2] الدَّار، وقمتُ بنفسي ومعي غلامٌ يثيرُ[3] البستانَ بين يدي، وأنا أنبش ما يثيره أوَّلًا فأوَّل، وأجدُ فيه الواحدةَ بعد الواحدة من ذلك الجوهر، وكلَّما وجدتُ شيئًا منه؛ حرصتُ[4] على الإثارةِ وطَلَبِ الباقي، إلى أن أثرتُ جميعَ البستان، فوجدتُ جميعَ ذلك الجوهرِ، ما ضاعت منهُ واحدةٌ.

---

(١) (ووقع اليأس من وجود شيء فيها) ليست في (ض).

(٢) (قلت: ترى هل بقي منه شيء) ليست في (ظ، ل).

(٣) (يثير) في (ض): (ينبش)، وفي (ل): (يكنس).

(٤) (منه حرصت) في (ظ): (حرصت)، وفي (ل): (منه حرضت).

فأخذتُه، وحَمِدتُ الله عَزَّوَجَلَّ، وطابت نفسي بذلك، وعلمتُ أنَّه قد بقيت لي بقيَّةٌ صالحة من الإقبال، والله أعلم[1].

(١) ينظر: «فوات الوفيات» (١/ ٣٧٣).

[٧: ٣٤] [محنة إسماعيل بن محمَّد مع الوزيرُ ابن مُقلةَ]

حدَّثني أبو محمَّدٍ يحيى بنُ محمَّدِ بن فهدٍ[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: حدَّثنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بن محمَّدِ بن عبدِ الجبَّار[٢]، قال: كان أبو عليٍّ بنِ مُقلةَ نكبَني، وصادرَني لشيءٍ كان في نفسه عليَّ، فأفقرَني، حتَّى لم يدَعْ لي شيئًا على وجهِ الأرض.

وأطلقَني من الحبس، فلَزِمتُ بيتي حزينًا، فقيرًا، يتعذَّرُ عليَّ القُوت.

ثمَّ لم أجد بُدًّا من الاضطرار[٣] في معاشي، فأُشيرَ عليَّ أن ألزمَ ابن مُقلةَ وأستعطفَهُ، وقيل لي: إنَّه إذا نكبَ إنسانًا فخدمَهُ؛ رقَّ عليه.

قال: فلَزِمتُه مُديدةً، لا أراهُ يَرفعُ إليَّ رأسًا، ولا يُفكِّرُ فيَّ.

قال: وكان يعرفُني بحُسن الثِّياب ونظافتِها، والتنقيةِ في أمر نفسي، أيَّامَ يساري.

فاتَّفقَ أنِّي حضرتُ دارَهُ يومَ جُمعةٍ غُدوةً، ولم أكن دخلتُ الحمَّامَ قبل ذلك بأسبوعٍ، ولا حلقتُ شَعْري، ولا غيَّرتُ ثيابي، وأنا وَسِخُ الجسدِ والثيابِ، طويلُ الشَّعر، وإنَّما أخَّرتُ ذلك؛ لإضاقتي عن مِقدارِ ما احتَجْتُ إليه لذلك، ولشُغلِ قلبي أيضًا وغَمِّي بالفقر المُدقعِ الذي قد دُفِعتُ إليه، وهَوانِ نفسي عليَّ.

---

(١) هو يحيى بن محمَّدِ بن سُلَيمانَ بنِ فَهدٍ الأزديُّ المَوْصِليُّ، سبق ذِكْرُه: (٢/ ٨٣).

(٢) (عبد الجبار) في (ظ): (الجبان)، وفي (ل): (الجباني).

(٣) (الاضطرار) في (ض): (الاضطراب).

قال[1]: فخرجَ ابنُ مقلةَ يركبُ، فقمتُ إليه في جُملةِ النَّاسِ، فدَعوتُ له.

فحينَ رآني، تأمَّلَني طويلًا، ثمَّ أومأَ إلى خادمٍ له بكلامٍ لم أفهَمْهُ، وركب.

فجاءني الخادمُ وقال: الوزيرُ يأمُرُكَ أن لا تبرحَ من الدارِ إلى أن يعودَ، وأخذَني إلى حُجرتِه، فأجلسَني فيها، فقامت قيامتي، وخِفتُ أن يكونَ قدَّرَ أن لي بقيَّةَ مالٍ، ويريدُ الرُّجوعَ عليَّ بمُطالَبةٍ، وليس ورائي شيءٌ، فأتلفَ.

فتداخلَني جزعٌ عظيمٌ، وحصلتُ في شِدَّةٍ كانت أشدَّ عليَّ ممَّا مرَّ بي، فلم يكن بأسرعَ من أن عادَ، فجاءني الخادمُ، فقال: قم إلى الوزير، فقد طلبَك.

فجئتُ، حتَّى دخلتُ عليه، وهو خالٍ وحدَهُ، وليس بين يديه إلَّا أبو الحسين ابنُه[2]، فرحَّبَ بي، وأكرمَني، ورأيتُ من تأنيسِه ما أزالَ عنِّي معه الخوفَ.

ثمَّ قال: يا أبا عليٍّ، أعرفكَ نظيفَ الثَّوب، حَسنَ القيامِ على نفسِكَ، فلِمَ أنتَ بهذه الصُّورة؟

ففَطِنتُ أنَّه لما رآني على صورتي تلكَ رَقَّ عليَّ، فقلتُ: أيُّها الوزير، لم يبقَ لي والله حالٌ، وإنَّه لَيتعذَّرُ عليَّ هذا المقدارُ الذي أُغيِّرُ به حالي، وما أنكرَهُ الوزيرُ أعزَّه اللهُ[3] من أمري، وفَتحتُ أبوابَ الشكاية إلى أن بكيتُ.

---

(١) (وهوان نفسي علي قال) في (ظ): (وهو أن نفسي هانت علي).

(٢) هو عليُّ بن محمَّد بن عليِّ بن مُقلةَ، الوزير بن الوزير، كان ناظرًا في وزارة أبيه، ثم ولي الوزارة للمتقي سنة (٣٣١هـ)، وعُزِلَ بعد سنتين، ثم قلده معزُّ الدولة النظر في الأعمال والجباية، فشكى الناس ظلمه، حتَّى عزله. (ت: ٣٤٦ هـ). ينظر: «الوافي بالوفيات» (٢٢/ ٥٣).

(٣) (هذا المقدار الذي أغير به حالي وما أنكره الوزير أعزه الله) في (ظ): (ما أغير به هذا المقدار)، وفي (ل): (ما أغير به هذا).

فقال: إنَّا لله، إنَّا لله، ما ظننتُ أنَّ حالكَ بلغَتْ إلى هاهنا، ولقد أسأنا إليكَ.

قال: ثمَّ مدَّ يدَهُ إلى الدواةِ، فوقَّع[1] لي على الجهبذِ بألفِ دينارٍ صِلةً، ووقَّع لي توقيعًا آخرَ بأن أُبايعَ[2] ضيعةً من المبيعِ بألفي دينارٍ، بحيث أختارُ.

ثمَّ قال لي: خُذ الدَّنانيرَ فاتَّجِرْ بها، وأَصلِحْ منها حالَك، وابتَعْ بهذه الألفي دينارٍ ضيعةً من المبيعِ، تُغِلُّ لكَ ألفَ دينارٍ في السَّنة، واخترها وشاوِرْ فيها، وإذا وقعَ اختيارُكَ عليها، فأَسْمِها لي؛ لِأكتبَ[3] بمبايعتِكَ إيَّاها؛ لِتكتفيَ بِغلَّتِها طولَ سَنتِكَ، إلى أن أنظرَ لك بعدَ هذا، وأَرُدَّ جاهَك، فشكرتُه ودعوتُ له، ونهضتُ. [ظ/١٦٨]

فقال: قِفْ، فوَقفتُ.

فقال لابنه أبي الحسين: عاون أبا عليٍّ حتَّى يصلَ إليه هذا كلُّه[4] في أسبوعٍ، وفي دفعةٍ واحدةٍ، ولا يتمحَّقَ عليه.

قال: فوعدني أبو الحسين بذلك، وأمرني بالمصيرِ إليه، فانصرفتُ.

ورحتُ إلى أبي الحسين، فعاونَني، فحصلَ لي ذلك كلُّه في أيَّامٍ قليلةٍ، وحصلت لي الضَّيعةُ، فاستغللتُها في تلكَ السَّنةِ ألفَ دينارٍ.

ولَزِمتُ أبا عليٍّ بن مقلةَ، فعرضني لمكاسبَ[5] جليلةٍ، عادَ بها إليَّ أكثرُ ممَّا خرجَ من يدي بنكبتِه.

---

(١) (فوقع) في (ظ): (فكتب)، وفي (ر، ل): (فصكَّ).

(٢) (توقيعًا آخر بأن أبايع) في (ض): (توقيعات أخر أن أبتاع).

(٣) في (ض) زيادة (لك).

(٤) (يصل إليه هذا كله) في (ظ): (يحصل له هذا).

(٥) (فعرضني لمكاسب) في (ظ): (فعوَّضني بمكاسبَ).

[٧: ٣٥] [ابن عبدونَ الأنباريُّ يُعيَّنُ كاتبًا للمعتصم بعد فقرٍ مُدقع]

قال محمَّد بن عُبدوسٍ في كتاب «الوزراء»: حُكي عن محمَّدِ بن خلفٍ المعروفِ بابن عبدونَ الأنباريِّ الكاتبِ، أنَّه قال: بينا أنا يومًا أدرجُ في بعض سِكَكِ المدينة[١]، وكانت حينئذٍ لا يدخلُها إلَّا من له نباهةٌ، إذ سمعتُ خلفي وقعَ حافرٍ، فنظرتُ فإذا يونسُ[٢] بنُ الوليدِ الأنباريُّ، وكانت بيني وبينَهُ مَودَّةٌ وقرابةٌ، فلم أُسلِّم عليه.

فقال لي: من أينَ يا أبا عبدِ الله؟

فقلتُ: إنِّي قد كَسرتُ في هذه السَّنةِ ثلاثةَ آلافِ فرسخٍ[٣]، وانصرفتُ وأنا سُبْرُوتٌ[٤].

فقال لي: ثلاثةَ آلاف فرسخٍ؟

قلتُ: نعم، مَضيتُ إلى مِصرَ، فأخفقتُ، ومضيتُ إلى فارسَ، ثمَّ إلى كرمانَ، ثمَّ إلى خراسانَ، ثمَّ انقلبتُ إلى أذربيجانَ، وانصرفتُ بغير شيءٍ، وأنا أتمنَّى أن يهبَ الله عَزَّوَجَلَّ لي قُوتًا، أتموَّنُه[٥] في بلدي.

---

(١) هي مدينة المنصور، وتسمَّى الزوراء، وهي في الجانب الغربي من بغداد. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ١٥٦).

(٢) (يونس) في (ظ): (يوسف).

(٣) **كَسرْتُ**: أي قطعتُ مسافةً. ينظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (٦/ ٧٣).

(٤) **سُبْرُوت**: رجلٌ سبروتٌ أي: مسكينٌ مُحتاجٌ. ينظر: «الصحاح» (س ب ر ت).

(٥) (أتموَّنه) في (ض): (أتمرره)، وفي (ل): (أتمرَّر به)، وفي (ر): (أعيش به).

[ض/ ١٢٢] **قال**: فكم يكفيكَ من الرِّزق؟

قلت: إن كان في بلدي، فخمسةَ عشرَ دينارًا في الشهر، أتقوَّتُ بها أنا وعيالي، وهو ما لا فضلَ فيه لشهوةٍ ولا نائبةٍ.

قال: فكن معي.

فاتَّبعتُه، فصارَ إلى ديوانٍ فيه كُتَّابٌ، وحُجرةٌ لطيفةٌ، فدخلتها، فإذا في صدرها الفضلُ بن مروانَ، وهو حينئذٍ يكتبُ للمعتصم، وهو أميرٌ، فوصفني للفضلِ، ورغَّبهُ في استخدامي، فرمى إليَّ الفضلُ بكتابٍ، وقال(١): أجب عنه بما تحبُّ(٢).

فاستعلمت منه الدُّعاء، وأجبتُ(٣) الرَّجلَ عن الكتاب، وعرضتُه عليه، فرَضِيَ خَطِّي ولَفظي. وقال لي: كم يكفيك من الرِّزق؟

فقال له يونس(٤): الَّذي ذكرَ أنه يُقنِعُه خمسةَ عشرَ دينارًا في كلِّ شهرٍ.

فقال: هذا قوتٌ، ولا بدَّ من استظهارٍ لنائبةٍ، ولكنِّي قد جعلتُها له ثلاثينَ دينارًا في كلِّ شهرٍ، فقبَّلتُ يدَه.

فقال: الزمني ليلَك ونهارَك، طَلبتُكَ أم لم أَطلُبكَ، فإنَّ الملازمةَ رأسُ مالِ الكاتب.

---

(١) (إليّ الفضل بكتاب، وقال) في (ل): (الفضل إلي كتابًا وقلت).

(٢) في (ض): (يجب).

(٣) (فاستعلمت منه الدّعاء، وأجبت) في (ل): (فأجبت).

(٤) في (ظ): (يوسف).

قال: فلَزِمتُه كما رسمَ لي.

وكان صالحُ بن شيرزادَ[١] يَخلُفه في دار المعتصم، وقد استولى على المعتصم بحِيَلِه وتَلطُّفِه على خيانةٍ[٢] كانت فيه، وكَرِهَ ذلك الفضلُ بن مروانَ، واجتهدَ في قَلعِه، فلم يتمكَّنْ من ذلك.

فقال لي يومًا من الأيامِ ما في نفسه من ذلك، وقال: أنا أحبُّ أن أجعلَك مكانَه، إلَّا أنِّي أتخوَّفُ أن تَسلُكَ سبيلَه، فهل فيكَ خيرٌ؟

فقلتُ له: قد عرفتَ أخلاقي وطبعي، فإن كنتُ عندكَ ممَّن يَصلحُ للخير، وإلَّا فلا تَثِقْ بي.

فكانَ في هذا التَّدبير، حتَّى حدثَ أمرُ القِبْطِ بمِصرَ، فندبَ المأمونُ أخاهُ أبا إسحاقَ[٣] لمحاربتهم، في سنةِ اثنتي عشرةَ ومئتين، فخرجَ أبو إسحاقَ إلى مصرَ، ومعه الفضلُ بن مروانَ، واستخلفَ صالحَ بن شيرزادَ لحضرة[٤] المأمون، فيما لا يضرُّه أن يغلبَ عليه، وشالَهُ[٥] عن المعتصم، وجعلني مكانَهُ، وشخصنا.

---

(١) هو صالح بن شيرزاد، جعله المعتصم على خراج مصر، فظلم الناس وعسف، فانتفضوا عليه، فعزله سنة (٢١٣هـ)، ثم استوزره المستعين سنة (٢٤٨هـ). ينظر: «فوات الوفيات» (١/ ١٤٠)، و«النجوم الزاهرة» (٢/ ٢٠٥).

(٢) (وتلطفه على خيانة) في (ظ): (وتلطفه على حمارية)، وفي (ض): (وبلفظه على خيانة).

(٣) هو الخليفة المعتصم محمَّد بن هارون الرشيد.

(٤) (شيرزان لحضرة) في (ظ): شيرزاد بحضرة، وفي (ل): (شبرراد بحضرة).

(٥) (وشاله) في (ظ): (وسلَّه)، وفي (ل): (وسأله).

فكَسِبتُ مع المعتصم في ليلةٍ واحدةٍ[١] مئةَ ألفِ دينارٍ حلالًا طَيِّبًا، وذلك أنَّ القتلَ كَثُرَ في أهل مِصرَ، وجلا الباقون، وأشرفَ البلدُ على الخراب.

وشقَّ ذلك على المأمونِ، وأنكرَهُ على أبي إسحاقَ إنكارًا شديدًا، فكان قُصاراهُ[٢] تسكينُ النَّاس، ورَدُّهم إلى مِصرَ.

فوردت عليَّ في يومٍ من الأَيَّامِ كتبُ جماعةٍ من رؤساء البلد، يسألون أخذَ الأمان لهم لِيَرجِعوا[٣]. [ظ/١٦٩]

فقلتُ للفضل في ذلك، فقال: أَجِبْهم إلى ما التمسوهُ، وأَجِبْ كلَّ مَن سألَ مثل ذلك إليهِ.

فكتبتُ في ليلةٍ واحدةٍ مئةَ أمانٍ لمئةِ رجلٍ، فظهروا، وبعثَ إليَّ كلُّ واحدٍ منهم، مِن ثلاثة آلافِ دينارٍ إلى ألفِ دينارٍ، إلى خمسِ مئة دينارٍ، وبعضُهم لم يبعث إليَّ شيئًا.

فحصَّلتُ[٤] ما اجتمعَ لي، فكان مئةَ ألفِ دينارٍ، وأجبتُ[٥] مئةَ إنسانٍ، وفرَّجتُ عنهم، وعن أتباعهم، ومَن يلوذُ بهم ألوفٌ، وكشفتُ كُربةً عظيمةً عن أبي إسحاقَ[٦].

---

(١) (مع المعتصم في ليلة واحدة) في (ل): (في ليلة واحدة من المعتصم).

(٢) (قصاراه) في (ض): (قصار ذلك) في (ظ): (فيما رآه)، وفي (ل): (قصده). ومعنى قصاراه: غايته. ينظر: «الصحاح» (ق ص ر).

(٣) (أخذ الأمان لهم ليرجعوا) في (ظ): (الأمان لهم).

(٤) في (ظ): (فحصل)، وفي (ل): (فحسبت).

(٥) في (ل، ر): (وأحبست).

(٦) (وعن أتباعهم، ومن يلوذ بهم ألوف، وكشفت كربة عظيمة عن أبي إسحاق) ليست في (ظ، ر).

[٧: ٣٦] [الفضلُ بن سهلٍ ومسلمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ]

أخبرني أبو الفرج المعروفُ بالأصبهانيِّ، قال: أخبرني حبيبُ بن نَصرٍ المُهَلَّبيُّ، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حدَّثني محمَّدُ بن عبد الله بن طَهْمَانَ، عن أبي الخطَّاب الأَزديِّ، قال: كان مُسلِمُ بن الوليدِ[١] والفضلُ بن سهلٍ متجاوِرَينِ في قنطرةِ البَرَدان[٢]، وكانا صَديقَين.

قال مسلمٌ: فأعسرتُ إعسارًا شديدًا، ولحِقَتني حكَّةٌ قبيحةٌ[٣]، وولي الفضلُ بن سهلٍ الوزارةَ بِمَروَ، فتحمَّلت إليه على مَشقَّةٍ.

فلمّا رآني رحَّب بي وأدناني، وقال: ألستَ القائل: [من السريع]

فَاجْـرِ مـع الـدَّهـرِ إلـى غايةٍ　　　يَـرفَـعُ فيها حـالـكَ الـحـالُ؟

قلت: نعم.

قال: قد صِرنا إلى تلكَ الحال، وصِرتَ بنا إليها. وأمر لي بثلاثينَ ألفَ درهمٍ، وولَّاني عملًا اخترتُه.

---

(١) هو مسلم بن الوليد الأنصاريُّ بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني، وهو مولى أسعد بن زرارةَ الخزرجيِّ، مدحَ الرشيدَ والبرامكةَ، شاعرُ غزَلٍ، وهو أوَّلُ من أكثرَ من «البديعِ»، وتبعه الشعراء فيه. اتَّصل بالفضل بن سهلٍ، فوَلَّاه بريد جرجانَ، فاستمرَّ إلى أن ماتَ فيها. ينظر: «طبقات الشعراء» (ص: ٢٣٤)، و«الأعلام» (٧/ ٢٢٣).

(٢) **قَنْطَرَةُ البَرَدان**: محلَّةٌ شرقيَّ بغداد، بناها رجلٌ يقال له السَّريُّ بن الحطم. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٠٥).

(٣) (حكة قبيحة) في (ظ): (محنة).

فانصرفَتْ عنِّي المحنةُ التي كنتُ فيها[1]، وحصلَتْ لي نعمةٌ عظيمةٌ.

قُرِئَ على أبي بكرٍ الصوليِّ، وأنا أسمعُ[2] كتاب «الوزراء» بالبصرة، سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ، حدَّثنا[3] أحمدُ بن يزيدَ المهلَّبيُّ، قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ. فذكر بإسنادِه نحوَهُ، إلَّا أنَّه ذكرَ في الشِّعر زيادةَ أربعة أبياتٍ، لا تتعلَّقُ بكتابي هذا فأَذكُرَها[4].

وذكر أنَّ الفضلَ ولَّى مسلمًا بريدَ جُرجانَ[5].

---

(١) (فيها) في (ظ، ل): (أعانيها).

(٢) في (ل، ظ) زيادة: (في كتابه).

(٣) في (ض، ظ): (حدَّثكم).

(٤) هذه الأبيات هي:

بِالغُمرِ مِن زَينَبٍ أَطْلالُ ... مَرَّتْ بِهَا بَعْدَكَ أَحْوَالُ
وَقَائِلٍ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ ... كَلَّا وَلَكِنْ لَيْسَ لِيْ مَالُ
وَهَيْبَةُ المُعْتَزِّ أُمْنِيَّةٌ ... عَوْنٌ عَلَى الدَّهْرِ وَأَشْغَالُ
لَا جِدَّةٌ يَنْهَضُ عَزْمِي بِهَا ... وَالنَّاسُ سُآَّلٌ ونَحَّالُ
فَاجْرِ مَعَ الدَّهْرِ إِلَى غَايَةٍ ... يَرْفَعُ فيها حَالَكَ الحَالُ

(٥) ينظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٩٨).

[٧: ٣٧] [أضاعَ كيسَهُ واستعادَهُ بعدَ سَنة]

أخبرني محمَّدُ بنُ الحسنِ بنِ المظفَّر الكاتبُ اللغويُّ، المعروفُ بالحاتميِّ، **قال**: أخبرنا أبو عمرَ محمَّدُ بنُ عبدِ الواحدِ، **قال**: أخبرنا ثعلبٌ، **قال**: أخبرنا عمرُ بن شَبَّةَ، **قال**: حدَّثني سعيدُ بن عامرٍ، **قال**: حدَّثنا هشامُ بن خالدٍ الرَّبْعِيُّ[(١)]، **قال**: دخلتُ المسجدَ ومعي كيسٌ فيه ألفُ درهمٍ، لا أملكُ غيرَها، فوضعتُه على رُكنِ[(٢)] ساريةٍ، وصلَّيتُ، ثمَّ ذهبتُ ونَسيتُه.

فكربَني أمرُه، ورَزَحَتْ حالي[(٣)] لفقده، فما حدَّثتُ بذلك أحدًا سنةً، وجهدني الضُّرُّ.

قال: فصلَّيتُ من بعد ذلك إلى تلكَ الساريةِ، ودعوتُ الله عَزَّوَجَلَّ، وسألتُه ردَّه علَيَّ، وعجوزٌ إلى جانبي تسمعُ قولي.

فقالت: يا عبدَ الله، ما الذي أسمعُكَ تَذكُر؟

قلت: كيسًا أُنسيتُه على هذه السارية عامَ أوَّل.

قالت: هو ذا عندي، وأنا منذُ سنةٍ أُراقِبُكَ. فجاءت به بخاتَمِه[(٤)].

---

(١) روى عنه عبد القدوس بن بكر بن الْحوَاري قولَه: (قَرَأت فِي التَّوْرَاة إِذا شبعت فاذكر الجايع). ينظر: «الثقات لابن حبان» (٨/ ٤١٩).

(٢) في (ض): (تربيع)، وفي (ل): (توسيع).

(٣) في (ظ): (وفدحت حالي). رَزَحَتْ حالُه: ضَعُفَ وذهب ما في يَدِه. وهو مجاز أصلُه من رَزَاحِ الإبل، إذا ضَعُفَت ولصقت بالأرض فلم يكن بها نهوضٌ. ينظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٠٩)، و«تاج العروس» (رزح: ٦/ ٣٩٣).

(٤) (أراقبك، فجاءت به بخاتمه) في (ل): (أرقب صاحبه فجاءت به بختمه). =

[٧: ٣٨] [خالد بن يزيدَ يُعزَلُ وتصادر أمواله لوشاية مُغرضٍ]

أخبرني محمَّد بن الحسن(١)، **قال:** حدَّثني أبو بكرٍ الصوليُّ(٢)، **قال:** حدَّثنا محمَّدُ بن القاسمِ بن خَلَّادٍ، **قال:** رفعَ بعضُ العمَّال إلى المعتصم - وكان يلي الخراجَ في موضعٍ يلي فيه خالدُ بن يزيدَ(٣) الحربَ - أنَّ خالدَ بن يزيدَ اقتطعَ الأموالَ، واحتجنَ بعضَها(٤)، فغضبَ المعتصمُ، وحلفَ لَيأخُذنَّ أموالَ خالدٍ، ولَينفِينَّه ولَيُعاقِبنَّه.

فلجأَ خالدٌ إلى أحمدَ بنِ أبي دُوَادَ القاضي، فاحتالَ حتَّى جمعَ بينَهُ وبين خَصمِه، فلم يُقِم على خالدٍ حُجَّةً، فعرَّفَ ابنُ أبي دُوَادَ المعتصمَ بذلك، وشفعَ إليه في خالدٍ(٥)، فلم يُشَفِّعه، وأحضرَ خالدًا، وأُحضِرَتْ آلاتُ العقوبة، وقد كان

= وقد جاءت بعد هذه القصَّةِ في المطبوع قصَّةٌ ليست في النسخ، وإنما هي في الباب الثامن (٤/ ٤٠).

(١) هو ابن المظفر الكاتب اللغوي، سبقت ترجمته (١/ ١٣٨).

(٢) هو محمَّد بن يحيى، سبقت ترجمته (١/ ٢٣٥).

(٣) هو خالدُ بن يزيدَ البغداديُّ، أبو الهيثم، شاعرُ غزلٍ، من الكُتَّاب، أصلُه من خراسانَ، ومولدُه بها، عاش وتُوفِّيَ في بغدادَ، كان أحد كُتَّاب الجيش في أيَّام المعتصم العباسيِّ، (ت: ٢٦٢هـ). ينظر: «معجم الأدباء» (٣/ ١٢٤٣)، و«الأعلام» (٢/ ٣٠١).

(٤) **احتَجنَ المال:** أخذَه. ينظر: «أساس البلاغة» (ح ج ن).

(٥) (خالد) في (ل): (حيلة).

قبلَ ذلك قبضَ أموالَه وضياعَه، وصرفَه عن العمل، وحضرَ أحمدُ ابن أبي داودَ المجلسَ، فجلسَ دونَ مجلسِه الذي كان يجلسُ فيه[1].

فقال له المعتصمُ: ارتفِع إلى مكانِكَ.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أستحقُّ إلَّا دونَ هذا المجلس.

فقال: وكيف؟

قال: الناسُ يزعمون أنَّه ليسَ محلِّي محلُّ مَن يشفعُ في رجلٍ قُرِفَ[2] بما لم يصحَّ عليه.

قال: فارتفِعْ إلى موضعِكَ.

قال: مُشفَّعًا، أو غيرَ مُشفَّع؟

قال: مُشفَّعًا، قد وهبتُ لك خالدًا، ورضيتُ عنه.

قال: إنَّ الناسَ لا يعلمون بهذا.

قال: قد رددتُ عليه أموالَه وضياعَه وأعمالَه.

قال: ويُشرِّفُه أميرُ المؤمنين بخلعٍ يَظهرُ للعامَّة؟

فأمرَ بفكِّ قيودِه، وأن يُخلعَ عليه، ففُعِلَ ذلك، ورُدَّ إلى حضرته.

فقال ابن أبي داودَ: قد استحقَّ هذا وأصحابُه أرزاقَ[3] ستَّةِ أَشهُرٍ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يجعلَها صِلةً له.

(١) (مجلسه الذي كان يجلس فيه) في (ظ): (الناس).
(٢) (قرف) في (ل): (قذف). قُرِفَ: اتُّهِمَ. ينظر: «أساس البلاغة» (ق ر ف).
(٣) (هذا وأصحابه أرزاق) في (ظ): (هو وأصحاب رزق).

قال: لِتُحمَلْ معه.

قال: فخرجَ خالدٌ وعليه الخلعُ والناسُ ينتظرون الإيقاعَ به، فلما رأوه على تلكَ الحالِ سُرُّوا، وصاحَ به رجلٌ: الحمدُ لله على خلاصِكَ يا سيِّدَ العرب.

فقال: سيِّدُ العرب والله ابنُ أبي دُوَادَ، لا أنا.

وفي هذه القصَّةِ يقولُ أبو تمَّامٍ الطائيُّ: [من الكامل]

يا سَائِلي عن خَالِدٍ وَفِعَالِهِ ... رِدْ فاغتَرِف عِلمًا بغَير رِشاءِ

قد كانَ خَطبٌ عَاثِرٌ فَأقَالَهُ ... رَأيُ الخَلِيفَةِ كَوكَبُ الخُلَفاءِ

ما سَرَّني بخِدَاجِهَا[1] من حُجَّةٍ ... ما بينَ أندَلُسٍ إلى صَنعَاءِ

فخَرجْتَ مِنهُ كالشِّهَابِ، ولم تَزَلْ ... مُذ كُنْتَ خَرَّاجًا من الغَمَّاءِ[2]

(١) في (ظ): (بخراجها).

(٢) ينظر: «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٧/ ٢٣٣).

[٧: ٣٩] [دواءُ عجيبٌ يصفه الطَّبيبُ لزنجيٍّ الكاتب]

أخبرني عليُّ بن نصرِ بن [عليِّ بن بِشْرٍ][١] الكاتبُ النَّصرانيُّ[٢]، أنَّ أبا عبدِ الله زنجيًّا[٣] الكاتبَ سُرِقَ منه مالٌ جليلٌ، وكان شديدَ البُخل، فنالَه من الغَمِّ ما أَنْحلَ جِسمَهُ، واجتهدَ في صرف الهمِّ والغمِّ عن نفسِه، فلم يجد إلى ذلك سبيلًا.

فشاورَ الأطِبَّاءَ في ذلك، واستعملَ أشياءَ وصفوها له، فما نجعَتْ، إلى أن استشارَ طبيبًا يقال له: عليُّ بن بِشْرٍ النصرانيُّ[٤]، فأشارَ عليه أن يصوغَ إِهلِيلجَةً[٥] من ذهبٍ، ويُمسِكَها في فيه.

ففعلَ ذلك، فلم تَمضِ إلَّا أيَّامٌ يسيرةٌ، حتَّى زالَ غمُّه، وعادَ جِسمُه إلى ما كان عليه.

---

(١) في (ظ): (قس)، وهو تصحيفٌ، والصواب المُثبَتُ، وهو مستفادٌ من القصَّة لاحقًا.

(٢) قوله: (أخبرني عليٌّ... النّصراني) في (ض، ل): (بلغني). سبقت ترجمته (١/ ٢٢٩).

(٣) في (ض): (بن يحيى)، والمثبت من (ظ).

(٤) قوله: (طبيبًا... النصرانيٌّ) في (ظ): (عليٌّ بن نصرٍ، الطّبيبَ النّصرانيَّ جدَّه، وكان يطبُّ زنجيًّا ويلزمه).

وعليٌّ بن بِشْرٍ هذا يظهر أنَّه جَدُّ راوي القصة، إلا أننا لم نقف له على ترجمة.

(٥) **الإهلِيلِج**: نوعُ عقارٍ من الأدوية، كان معروفًا. ينظر: «العين» (هـ ل ج)، و«المحيط في اللغة» (هـ ل ج).

[٧: ٤٠] [قصَّة سلمةَ الأنباريِّ كاتبِ المتوكِّل]

وجدتُ في بعض الكتب: كان بِسُرَّ مَن رأى ثلاثةُ إخوةٍ نصارى أنباريُّون، أحدُهم موسِرٌ، ولم يُسَمَّ، والثَّاني مُتجمِّلٌ، يقال له: عَوْنٌ، والثَّالث يقال له: سَلَمةُ، فقيرٌ.

قال: فانتهى أمرُ سلَمةَ فيما كابدَهُ من الفَقر وشِدَّتِه إلى أن تعذَّر عليه القوتُ لِيومِه، فصارَ إلى أخيه عَوْنٍ، وسألَهُ أن يتلطَّفَ إلى أخيهما الموسِر، في أن يُشَغِّلَه بما يعودُ عليه نَفعُه، ويَخدِمَه فيه، بدلًا من الغريب.

[ظ/١٧٦] فامتنعَ الأخُ الموسِرُ من ذلك، وعاودَهُ دفَعاتٍ، واستعطفَهُ وضرُّه يتزايد[١]، فقال الموسِرُ على سبيل الدفع: إن شاء أن أُصيِّره مكانَ هذا الشاكريِّ، وكان يصبرُ على العَدْوِ، فَعلتُ.

فعرض عونٌ على سلَمةَ ذلك، فقال سلَمةُ: ما عرض أخونا عليَّ هذا الأمرَ إلَّا لِأمتنعَ منه، ويجعلَهُ حُجَّةً، وأنا أستجيبُ إليه، وأصبرُ، وأرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كشف الحال التي أكونُ معه فيها[٢]، وأرجو الفرجَ بِبَغيِه عليَّ[٣]، ولا أُضيِّعُ نفسي بمسألة النَّاس. ففعلَ ذلك.

---

(١) (وضره يتزايد) ليست في (ض).

(٢) (أكون فيها معه) في (ض): (أنا عليها وأكون معه فيها).

(٣) (ببغيه علي) في (ل): (ببعثه إلي وأرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كشف الحال التي أكون فيها).

وكان أخوه يركبُ، وهو يمشي في أثره بطيلسانٍ ونعلٍ[(١)]، حتَّى لا يظهرَ أنَّه غلامُه، فإذا نزلَ في موضعٍ؛ لَحِقَ به، وأخذَ رِكابَهُ، وتسلَّمَ المركبَ، وحفظه إلى أن يخرجَ.

فلم يزل على هذا، إلى أن طلبَ وصيفٌ الكبيرُ رفيقُ بغا مَن يُجلِسُهُ بباب دارِه، فيكتبُ ما يدخلُ إلى الطبَّاخِ[(٢)] من الحيوان[(٣)] والحوائجِ؛ لِيُقايسَ ما يحتسبُ به[(٤)] عليه.

فوصفَ عَونٌ أخاهُ سلمةَ لذلك، فوجَّهَ إليه فأحضرَه، فامتنعَ، وذكرَ أنَّه لا دَرْيَةَ له ولا دِرايةَ[(٥)]، ولا فيه آلةٌ له[(٦)].

فضمنَ له عونٌ معاونتَهُ، وإجمالَ الحسابِ كلَّ عشيَّةٍ، ففعلَ، وأُجرِيَ عليه رِزقٌ يسيرٌ.

وجلسَ بالباب، فصارَ يدعو الحمَّالينَ، ويُثبِتُ ما يُحضرونَهُ، ويرفعُ في كلِّ يومٍ مدرجًا بتفصيل ذلك.

---

(١) (ونعل) في (ض): (وبغل)، وفي (ل): (وفعل).

(٢) (الطباخ) في (ظ، ل، ر): (المطبخ).

(٣) (الحيوان): في (ر): (الحملان).

(٤) (ما يحتسب به) في (ظ): (به ما يحتسب)، وفي (ل): (بما يحتسب).

(٥) **الدَّرْيَة والدِّرَاية**: كلاهما بمعنًى، وهو: العِلمُ بالشيء. ينظر: «الصحاح» (دري).

(٦) (دَرْيَةَ له ولا دِرايةَ، ولا فيه آلةٌ له) في (ظ): (دَرْيَةَ له به، ولا فيه آلةٌ له)، وفي (ض): (دَرْيَةَ له به ولا دِرايةَ له فيه، ولا آلةَ له فيه).

فلمَّا انقضى الشَّهرُ جمع وصيفٌ المدارجَ، وأحضرَ كاتبًا غريبًا، وتقدَّمَ إليه بأن يُؤرِّجَها[١] على أصنافِها.

وعمل كاتبُ ديوانِه عملًا بما رفعه الوكلاءُ في ذلك الشَّهر، فظهرت فيه زيادةٌ عظيمةٌ وتوفيرٌ.

فحَسُنَ[٢] موقعُ ذلك من وصيفٍ، وأحضرَ سلَمةَ، وما كان رآه قبلَ ذلك، وصرفَ المتصرِّفينَ في مطبخِه[٣]، وأسنى جائزتَهُ.

فتوفَّرَ على يده في الشَّهر الثَّاني ممَّا كان يُزادُ عليه من[٤] الأسعار ما حَسُنَ موقِعُه، فردَّ إليه وصيفٌ قهرمةَ دارِه[٥]، فتتابعت التوفيراتُ، واتَّصلت جوائزه إيَّاه، وزياداتُه في جاريه.

وطالت مدَّةُ خدمته لوصيفٍ، وعلَتْ حالُه، واتَّفقَ له خلوةُ المتوكِّل، وحضورُ وصيفٍ[٦].

فقال لوصيفٍ: قد كَثُرَ ولدي، وأريدُ لهم شيخًا، عفيفًا، ثِقةً، ليس فيه بَأْوٌ[٧]،

---

(١) **يُؤَرِّجُ**: أرَّج يؤرِّجُ تأريجًا وإراجةً، هو عَملٌ في الحساب، معروفٌ عند الكُتَّاب. ينظر: «التكملة والذيل والصلة» (أ ر ج)، و«تاج العروس» (أ ر ج).

(٢) (وتوفير فحسن) في (ظ): (فحطت وتوفر مالها، وحسن).

(٣) (مطبخه) في (ظ): (المطبخ به).

(٤) (يزاد عليه من) في (ض) (حط من)، وفي (ظ): (من)، وفي (ل): (يزاد عليه في).

(٥) **قَهْرَمة الدَّار**: خزينة الدار ودَخلُه، والقهرمانة: الخازن والوكيل. ينظر: «مجمع بحار الأنوار» (ق هـ ر م)، و«تكملة المعاجم العربية» (ق هـ ر م).

(٦) (واتفق له خلوة المتوكل، وحضور وصيف) في (ل): (ثم اتفق لوصيف خلوة بالمتوكل).

(٧) **البَأْوُ**: تعظيمُ النفسِ والكِبْر. ينظر: «مقاييس اللغة» (ب أ و)، و«مجمع بحار الأنوار» (ب أ و).

ولا محرَفةٌ؛ لِأُفرِدَ لهم على يده إقطاعاتٍ، أجعَلُها لهم، ولستُ أُحِبُّ أن أوسِّطَ كُتَّابي أمرَه.

قال وصيفٌ: فوقعَ في نفسي أن أصفَ سَلَمةَ، وبَخِلتُ به، فلم أَزلْ أُردِّدُ ذلك في قلبي. ثمَّ قلت: اعلم يا مولاي أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد رزقني هذه الصِّفةَ التي تريدُها منِّي، والرجلُ معي، فإذا فكَّرتُ في حقوقِكَ، وأنَّ نعمتي منك؛ لم أستحسن أن أستُرَهُ عنكَ[1]، وإذا فكَّرتُ فيما أَفقدهُ منه؛ توقَّفتُ، والآنَ فقد أنطقَني إقبالُكَ بذِكْره، وهو سَلَمةُ بن سعيدٍ النَّصرانيُّ.

قال: أحضرنيهِ السَّاعةَ.

فأحضرَه في الوقت[2]، فحينَ عاينَهُ المتوكِّلُ وقعَ في نفسه صِحَّةُ ما وصفَهُ وصيفٌ، فوقَّع لكلِّ ابنٍ له بإقطاع ثلاث مئة ألف درهمٍ، ولكلِّ ابنةٍ بمئةٍ وخمسينَ ألفَ درهمٍ، وقيل: إنَّ المتوكِّلَ ماتَ عن خمسينَ ابنًا وخمسين ابنةً، ودفع إليه التوقيعَ، وقال: تنجَّزْ هذا، واختَر من الضِّياع ما ترى، وانصب فيها مَن ترى[3]، وانصب لها ديوانًا. ووصَلَهُ، وجعلَ له منزلةً كبيرةً بكتابةِ[4] الولد.

فلمَّا فرغ من ذلك وقام به؛ جرى أمرٌ آخرُ أوجبَ أن يردَّ إليه أمرَ سائر الحرم، وجعلَ إليه قبضَ جِراياتهنَّ وأرزاقهنَّ، وإنفاقِ ذلك عليهنَّ، وصَرفِ وكلائهنَّ وأسبابهنَّ عنهنَّ، وزادت منزلتُه بذلك لِكثرة الحرم.

---

(١) (أن أستره عنك) في (ظ): (أن أُشرِكَه فيها)، وفي (ل): (أكتمك).

(٢) في (ظ، ل) زيادة: (وأوصله إلى المتوكل).

(٣) (وانصب فيها من ترى) ليست في (ظ، ل).

(٤) (بكتابة) في (ل): (بمكانة).

فبينا سَلمةُ يتردَّدُ في دار المتوكِّل إلى مقاصير الولد والحرم، إذ وقعَتْ عينُ المتوكِّل عليه، فاستدعاهُ، وقال له: يا سَلَمةُ، أكثرُ ما يَذهبُ على الملوك أَمرُها، حَفِظتُ بك ولدي وحرَمي، وأضعتُ نفسي، وليس لي منك عِوَضٌ، قد رَددتُ إليكَ بيتَ المال، وخزائنَ الفرشِ، والكسوةِ، والطِّيبِ، وسائرَ أمرِ الدَّار، فتسلَّمْ ذلك، واستخلِفْ عليه مَنْ تَثِقُ به.

[ظ/١٧٧] وكان أنكرَ عليه في عرض خدمته شيئًا، فأمرَ باعتقالِه[(١)]، ففُرِشَتْ له حُجْرةٌ، وتُرِكَ خلفاؤُه يعملون.

ثمَّ ذكرَه في اللَّيل، فقال لخادمٍ كان بين يديهِ[(٢)]: امضِ إلى الحُجرةِ التي فيها سلَمةُ، فاطَّلِعْ عليه، وعَرِّفني الصورةَ التي تَجِدُه عليها.

فعادَ الخادم، وذكر أنَّه وجدَه بين يديه دواةٌ، وهو يكتبُ في درجٍ لِيُجَوِّدَ خطَّهُ، ثمَّ أعادَهُ بعدَ وقتٍ آخرَ، فوجده على ذلك، وأعادَهُ ثالثةً، فكانت الصُّورةُ واحدةً.

فاستحضرَهُ، وقال له: أنتَ شيخٌ كبيرٌ، تُسوِّدُ لِتُجوِّدَ خَطَّكَ للآخرة[(٣)]، أو لِتَصِلَ من الدُّنيا إلى أكثرَ ممَّا وصلْتَ إليه؟

قال: لا هذا ولا هذا، ولكنَّك لمَّا اعتقلتَني، وأقرَرْتَ أصحابي؛ وثقتُ بحُسنِ رأيِكَ فيَّ، فلم أقطعِ التأهُّبَ لخدمتِكَ؛ لأنِّي أكاتبكَ كثيرًا فيما أَستأمِرُكَ فيه، وأنا أحبُّ أن لا تقعَ عينُكَ على ما تستقبِحُه منِّي من الخطِّ.

---

(١) (عرض خدمته شيئًا فأمر باعتقاله) في (ض): (عرض حديثه إياه شيئًا فاعتقله)، وفي (ل): (بعض خدمته شيئًا فأمر باعتقاله).

(٢) (كان بين يديه) ليست في (ظ، ل).

(٣) (ليجود خطك في الآخرة) في (ل): (لتجود خطك للآخرة).

فحَسُنَ موقعُ هذا القول من المتوكِّل، وأمرَ بإحضار حُقَّةٍ[1] فيها خاتم الخاصَّة، فدفعها إليه، وقال له: هذا خاتمي، وقد رددتُ إليك ختمَ ما كنتُ أختمُه بيدي، بعد أن تستأمِرَني[2] فيه؛ لِيعلمَ الخاصُّ والعامُّ أنِّي قد رَفعتُ منكَ، وزِدتُ في مَحلِّكَ، ولا يحطُّك[3] عندهم الاعتقال.

ثمَّ رآهُ المتوكِّلُ بعدَ ذلك[4] ماشيًا في الدَّار، فقال: سَلمةُ شيخٌ كبيرٌ، وهو ذا يهرَمُ ويتلَفُ بهذا المشي؛ لأنَّه يريدُ أن يطوفَ في كلِّ يومٍ على الأمراء والولد [ض/١٢٣] والأسباب والدار، وقد رأيتُ أن أُجرِيَهُ مجرى نفسي، في إطلاق المركوبِ له في داري.

فكانَ المتوكِّلُ يركبُ حمارًا يتخطَّى عليه[5] الممرَّات، ويركبُ سلَمةُ حمارًا أيضًا[6]، ولم يكن في الدَّار من يركبُ غيرُهما.

(١) **الحُقَّة**: الوعاء المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك ممَّا يصلُح أن يُنحتَ منه. ينظر: «لسان العرب» (ح ق ق).

(٢) (بعد أن تستأمرني) في (ض): (بعد أن لا تشاورني) وفي (ظ): (من غير أن تستأمرني).

(٣) في (ظ): (يُخلِقَك).

(٤) في (ظ، ل) زيادة: (وفي وقت من الأوقات).

(٥) (عليه) في (ظ): (به في)، وفي (ر): (به).

(٦) في (ل، ر): (آخر).

[٧: ٤١] [ابن الطَّبري يصبحُ كاتبًا للمؤيَّد ثمَّ لأخيه الموفَّق]

وجدتُ في بعض الكتب: أنَّ عبدَ الله المعروف بابن الطَّبريِّ النَّصرانيِّ الكاتب قدم إلى سُرَّ مَن رأى يلتمس التصرُّف، فلَزِمَ الدَّواوينَ مُدَّةً إلى أن نفدت نفقتُه، وانقطعت حيلتُه، ولم يبقَ إلَّا ما عليه من كِسوة، ثمَّ عَدِمَ القوتَ ثلاثة أيَّامٍ بلياليها وهو صابرٌ؛ خوفًا من أن يبيعَ ما عليه، فيُعطَّلَ عن الحركة، فلمَّا كان في اليوم الرَّابع[١] تقرَّر رأيُه على أن يبيعَ ما عليه، فيأكلَ ببعضِه، ويشتريَ بالباقي مُرقَّعةً وتاسومةً، وركوةً[٢]، ويخرج في زِيِّ فقيرٍ[٣] إلى بلدٍ آخرَ.

ثمَّ شرهت نفسُه إلى الرُّجوع إلى الدّيوان، مُؤمِّلًا فرجًا من الله يستغني به عن هذا، من تَصرُّفٍ أو غيره، فمشى يريدُ الدِّيوانَ، وهو مَغموم مفكرٌ، فسمعَ صوتَ حافرٍ من ورائِه، وقومٌ يصيحون: الطَّريقَ، الطَّريق.

فَلشِدَّةِ ما به غفلَ عن التنحِّي عن الطَّريق، فكبسَهُ شَهرِيٌّ[٤] كان راكبه المؤيَّدُ

---

(١) (القوت ثلاثة أيّام... الرّابع) ليست في (ظ).

(٢) **المرقَّعة**: الثوبُ الخَلق المرقَّع، ويلبَسُه الصوفية تَزهُّدًا. ينظر: «تاج العروس» (ر ق ع).
التَّاسُومة: النَّعلُ ذو الطاق الواحد. ينظر: «لسان العرب» (نعل).
الرَّكْوَة: دلوٌ صغيرةٌ من أُدْمٍ أو غيره. ينظر: «المصباح المنير» (ر ك و).

(٣) (فقير) في (ل): (قبيح).

(٤) **الشَّهْرِيُّ**: نوعٌ من البرذون، حجمه بين الرمكة والفرس العتيق. ينظر: «أساس البلاغة» (١/ ٥٢٥).

بالله بن المتوكِّل على الله[1]، وهو إذ ذاكَ أحدُ أولياء العهود، فداسَهُ الشَّهريُّ، وسقطَ على وجهه.

فصَعُبَ ذلك على المؤيَّد، ولم يكن يَعرِفُه، واغتمَّ أن يجريَ منه على إنسانٍ مثلُ ذلك، وأمرَ بأن يُحملَ إلى دارِه، ففُعِلَ ذلك، وأُفرِدت له حُجرَةٌ، ومَن يَخدُمُه فيها، وخُدِمَ بالدواءِ والطبِّ والطَّعام والشراب والطِّيب والفَرْش، حتَّى بَرِئَ بعدَ أيَّامٍ، فأنفذَ إليه المؤيَّدُ ألفي درهمٍ، وسأله إحلالَهُ ممَّا جرى عليه.

فقال: لا أقبَلُها، أو تقعَ عيني على المؤيَّد بالله، فأشافِهَهُ بالدُّعاء. فأُوصِلَ إليه، فشَكرَهُ، ودعا له، وقصَّ عليه قِصَّته، وسألَهُ استخدامَه.

فخفَّ على قلب المؤيَّد، واستكتبَهُ، وأمرَهُ أن يتصرَّفَ في دار والدته أمِّ إسحاقَ جاريةِ المتوكِّل، فتصرَّفَ فيها مُدَيدةً، وصلحَتْ حالُه.

وكان الموفَّقُ أخا المؤيَّد لِأُمِّه وأبيه، فرأى مِن ابن الطَّبريِّ ما أعجبَهُ، فاجتذبَه إلى خدمته، ونَفَقَ عليه[2]، وانتهى أمرُه معه إلى أن جعلَ إليه تربيةَ المعتضد[3]، وأكسبَهُ الأموالَ الجليلة.

---

(١) هو إبراهيم بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون، عقد له أخوه المعتزُّ بولاية العهد من بعده، ودعي له في الأمصار، ثم بلغ المعتزَّ عنه أمرٌ، فضربه، وخَلَعَه من العهد، وحبسه يومًا، ثمَّ أُخرِجَ ميتًا سنة (٢٥٢ هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٤).

(٢) أي: قرَّبه وأحسن إليه، ورَفَعَ منزلتَه عنده. ولعلَّه مأخوذٌ من «**نَفَقَتِ السلعةُ**»؛ أي: غلت ورُغِبَ فيها. و«**نَفَقَتْ الأيِّمُ**»؛ إذا كَثُرَ خُطَّابُها. ينظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٥٧)، و«المحكم» (ن ف ق: ٦/ ٤٤٧). وهو معنى مستخدم في كتب التاريخ، انظر عبارات مشابهة في: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٩٤)، و«أخلاق الوزيرين» (ص: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» (٧١/ ٨١)، و«معجم الأدباء» (١/ ٣٧٤).

(٣) المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكِّل.

[٧: ٤٢] [الإخشيدُ مِن صاحب حانوتٍ فقيرٍ إلى حاكم مِصرَ]

وجدتُ في بعض الكتب: حدَّث أبو الطيِّب بنُ[١] الجنيدِ -الذي صارَ صاحبًا لأبي جعفرٍ محمَّدِ بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد[٢]، وكان قبلُ جارًا لأبيه أبي القاسم[٣]- قال: كان أبو بكرٍ محمَّدُ بن طُغْجَ بن جُفٍّ[٤] ينزلُ قديمًا بالقرب من منازلنا بقصر فرَجٍ، وكان صغيرَ[٥] الحال، ضعيفًا جدًّا.

وكان له على باب دُويرَتِه دُكَّانٌ يجلسُ عليها دائمًا، ودابَّتُه مشدودةٌ إلى جانبها، وهو يُراعيها في العلفِ والماءِ بنفسه، وكان له رِزقٌ سلطانيٌّ يسيرٌ، فيتأخَّرُ عنه أبدًا، ولا يَقبِضُه إلَّا في الأَحايين، وكان شديدَ الاختلالِ، ظاهرَ الفَقرِ[٦]، وكان له عِدَّةُ بناتٍ لا ذَكرَ فيهنَّ.

---

(١) في (ر): (أن).

(٢) كان كاتبًا وناظرًا لهارون بن غريب خال المقتدر، ثمَّ استوزره الراضي، ثم المستكفي، وفي سنة (٣٣٦هـ) سجنه المطيع لله، (ت: ٣٥٦هـ). ينظر: «تجارب الأمم» (٥/ ٢٣٥ - ٦/ ١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١١٤)، و«قلادة النحر» (٣/ ١٨٦).

(٣) يعني يحيى بن زكريا بن شيرزاد والد أبي جعفر، تقلَّد ديوان الضياع المعروفة بـ (غريب الحال). ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٥٤).

(٤) أبو بكرٍ الفرغانيُّ المعروف بالإخشيد، ولي دمشقَ في خلافة المقتدر سنة (٣١٨هـ)، وولي مصرَ من قبل القاهر في شهر رمضان سنة (٣٢١هـ)، توفي بدمشق ودفن في بيت المقدس، والإخشيد معناه: ملك الملوك. ينظر: «تاريخ دمشق» (٥٣/ ٢٨٥)، و«الأعلام» (٦/ ١٧٤).

(٥) (صغير) في (ظ): (رقيق).

(٦) (وكان شديد الاختلال ظاهر الفقر) ليست في (ض).

وكان يجتاز به أبو القاسم يحيى بن زكريا بن شيرزاد، وأحدُ ابنيه؛ أبي الحسين[١] وأبي جعفرٍ، فيقوم قائمًا، ويُظهِرُ التعبُّدَ لهم، ولا يزالُ واقفًا إلى أن يَبعُدوا عنه.

وكنتُ ربَّما جلستُ إليه، فيأنسُ بي ويُحدِّثُني، ويشكو إليَّ بثَّه، وما يقاسيه من كثرة العَيْلَةِ وضيقِ الحال، ويقول: ليت كان لي فيما رُزِقتُه من الولد ذَكَرٌ واحدٌ، فكنتُ أتعزَّى به قليلًا، ويَخِفُّ بالرجاءِ له والسُّرور به بعضُ كربي[٢] وهَمِّي بهؤلاء البنات.

قال أبو الطيِّب: وضربَ الدهرُ ضَرْبَهُ، وتقلَّب تقلُّبَه، وطالَ العهدُ بابن طُغْجَ، وخرج في جملة تجريدٍ جُرِّدَ[٣] إلى الشَّام، وأُنسيناهُ، وترامَتْ[٤] به الأحوالُ حتَّى بلغَ أن تقلَّدَ مِصرَ وأعمالَها، وكان من عُلوِّ شأنه وارتفاعِ ملكه وحصولِ الأمر له ولولده[٥] من بعده ما كان ممَّا هو مشهورٌ.

وكان قد وردَ إلى تلك البلاد[٦] أحدُ التُّجَّار الواسعي الأحوال من جِوارنا

---

(١) هو زكريا بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد، أبو الحسين، استخلفه أبوه على ديوان الضياع المعروفة بـ(غريب الحال). ينظر: «نشوار المحاضرة» (٨/ ٥٤).

(٢) (كربي) في (ض): (فكري) وليست في (ر).

(٣) (تجريد جرد) في (ل): (من خرج).

(٤) (وترامت) في (ض): (وتراقت).

(٥) بعد موت الإخشيد آلَ أمر الدولة الإخشيدية إلى ولده الأمير أبي القاسم أنوجور، وذلك سنة (٣٣٥هـ)، وبقي حاكمًا لمصر حتى وفاته سنة (٣٤٩هـ)، ثم خلفه أخوه الأمير أبو الحسن علي بن الإخشيد، وكان المتصرف بالدولة والمسيطر عليها كافور الإخشيدي، وبقي أميرًا حتى توفي سنة (٣٥٥هـ). ينظر: «كتاب الولاة وكتاب القضاة» (ص: ٢٩٦).

(٦) (ورد إلى تلك البلاد) في (ظ): (طرأ إلى تلك الناحية).

ممَّن كان يَعرِفُ ابنَ طُغْجَ على تلك الحال الأولى، فلمَّا كان بعدَ سِنينَ عادَ ذلك الرجلُ إلى الحضرةِ، فحدَّثنا بعِظَمِ أمرِ ابن طُغْجَ، واتِّساعِ ملكه، وقال: رأيتُه غيرَ الرجل الذي كنَّا نعرفه على دُكَّانه ورزاحةِ حاله[1]، وحين رآني قرَّبني وأكرمني، وما زال مُتشبِّثًا[2] بي، يُحادثني وأحادثه، ويسألني عن واحدٍ واحدٍ من بني شيرزاد، وغيرِهم من الجيران، وأنا أُخبره.

حتَّى قال في بعض قوله: الحمد لله الذي بيده الأمورُ، ما شاء فعلَ، يا فلان، ألستَ ذاكرًا ما كنتُ فيه ببغدادَ من تلك الأحوالِ الخسيسة، وما كنتُ أُلاقيه من الشِّدَّة والفقر والفاقة وتنغيص العيش والهَمِّ بأولئك البنات؟

قلت: نعم، يا سيِّدي.

قال: والله لقد كنتُ أتمنَّى[3] وأسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقَني ابنًا، فكلَّما اجتهدتُ في ذلك جاءتني بنتٌ، حتَّى تكاملَ في بيتي عشرُ بناتٍ.

وكنتُ أتمنَّى منذُ الحداثةِ أن يرزقَني دابَّةً بلقاءَ[4]، وأستشعرُ أنِّي إذا ركبتُ ذلك؛ فقد حصلَتْ لي كلُّ فائدةٍ ونعمةٍ؛ لِشدَّة شهوتي لها، فما سهَّلَ الله عَزَّوَجَلَّ لي ما طلبتُ من هذا الباب أيضًا، وتكهَّلتُ، وغلبَ شيبي[5]، وأنا على تلك الأحوال.

وضرب الدَّهرُ ضَرْبَهُ، وخرجتُ من بغدادَ، وابتدأَ الإقبالُ يأتي، والإدبارُ ينصرف؛ وكان الله عَزَّوَجَلَّ يرزقُني في كلِّ سَنةٍ ابنًا، ويقبضُ عَنِّي ابنةً، حتَّى مات

---

(١) أي: ضَعفِه وقِلَّةِ ما في يده. وقد سبق بيانه (٣/ ١٦٦).

(٢) (متشبثًا) في (ظ): (مستبشرًا)، وفي (ل): (متآنسًا)، وفي (ر): (هشًا).

(٣) في (ض) زيادة: (الموت).

(٤) (بلقاء) في (ظ، ل، ر): (أبلق).

(٥) (وغلب شيبي) في (ظ): (علت سنِّي)، وفي (ل): (وغلب سني).

البناتُ كلُّهنَّ، ونشأ لي هؤلاء البنون، وأومأَ إلى أحداثٍ بين يديه كأَنَّهُم الطواويسُ حُسنًا وجمالًا.

ثمَّ قال: وملكتُ من الخيل العتاقِ والبراذينِ والبغالِ والحميرِ البُلقِ ما لم يملك أحدٌ مِثلَه، ولا اجتمعَ لأحدٍ ما يقارِبُه، وأما غيرُ هذا فأكثرُ من أن يُحصى، وصارَ لِغلمان غلماني الكراعُ الكثير، فقم بنا حتَّى ندخلَ الإصطبلاتِ، فنُشاهِدَها، ونَعْجبَ.

وأخذَ بيدي، ومشينا حتَّى دخلنا إصطبلَ البُلقِ، فما أشكُّ، أنَّا عدَدْنا من صنوف الدَّوابِّ البُلقِ أكثرَ من خمس مئة رأسٍ، ثمَّ ضَجِرنا، وما زلنا نجتازُ من إصطبلٍ إلى آخرَ[1]، ويقول: هذا إصطبلُ الفلانيَّات، وهو يسألُ صاحب كراعِهِ: كم في هذا؟

فيقول[2]: في هذا خمسُ مئة رأسٍ، وفي هذا أربعُ مئة رأسٍ، ونحو ذلك، حتى ضَجِرنا من كثرتها[3]، ثم عُدنا إلى المجلس وقد أبهجني ما رأيتُ[4]، وهو يحمدُ الله تعالى على تَفضُّله عليه وإحسانه إليه. [ض/ ١٢٤]

ولازَمتُه، وما فارقتُ[5] دارَه حتَّى قضيتُ حوائجي، ونفعَني، وأحسنَ إليَّ، وما قصَّر، وعُدْتُ إلى الشَّام مُكرَّمًا.

---

(١) (من إصطبل إلى آخر) في (ظ): (فاصطبل سنة سنة)، وفي (ر): (بإصطبل شية شية).

(٢) في (ل) زيادة: (له).

(٣) (رأس، وفي هذا أربع مئة رأس، ونحو ذلك، حتى ضجرنا من كثرتها) في (ظ، ل): (وفي هذا أربع مئة، ونحو ذلك).

(٤) (وقد أبهجني ما رأيت) في (ض): (وهو يعجبني).

(٥) في (ض) زيادة: (خدمته و).

[٧: ٤٣] [غريبٌ يُسعِفُه غريبٌ]

ذُكِرَ عن رجلٍ كان بالبصرة أنَّه كان حسنَ اليسار، تغيَّرت حالُه، فخرجَ عن البصرة، ثمَّ عاد إليها وقد أثرى، فجعلَ يُحدِّثُ بألوانٍ لَقِيَها، إلى أن قالَ: [ظ/١٧٩]

دخلتُ بغدادَ وأنا حَرِيبٌ سَلِيبٌ(١)، لا أهتدي إلى مذهبٍ ولا حيلةٍ، فجعلتُ أسألُ: أين السُّوقُ؟ أينَ الطَّريقُ؟ حتَّى ضجرتُ، فقلت وأنا كئيبٌ ممَّا أنا فيه(٢): [من الوافر]

غَـرِيـبُ الـدَّار لَـيْـسَ لَـهُ صَدِيقٌ ... جَمِيعُ سُـؤَالِـه كَـيْـفَ الطَّرِيقُ؟
تَعلَّقَ بِـالـسُّـؤَالِ بِـكُـلِّ صَـقْـعٍ(٣) ... كما يَـتـعَـلَّـقُ الـرَّجـلُ الـغَـرِيـقُ

وجعلتُ أُردِّد ذلك وأمشي، فإذا برجلٍ مُشْرِفٍ من منظرةٍ له، فقال لي: [من الوافر]

تَـرفَّـقْ يـا غَـرِيـبُ فَـكـلُّ عَبدٍ ... يَـطِـيـفُ بِـحـالِـه سَـعـةٌ وضِـيـقُ
وكـلُّ مُصيبَةٍ تأتي وخَـطْـبٍ(٤) ... فـإنَّ الـصَّـبْـرَ مَـسـلَـكُـه وَثِـيـقُ

---

(١) (حريب سليب) في (ض): (حزيناً سليبًا)، وفي (ظ): (غريب سليب). **الحَرِيبُ**: تأتي بمعنى الفاعل، وتأتي بمعنى مفعول، وهي هنا بمعنى مفعول، وهو مَن أُخِذَ جميعُ ماله. ينظر: «المصباح المنير» (ح ر ب).

(٢) (كئيب مما أنا فيه) في (ظ): (مكروب)، وفي (ل): (كئيب مكروب غريب).

(٣) في (ض): (شفع).

(٤) (تأتي وخطب) في (ل): (ستمضي وأخطب).

فخفَّ ما بي، ورفعتُ رأسي إليه، وسألتُه عن خبره، فقال: اصعد إليَّ أحدِّثكَ.

فصَعِدتُ إليه، فقالَ لي: وردتُ هذا البلدَ وأنا غريبٌ، فتحيَّرتُ والله كَتحيُّرِكَ، إلى أن مَررتُ بهذه الغرفة، فأشرفَ[1] عليَّ رجلٌ كان فيها، لا أعرِفُه، فقال لي: اصعد.

فصَعِدتُ، فأَسْكَننيها، ثمَّ تقلَّبَت بيَ الأحوالُ، فابتعتُ الدَّارَ وأثريتُ، فأنا أجلس فيها كثيرًا، فانزلها، فإن لي فيما سواها من هذه الدار مساكنَ تُجزِئُني[2].

ففعلتُ، فأقبلَتْ أحوالي، واحتجتُ إلى الاتِّساعِ، فانتقلتُ عنها.

---

(١) (مررت بهذه الغرفة فأشرف) في (ل): (وردت إلى هذه الغرفة فأشرفت).

(٢) في (ظ): (تحويني).

[٧: ٤٤] [البرامكةُ يمكرون بعبد اللَّه بن مالكٍ الخزاعيِّ ثمَّ يفرِّج اللَّه عنه]

وجدتُ في بعض الكتب: أنَّ البرامكةَ قصدت عبدَ الله بن مالكٍ الخزاعيَّ بالعداوةِ، وكان الرشيدُ حسنَ الرأي فيه، فكانوا يُغرُونَه به، حتَّى قالوا له: لا بدَّ من نَكبَتِه.

فقال: ما كنتُ لأفعلَ هذا، ولكن أُبعِدُه عنكم.

فقالوا: يُنفَى.

قال: لا، ولكن أُوَلِّيهِ ولايةً دونَ قدره، وأُخرِجهُ إليها.

فرَضُوا، وكتبوا له على حرَّانَ والرُّها فقط(١)، وأَمرُوه بالخروج إليها.

قال عبدُ الله: فوَدَّعتُهم واحدًا واحدًا، حتَّى صِرتُ إلى جعفرٍ لأُودِّعَه، فقال لي: ما على الأرض عربيٌّ أَنبَلُ منكَ يا أبا العبَّاس، يَغضَبُ عليكَ الخليفةُ، فيُولِّيكَ حرَّانَ والرُّها!

فقلتُ: ما ذنبي حتَّى غَضِبَ عليَّ، وأيُّ شيءٍ جرى منِّي حتَّى أوجبَ أن يُعملَ بي هذا؟

---

(١) **الرُّها أو الرُّهاء**: بالمد والقصر، مدينة قديمة سُمِّيَتْ باسم الذي استحدثَها، واختُلِفَ فيه، اسمها بالرومية أذاسا، واسمها الحديثُ (أورفة)، وتقع في الجمهورية التركية. ينظر: «معجم البلدان» (٣/ ١٠٦).

قال: يُضرَبُ وسطكَ، وتُصلَبُ نِصفًا في جانبٍ، ونصفًا في جانبٍ[1].

فقلتُ: ليس العَجبُ منك في قولك هذا، إنَّما[2] العَجبُ منِّي حيث صِرتُ إليكَ لِأُودِّعَكَ[3]، ونهضتُ، فخَرجتُ.

فقطعتُ طريقي بِالهَمِّ والغَمِّ، مِمَّا دُفِعتُ إليه منهم، وأنِّي لا آمَنُهم مع غيبتي على السِّعاية عليَّ، حتَّى وصلتُ إلى الموضع، فأقمتُ فيه مُدَّةً يسيرةً[4].

فبينا أنا عشيَّةً على باب الدَّار الَّتي أَنزِلُها جالسًا على كرسيٍّ؛ إذ أقبلَ إليَّ مولًى لي، فقال لي سِرًّا: قد قُتِلَ جعفرُ بن يحيى البرمكيُّ.

فتوهَّمتُ أنَّه قد دَسَّهُ إليَّ؛ لِيَجِدَ حُجَّةً ينكبني بها، فبطَحتُه، وضَربتُه ثلاث مئة مِقْرعةٍ، وحَبستُه، وبِتُّ بليلةٍ طويلةٍ على سطح داري.

فلمَّا كان في السَّحَرِ إذا صوتُ حِلَقِ البريدِ، فارتَعْتُ، ونزلتُ عن السَّطح، وقلتُ في نفسي: إن هجمَ عليَّ صاحبُ البريد فهي بَلِيَّةٌ، وإن ترجَّلَ فهو فرَجٌ لي.

فلمَّا أبصرَني صاحبُ البريد ترجَّلَ، فطابت نفسي، ودفع إليَّ كتابًا من الرشيد، يُخبِرُني فيه بقتله جعفرَ بن يحيى، وقَبضِه على البرامكة، ويأمرُني بالشخوصِ إلى حضرته.

---

(١) (جانبٍ، ونصفًا في جانبٍ) في (ض): (إحدى جانبي بغداد والنصف الآخر في الجانب الآخر).

(٢) (ليس العجب منك في قولك هذا إنما) ليست في (ظ، ل، ر).

(٣) (لأودعك) ليست في (ل).

(٤) (حتى وصلت إلى الموضع فأقمت فيه مدة يسيرة) ليست في (ظ، ل).

فشخَصْتُ، فلمَّا وصلتُ إليه عاملَني من الإكرام والإنعام ما زادَ على أُمنيتي.

وخرجتُ فأتيت الجِسرَ، فوجدتُ جعفرًا قد ضُرِبَ وسطُه، وصُلِبَ نِصفُه من جانبٍ، والنصفُ الآخَرُ من الجانب الآخر.

[٧: ٤٥] [نجاحُ بن سلَمةَ ينصحُ سليمانَ بن وهبٍ]

حكي أنَّ الواثقَ بالله سَخِطَ على سليمانَ بن وهبٍ، فدفعَهُ إلى محمَّدِ بن أبي[١] إسحاقَ[٢]، وأمره أن يأخذَ خطَّهُ بثلاثةِ آلاف ألفِ دِرْهمٍ، يُؤدِّيها بعدَ خمسةَ عشرَ يومًا، فإن أذعنَ لذلك، وإلَّا ضربه خمس مئة سوطٍ.

فطالبه محمَّدٌ بكَتْبِ الخطِّ، فامتنعَ، ودعا له بالسِّياط، وجرَّدهُ لِيضربَه.

ودخل نجاحُ بن سلَمةَ، فلمَّا رآه سليمانُ أيقنَ بالموت، فاستغاثَ به سليمان. [ظ/ ١٨٠]

فقال نجاحٌ لمحمَّد: خَلِّ عنه، وخَلِّني وإيَّاه. ففعلَ[٣].

فقال نجاحٌ لسليمانَ: أتعلمُ أنَّ في الدُّنيا أحدًا أعدى لكَ منِّي؟

قال: لا.

قال: فهو ذا أُجافي[٤] عنك اليومَ لأجل الصِّناعة، أيُّما أحَبُّ إليكَ وآثَرُ في نفسِكَ؟ أن تموتَ السّاعةَ بلا شكٍّ، أو يكونَ ذلك إلى خمسةَ عشرَ يومًا، أو يُفرِّجَ الله تعالى عنك؟

---

(١) (أبي) سقطت من (ض، ظ).

(٢) هو محمَّد بن إبراهيم بن مصعب، من قواد المعتصم، كان يخلفُ أخاه إسحاقَ بن إبراهيم على إمارة بغداد إذا غاب، وفي سنة (٢٣٢هـ) ولاه الواثق فارسَ، وتوفي بها سنة (٢٣٦هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٩/ ١٣٦)، و«تجارب الأمم» (٤/ ٢٨٠).

(٣) (فقال نجاح... ففعل) ليست في (ل).

(٤) في (ض): (أحامي).

قال: لا، بل أكونُ إلى خمسةَ عشرَ يومًا بين الأمرين.

قال: فاكتب خطَّكَ بما طُولِبتَ به.

فكتبَ سليمانُ بمشورته تلك خطَّه، فما مضت إلا ستَّة أيَّامٍ(١)، حتَّى مات الواثق، وبطل المال. وصار نجاحُ بن سلَمةَ بمشورته تلك على سليمانَ أحبَّ إليه من أخيه وولده، وزالت العداوةُ عنهما(٢).

قال مؤلِّف هذا الكتاب: هذا الخبر عندي أنه مضطرب؛ لأشياءَ كثيرةٍ، ولكنِّي كتبتُه، كما وجدتُه، وقد مضى فيما تقدَّم من هذا الكتاب خبرُ نكبةِ الواثقِ لسليمانَ بن وهبٍ، بما هو أصحُّ من هذه الحكاية(٣).

---

(١) (إلا ستَّة أيَّام) في (ض): (الأيام).

(٢) (وصار... عنهما) ليست في (ض، ظ، ل).

(٣) (قال مؤلِّف... الحكاية) ليست في (ر).

[٧: ٤٦] [المعتمِد يأمرُ بقطع يد غلامٍ من غلمانه، ثمَّ يعفو عنه]

بلغني أنَّ أبا محمَّدِ بنِ حمدونَ[١]، قال: اشتهى المعتمِدُ أن يتَّخِذَ له فرشَ[٢] ديباجٍ، بسُتورِه وجميعِ آلاتِه، على صورةٍ صوَّرها، وألوانٍ اقترحها.

فعُمِلَ ذلك بتُسْتَرَ[٣]، وحُمِلَ إليه، فسُرَّ به غايةَ السرور، وتقدَّم، فنُجِّدَ، ونُصِبَ، وأحضرني والندماءَ، وهو يأكلُ، فما منَّا إلَّا مَن وصفه واستحسنَه، ثمَّ قامَ لِينامَ وينتبهَ، فيشربَ فيه. وتفرَّقنا، فما شعرنا إلَّا وقد امتلأت الدَّارُ ضجَّةً وصياحًا، ودعا بنا، فحضرنا، فوجدناه يزأر كالأسد.

وإذا نصف سترٍ من تلك الستور قد قُطِعَ وهو يقول: ليس بي قَطعُه، ولا قيمتُه؛ لأنَّه يمكنني أن أستعملَ مكانَه، وإنَّما بي أنَّه نُغِّصَ عليَّ السرورُ أوَّلَ يومٍ، واجتُرِئَ عليَّ بمثل هذا الفعل، وأصعَبُ من هذا أنَّه قُطِعَ وأنا أراهُ، وغاص الذي قطعَهُ من عيني ولم أتثبَّته[٤]. [ص/١٢٥]

ثمَّ دعا بنحريرٍ الخادم، وحلفَ له بأيمانٍ مُغلَّظةٍ أنَّه إن لم يبحث إلى أن يُحضرَ الجانيَ لَيضرِبنَّ عُنقَهُ، وجلسَ على حالِه مَغيظًا[٥].

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن حمدون، النديم. سبقت ترجمته (١/ ٢٥٢).

(٢) في (ض) زيادة (بيت).

(٣) في (ظ): (بتنِّيس).

(٤) (أتثبته) في (ض): (أنتبه).

(٥) في (ظ): (مُغضَبًا).

ومضى نحريرٌ، فما أبعدَ حتَّى أحضرَ صَبِيًّا من الفرَّاشين، كأنَّه البَدرُ حُسنًا، والقطعةُ الديباجُ معه، وقد أقرَّ بِقَطعِها، واعتذرَ، وبذلَ التوبةَ، وهو يبكي، ويسأَلُ الإقالةَ.

فلم يسمع المعتمدُ منه ذلك، وأمر نحريرًا أن يُخرجَه، فيقطعَ يدَهُ، فأُخرِجَ[1]، وما منا إلَّا مَن آلمه قلبه عليه؛ لِـمَلاحته، وصِغَرِ سِنِّه، وليس فينا مَن يَجسُر على مسألة المعتمِد فيه، ونحن قيامٌ سكوتٌ، وهو يعبَثُ بيَدِه غيظًا[2]، حتَّى صرخَ من يده[3] صُراخًا عظيمًا، وقال: قد دخلَ في أصبعي شيءٌ السَّاعةَ، وزادَ الألمُ عليه، وجيء بمن رآها، وأحضرَ منقاشًا، فأُخرِجت من إصبعه[4] شظيَّةٌ من قصبةٍ، فما ندري مِمَّ نتعجَّبُ، أَمِن صِغَرها؟ أم مِن دخول مثلِها في لَحمِه مع ضَعفِها؟ أو مِن شِدَّةِ إيلامها إيَّاهُ، أو من كونها فوقَ ديباجٍ ساعةَ طُرِحَ ونُفِضَ؟

فلمَّا استراحَ؛ قال: يا قوم، إذا كان هذا المقدارُ اليسير قد آلمني هذا الألم الكثير، فما حالُ هذا الصبيِّ الذي أمرنا بقطع يده؟

قلنا: أسوأُ حالٍ وأَشرُّها، ويجب أن يُجعلَ العفوُ عنه شكرًا لما كُفيناه.

فقال: ابعثوا إلى نحريرٍ الخادم مَن يَلحَقُه، فإن كان لم يقطَعْه؛ مُنِع من قطعه. فتسابقَ الغِلمانُ، فلَحِقوهُ، والزيتُ يغلي، وقد مُدَّت يدُه لِتُقطعَ، فخلَّوه، وسَلِمَ.

---

(١) (فأخرج) ليست في (ض).

(٢) (وهو يعبث بيده غيظًا) ليست في (ظ، ل).

(٣) (من يده) ليست في (ض).

(٤) في (ل، ر): (كفه).

[٧: ٤٧] [وفاء عدي بن الرّقاع ومروءته]

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني، **قال:** أخبرني محمَّد بن خلف[١] بن المَرْزُبان، **قال:** حدَّثنا أحمدُ بن جريرٍ، عن محمَّد بن سلامٍ، **قال:** عزلَ الوليدُ بن عبد الملك عبيدةَ بن عبد الرَّحمن[٢] عن الأردنَّ، وضربهُ، وحلقه[٣]، وأقامه للنَّاس، ووكَّلَ به[٤]، وقال للمتوكِّلين به: من أتاه متوجعًا وأثنى عليه؛ فأتوني به.

فأتاه عَدِيُّ بن الرِّقاع العامليُّ[٥]، وكان عبيدةُ إليه محسنًا، فوقفَ عليه، وأنشأ يقول: [من الوافر] [ظ/ ١٨١]

وما عزلوكَ مسبوقًا ولكن ... إلى الغاياتِ سبَّاقًا جوادَا
وكنتَ أخي وما ولدتْكَ أُمِّي ... وَصولًا باذلًا لا مُستزادا

---

(١) في (ظ): (خالد).

(٢) هو عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي من بني ثعلبة بن بهثة بن سليم، والي هشام بن عبد الملك على إفريقية والأندلس لأربع سنوات (١١٠-١١٤هـ) ثم استعفاه فعفاه. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٢٢٩)، و«الأعلام» (٤/ ١٩٩).

(٣) (وضربه وحلقه) في (ض): (وصرفه وحلفه).

(٤) (ووكل به) ليست في (ظ، ل، ر).

(٥) هو عديّ بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعرٌ كبيرٌ، من أهل دمشق، يكنى أبا داود، و شاعر أهل الشام. كان معاصرًا لجريرٍ، مُهاجيًا له، مقدَّمًا عند بني أمية، ومدَّاحًا لهم، خاصًّا بالوليد بن عبد الملك. مات في دمشق سنة (٩٥هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١١٠)، و«الأعلام» (٤/ ٢٢١).

فقد هِيضَتْ[1] بنكبَتِكَ القوافي[2] كـــذاكَ الله يـفـعـلُ مــا أرادا

فوثب الموكَّلون إليه، فأدخلوه إلى الوليد، وأخبروه بما جرى، فتغيَّظ عليه الوليد، وقال له: أتمدحُ رجلًا قد فعلتُ به ما فعلت؟

فقال[3]: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه كان إليَّ مُحسِنًا، ولي مُؤثِرًا، وبي بَرًّا[4]، ففي أيِّ وقتٍ كنتُ أكافِئُه بعدَ هذا اليوم؟

فقال[5]: صدقْتَ، وكَرُمتَ، قد عفوتُ عنك وعنه لك، فخذ بيده وانصرِف.

فسُلِّمَ إليه، وانصرفَ إلى منزله[6].

(١) **هِيْضَت**: كُسِرَت. ينظر: «أساس البلاغة» (هـ ي ض).

(٢) (القوافي) في (ض): (التداني) وفي (ظ، ل): (القدامى).

(٣) في (ظ): (قال).

(٤) (وبي برًّا) ليست في (ظ).

(٥) في (ظ): (قال).

(٦) ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٢).

[٧: ٤٨] [اللَّه تعالى يكفي نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرَّ أسلمَ وأربدَ ابنَي ربيعةَ ويُهلِكُهما]

أخبرني محمَّد بن الحسَن[١]، قال: أخبرني ابنُ أبي غسَّانٍ البصريُّ[٢]، **قال:** حدَّثنا أبو خليفةَ[٣]، **قال:** أخبرنا محمَّد بن سلَّامٍ.

قال محمَّد بن الحسن: وأخبرني عليُّ بن الحُسَين القرشيُّ، وأنا أحسَبهُ يعني أبا الفرج الأصبهانيِّ، **قال:** أخبرني عبدُ العزيز بن أحمدَ[٤]، عمُّ أبي[٥]، **قال:** حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّارٍ، **قال:** حدَّثتني ظَمْياءُ بنتُ عبد العزيز بن مَوَلَةَ بن كُثَيفٍ[٦]،

---

(١) هو محمَّد بن الحسن بن المظفر الحاتمي. سبقت ترجمته (١/ ١٣٨).

(٢) هو علي بن أحمد بن أبي غسان البصري، أبو الحسن. روى عن زكريا بن يحيى الساجي، وعن أبي عبد الله الأصبهاني والدِ الحافظ أبي إسحاق. وروى عنه أبو الحسين العكبريُّ القاضي، وأبو علي المقرئ الصَّفّار. ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٢٦ - ٨/ ٣٢٠)، و«بلوغ الأماني بتراجم شيوخ أبي الشيخ الأصبهاني» (٢/ ٩٠٨).

(٣) هو الفضلُ بنُ الحُبَابِ الجُمَحِيُّ. سبقت ترجمته (١/ ٢١٦).

(٤) هو عبد العزيز بن أحمد بن الهيثم، عمُّ أبي عليٍّ بن الحسين الأصبهاني، وهو يروي عنه. كان من كبار الكُتَّاب أيَّام المتوكِّل. ينظر: «جمهرة أنساب العرب» (ص: ١٠٧).

(٥) (عمُّ أبي) في (ض): (بن عمر).

(٦) (بن كثيف) ليس في (ظ، ل). **وظَمْيَاء بنت عبد العزيز** بن مَوَلَة بن كُثَيْف بن حمل الكلابية، تَرْوي عن أبيها، عن جدِّها مَوَلَة، وله صُحْبة ورواية عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى عنها الزُّبَير بن بَكَّار. ينظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣/ ٤٩١) و(٤/ ٩٧٦)، و«تبصير المنتبه» (٣/ ١٩٧).

وكانت تجمعُ بين اللفظَينِ، وأوردَتْ أتمَّهُما، قالت: كان عامرُ بن الطُّفَيلِ[1] فارسَ قومه[2]، وكان عقيمًا، وكان أعورَ.

وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد رُمِيَ منه ومِن[3] أَرْبدَ أخي لبيدِ بن ربيعةَ[4] بما أهمَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكُفِيَهُما، وذلك أنَّهما أتياه، فلَقِياه[5]، فوسَّدَ عامرًا وِسادةً، ثم قال له: «**أَسلِمْ يا عامرُ**».

قال: على أنَّ ليَ الوبرَ، ولك المدر؟ فأبى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: على أن تجعلَني الخليفةَ مِن بعدِكَ، إن أنا أسلَمتُ؟

قال: «**لا**».

قال: فما الذي تجعلُ لي؟

---

(١) هو عامر بن الطفيل بن مالك، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، كان شاعرًا فارسًا، عرض عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام فأبى، وتوعَّد النبيَّ بالحرب، وهو مَن قتل القرَّاء السبعين في بئر معونة، هلك عام (١١هـ). ينظر: «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٩)، و«الأعلام» (٣/ ٢٥٢).

(٢) في (ض، ظ): (قيس).

(٣) (منه ومن) في (ظ): (بينه وبين).

(٤) أَرْبدُ بن قيسٍ، أخو لَبِيْدِ بن ربيعةَ من أُمِّه، وفد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وفد بني عامر بن صعصعة، وائتمر مع عامر بن الطفيل على قتل النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعصمه الله تعالى. ينظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٣٩٣)، و«الوافي بالوفيات» (٨/ ٢١٦).

ولَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء والفرسان الأشراف في الجاهلية، كان شاعرا من فحول الشعراء، ومن أصحاب المعلقات، أسلم وحسن إسلامه، (ت: ٤١هـ). ينظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٣٣٥)، و«أسد الغابة» (٤/ ٤٨٢).

(٥) (وذلكَ أنَّهما أَتياهُ، فلَقِياهُ) في (ظ): (وقال: أنتما ابناه، فلقيهما).

قال: «**أَعِنَّةَ الخيل، تقاتلُ عليها في سبيل الله**».

قال: أَوليس أَعِنَّةُ الخيل بيَدِي؟ وولَّى عامرٌ مُغضَبًا[1]، وهو يقول: لَأملأنَّها عليكَ خَيْلًا جُرْدًا، ورِجالًا مُردًا، ولَأربطنَّ على كلِّ نخلةٍ فرسًا.

وقال عامرٌ لأَرْبِدَ: إمَّا أن تَقتُلَهُ وأكفيكَهُ، وإمَّا أن أقتلَهُ وتكفينِيهِ.

قال أَرْبَدُ: اكفِنيه، وأنا أَقتلُه.

فانصرفا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عامرٌ: إنَّ لي إليكَ حاجةً.

قال: «**اقترِبْ منِّي**».

فاقتربَ حتَّى حنى على رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسلَّ أَرْبِدُ سيفَهُ، فأبصرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَريقَهُ، فتعوَّذَ منه بآيةٍ من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فأعاذَهُ الله تعالى منه، ويبسَتْ يَدُه على السَّيف، فلم يَقدِرْ على شيءٍ.

فلمَّا رأى عامرٌ أَرْبِدَ لا يصنعُ شيئًا، انصرفَ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال لِأَرْبِدَ: ما منعكَ منه؟

قال: إنِّي لمَّا استلَلتُ بعضَ[2] سيفي؛ يبسَتْ يدي، فواللهِ ما قدرتُ على سَلِّه.

قال ابن سلَّامٍ: وذكرَ بعضُهم أنَّه قال: لمَّا أردتُ سَلَّ سيفي؛ نظرتُ فإذا فَحلٌ من الإبل فاغرٌ فاهُ، بين يديه، يهوي إليَّ، فوالله، لو سَللتُه لَخِفتُ أن يبتلعَ رأسي[3].

---

(١) في (ض): (مغيظًا)، وفي (ل): (غضبًا معيبًا).

(٢) (استللت بعض) في (ظ): (سللت بعض)، وفي (ل): (سللت).

(٣) (يبتلع رأسي) في (ض): (يبلع رأسي)، وفي (ل): (يبتلعني).

ثمَّ دعا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**اللهمَّ، أَرِحْني منهما، واكفِنيهِما**».

فأمَّا أَربَدُ؛ فأرسلَ الله عَزَّوَجَلَّ عليه صاعقةً، فأحرقَتْه.

وأمَّا عامرٌ؛ فطُعِنَ في عُنقِه، فأخذته غُدَّةٌ كغُدَّة البعير، فلجأ إلى بيتِ امرأةٍ من بني سلولَ، فلمَّا غشيَهُ الموتُ؛ جعلَ يقول: أَغُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَكْرِ، وموتٌ[1] في بيت سَلوليَّةٍ! ثمَّ مات[2].

وفي أَرْبدَ نزلت: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣][3].

وفي أَرْبِدَ يقولُ أخوه لَبيدُ بن ربيعةَ: [من المنسرح]

أَخْشَى عَلى أَرْبِدَ الحُتُوفَ، ولا أَرهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
فجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالـ فارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ[4]

---

(١) (فلجأ إلى بيت... يقول: أغدَّةٌ كغدَّة) ليست في (ض).

(٢) ينظر: «الأحاديث الطوال» للطبراني (ص: ٢٦٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ١٢٥).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٣٩٣)، و«أسباب نزول القرآن» للواحدي (ص: ٢٧٨).

(٤) من قصيدة للبيد، مطلعها:

مـا إنْ تُعَرّي المَنُونُ مِنْ أحَدِ لا والِدٍ مُشْفِقٍ وَلا وَلَدِ

ينظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ٤٩).

[٧: ٤٩] [يسرق نوقًا لزيد الخيل، فيعفو عنه ويعطيه مئةً]

أخبرني محمَّدُ بن الحسَنِ، **قال**: أخبرني عبيدُ الله بنُ أحمدَ[١]، قال: أخبرَنا ابنُ دُرَيدٍ، بإسنادٍ ذكرَهُ **عن هشامِ بنِ محمَّدِ بنِ السَّائب الكلبي**، قال: أخبرني شيخٌ من بني شيبان[٢]، **قالَ**: أصابت بني شيبانَ سَنَةٌ ذهبَتْ بالأموال، فخرج رجلٌ منهم بعيالِه حتَّى أنزلَهم الحيرةَ، وقال لهم: كونوا قريبًا من المَلِك يُصيبُكم من خيرِه، حتَّى أرجعَ إليكم. [ظ/١٨٢]

[ض/١٢٦] وخرج على وجهه لما قد حلَّ به، يؤمِّل أن يكسبَ ما يعودُ به على عياله، وقد جهدَه الضرُّ، وبلغَ منه[٣] الطَّوى.

فحدث، قال: مشيتُ يومًا وليلةً، بحيث لا أدري أين أتوجَّه، غيرَ أني أجوبُ البلاد.

فلمَّا كان من الغد عشيًّا إذا أنا بمُهرٍ مُقيَّدٍ يدورُ حولَ خباءٍ، فقلتُ: هذا أوَّلُ الغنيمة، فحَللتُه. قال: فلم أذهب إلَّا قليلًا، حتَّى نوديتُ: خَلِّ عن المُهر، وإلَّا احتلَجتُ مُهجتكَ.

---

(١) في (ض، والمطبوع): (عبد الله) وهو تصحيف، **فهو** أبو الفتح عُبَيد الله بن أحمدَ الكاتِب النَّحويّ، الملقَّب بِجَخْجَخ، سمع أبا بكر بن دريد، ويروي عنه محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي «حلية المحاضرة» كثيرًا، وكان ثقةً صحيحَ الكتاب، (ت: ٣٥٨هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٠٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٩/ ٢٣٠).

(٢) في (ض): (نبهانَ)، وفي (ل): (شهاب).

(٣) (الضر) في (ظ): (الفقر).

فنزلتُ عنه، ومضَيتُ، وقد تحيَّرتُ في أمري، واغتمَمتُ غَمًّا شديدًا.

وسِرتُ سبعةَ أيَّامٍ، حتَّى انتهيتُ إلى موضع عطن إبلٍ مع تطفيل الشمس، فإذا خباءٌ عظيمٌ، وقُبَّةٌ من أُدمٍ.

فقلت: ما لهذا الخباء بُدٌّ من أهلٍ، وما لهذه القُبَّةِ بُدٌّ من رَبٍّ، وما لهذا العطن بُدٌّ من إبلٍ.

فنظرتُ في الخباءِ فإذا شيخٌ كبيرٌ قد اختلفَتْ تَرقَوَتاهُ[١]، كأنَّه نَسْرٌ[٢].

فجلستُ خلفَهُ، فلمَّا وجبت الشَّمس، إذا أنا بفارسٍ قد أقبلَ، لم أرَ قطُّ فارسًا أجملَ منه، ولا أجسمَ[٣]، على فرسٍ عظيمٍ، ومعه أسودانِ يمشيان عن جنبيهِ، وإذا مئةٌ من الإبل مع فحلها، فبركَ الفحلُ، وبَركْنَ حولَهُ.

ونزلَ الفارسُ[٤]، وقال لأحد عبديه: احلب فلانةَ، ثمَّ اسقِ الشيخ.

فحلبَ في عُسٍّ[٥] حتَّى ملأه، ثمَّ جاءَ به، فوضَعُه بين يدي الشيخ، وتنحَّى.

فكرعَ فيه الشيخُ مرَّةً، أو مرَّتين، ثمَّ نزعَ[٦]، فثُرْتُ إليه، فشربتُه.

فرجعَ العبدُ، فأخذ العُسَّ، وقالَ: يا مولايَ، قد أتى على آخرِهِ.

---

(١) **التَّرْقوَةُ**: العظمُ الذي بين ثُغرة النَّحرِ والعاتِق. ينظر: «الصحاح» (ت ر ق و).

(٢) (نسر) في (ر): (شَنٌّ بالي).

(٣) في (ض): (أحشم).

(٤) (ونزل الفارس) ليست في (ض).

(٥) **العُسُّ**: بالضم القدَحُ الكبير، والجمع: عِساسٌ. ينظر: «المصباح المنير» (ع س س).

(٦) (فيه الشيخ مرّة، أو مرّتين، ثمّ نزع) في (ض): (الشيخ منه وتركه بين يديه).

ففرح بذلك، وقال: احلب فلانةَ. فحلبها، ثمَّ جاءَ بالعُسِّ، فوضعَه بين يديهِ، فكرعَ فيه كرعةً واحدةً، ثمَّ نزعَ[١].

فثُرْتُ إليه، فشربتُ نصفَه، وخِفتُ أن يفطنَ[٢]، إن أتيتُ على آخره.

ثمَّ جاء العبدُ، فأخذ العُسَّ، وقال: يا مولايَ، قد شربَ ورَوِي.

قال: دعه، ثمَّ أمرَ بشاةٍ، فذُبِحت، وشوَى للشَّيخِ منها، ثمَّ أكلَ هو وعبداه.

قال: فأمهلتُ حتَّى ناموا، وسمعتُ الغطيطَ، فثُرْتُ إلى الفحل، فحَللتُ عِقالَهُ، ثمَّ رَكِبتُه، فاندفعَ بي، فاتَّبعَتهُ الإبلُ، قال: فشَللتُها[٣] ليلتي كلَّها حتَّى أصبحتُ، فلمَّا أسفرَ الصُّبحُ، نظرتُ فلم أجد أحدًا، فشَللتُها شلًّا عنيفًا، حتَّى تعالى النَّهارُ، فالتفتُّ التفاتةً، فإذا أنا بشيءٍ كأنَّه طائرٌ، فما زال يدنو حتَّى تبيَّنتُه، فإذا بفارسٍ قد دنا منِّي، وإذا هو صاحبي بالأمس.

فعَقَلتُ الفحلَ، ونَثرتُ كنانتي، ووقفتُ بينه وبين الإبل، فدنا منِّي، وقال: حُلَّ عِقالَه.

فقلت: كلَّا والله، لقد أضرَّ بيَ الجَهدُ، وخلَّفتُ نُسيَّاتٍ وصِبيةً بالحيرةِ، وآليتُ أن لا أرجعَ إليهنَّ إلَّا بعدَ أن أفيدَهُنَّ خيرًا[٤].

---

(١) (يديه فكرع منه كرعة واحدة، ثمّ نزع) في (ض): (يدي الشيخ).

(٢) (خفت أن يفطن بي) في (ظ، ل، ر): (كرهت أن أتهم).

(٣) في (ض، ل، والمطبوع): (فسللتها). وكذا الموضع الآتي، وهو تصحيف. **شَلَلْتُ الإبلَ أَشُلُّها** شَلًّا: طَرَدتها؛ والطَّرد: الإبعاد والتنحية. ينظر: «لسان العرب» (ش ل ل: ١١/ ٣٦٢)، و«تاج العروس» (ط ر د: ٨/ ٣١٧).

(٤) في (ر): (شيئًا).

قال: فإنَّك ميِّتٌ، حُلَّ عِقالَه.

قلتُ: هو ذاكَ.

قال: إنَّكَ لَمغرورٌ، انصِبْ لي خِطامَه. وفي خِطامِه خمسُ عُجَرٍ[1]، فنَصبتُه.

فقالَ: أينَ تريدُ أن أضعَ سهمي؟

قلتُ: في هذا الموضع.

قال: فكأنَّما وضعَه فيه وضعًا، حتَّى والى مِن فعاله خمسةَ أسهُمٍ.

قال: فرَددتُ نَبْلي، ودنا هو، فأخذَ القوسَ والسَّيف.

وقال: ارتدف خلفي. ففعلتُ.

فقال لي - وقد عرفَ أنِّي أنا الذي شربتُ اللَّبنَ عند الشَّيخ -: ما ظَنُّكَ بي؟

قلت: أحسنُ الظَّنّ، مع ما لقيتَ منِّي من تعبِ ليلتكَ، وقد أظفركَ الله عَزَّوَجَلَّ بي.

فقال: أترى كان يلحقك مِنَّا سوءٌ[2]، وقد بتَّ تنادم مهلهلًا ليلتك؟

قال: قلت: إنَّكَ لَزيدُ الخيل[3]؟

---

(١) **العُجَر**: جمع عُجْرة، وهي العقدة في الخشبة ونحوها. ينظر: «لسان العرب» (ع ج ر: ٤/ ٥٤٣).

(٢) (أترى كان يلحقك مِنَّا سوءٌ) في (ض، ل): (إنا كنا نهيجك بسوء).

(٣) هو زيد بن مهلهل بن منهب، أبو مُكنف، الطائيّ، وَفَدَ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وفد طيِّءٍ، وأسلمَ، وسمَّاه «زيد الخير»، نزلَ المدينةَ سبعةَ أيَّامٍ، وأصابته حُمَّى شديدةٌ، مات في إثرها سنةَ (٩هـ). ينظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٢٧٨)، و«الأعلام» (٣/ ٦١).

قال: نعم زيدُ الخيل.

قال: فقلتُ: كن خيرَ آخذٍ.

قال: ليس عليك بأسٌ.

فمضى إلى موضعِه الذي كان به، ثمَّ قال: أما لو كانت هذه الإبلُ لي لَسلَّمتُها إليكَ، لكنَّها لابنة مُهلهلٍ[1]، فأقم مكانك، فإنِّي على شَرفِ غارةٍ. فأقمتُ أيَّامًا.

ثمَّ أغار على بني نُمَيرٍ بالمَلَح[2]، فأصاب مئةَ بعيرٍ، فقال: أهذه أحبُّ إليك، أم تلك؟

فقلت: هذه. فأعطانيها.

قال: فقلتُ: ابعث معي خُفَراءَ. ففعلَ، وعُدت إلى وطني، وفرَّج الله تعالى [ظ/١٨٣] بكرمه عنِّي، وأصلحَ حالي[3].

---

(١) (لابنة مهلهل) في (ض): (لمهلهل).

(٢) **المَلَح**: موضعٌ من ديارِ بني جعدة باليمامة، وقيل: قريةٌ بمسكن، وقيل: بسوادِ الكوفةِ موضع يقال له: ملح. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ١٩٠).

(٣) ينظر: «المستجاد من فعلات الأجواد» (ص: ١٩)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ٢١٤).

[٧: ٥٠] [يرجو رؤية سَوَّارٍ فساقه اللَّه إليه ووصله بمالٍ كثيرٍ]

وذكر محمَّدُ بن إسحاقَ بن أبي العنبسِ[١]، عن[٢] إسحاقَ بن يحيى بن مُعاذٍ[٣]، قال: حدَّثني سوارٌ صاحبُ رَحبَةِ سوارٍ[٤]، **قال:** انصرفتُ من دار المَهديِّ، فلمَّا دخلتُ إلى منزلي دعوتُ بالغَداء، فجاشت نفسي[٥]، فأمرتُ به فَرُدَّ. ودعوتُ جاريةً لي أُلاعِبُها، فلم تَطِبْ نفسي بذلك، ثمَّ دخلتُ للقائلةِ، فلم يأخذني النَّوم، فنهَضتُ، وأمرتُ ببغلةٍ لي شهباءَ، فأُسرِجَتْ، ورَكِبتُها، فلمَّا خرجتُ استقبلني وكيلٌ لي ومعه ألفا درهمٍ، فقلتُ له: ما هذا؟

---

(١) (العنبس) في (ظ، والمطبوع): (العشير)، وهو تصحيف.
هو الشاعر أبو العنبس الصيمري الكوفي، نادمَ المتوكل والمعتمد، وكان خبيث اللسان، هاجى أكثرَ شعراءِ زمانِه، ولي قضاء الصَّيمرة فنسب إليها، من كتبه: «أحكام النجوم»، و«العاشق والمعشوق»، توفي بعد (٢٧٢هـ). ينظر: «الفهرست» (ص: ١٨٥) و«الأعلام» (٦/ ٢٨).

(٢) في (ل) زيادة: (أبي).

(٣) هو إسحاق بن يحيى بن معاذ بن مسلم الختلي. كان شجاعًا جوادًا مُمدَّحًا جليل القدر، ولي دمشق، ثم مصر. ثم عُزِلَ، (ت: ٢٣٧هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٨/ ٣٠٢)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٩٣).

(٤) هو سوار بن ميمون، ذَكَرَ ذلك سبطُ ابنِ الجوزيِّ -في ترجمة محمَّدِ بنِ عليٍّ الملقب بالجواد- فقال: دُفِنَ عند منزلِه في رحبة سوارِ بن ميمونٍ ناحيةَ قنطرةِ البَرَدان. وقال اليعقوبي في «البلدان» (ص: ٤٨): «ثمَّ قطيعة سوار مولى أمير المؤمنين ورحبة سوار». ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٢٤٢).

(٥) **جاشت نفسه**: غَثَتْ، أو دارَتْ للغثَيان، أرادت القيء. ينظر: «مشارق الأنوار» (ج ي ش)، و«تاج العروس» (ج ي ش).

فقال: ألفا درهمٍ، جَبيتُها من مستغلِّكَ الجديد.

قال: فقلتُ له: أَمسِكْها معك، واتبَعني.

قال: ومضيتُ، وخلَّيتُ رأسَ البغلة، حتَّى عبرتُ الجسرَ، ثمَّ مضيتُ في شارع دار الرَّقيق، حتَّى انتهيتُ إلى الصحراء، ثمَّ رجعتُ إلى باب الأنبار، فطوَّفتُ، فلمَّا صِرتُ في شارع باب الأنبار؛ انتهيتُ إلى باب دارٍ نظيفٍ وعنده شجرةٌ، وعلى الباب خادمٌ، فوقفتُ، وقد عطشتُ، فقلتُ للخادم: أعندكَ ما تسقيني؟

قال: نعم، وقام فأخرجَ قُلَّةً نظيفةً طيِّبَةَ الرِّيح، عليها منديلٌ، فناولنيها، فشربتُ منها، وحضر وقتُ العصر، فدخلتُ مسجدًا، فصلَّيتُ فيه، فلمَّا قضيتُ صلاتي، إذا أنا بأعمى يتلمَّسُ بيديه. فقلتُ: ما تريدُ يا هذا؟

قال: إيَّاكَ أريد.

قلت: وما حاجتكَ؟

فجاء، حتَّى قعد إليَّ، فقال: شمَمتُ منكَ رائحةَ الطيبِ، فتخيَّلتُ أنَّك من أهل النِّعمة، فأردتُ أن أُلقِيَ إليكَ شيئًا.

فقلتُ: قل.

فقال: أترى بابَ هذا القصر؟

قلت: نعم.

قال: هذا قصرٌ كان لأبي، فباعَه، وخرجَ إلى خراسانَ، وخرجتُ معه، فزالت عنَّا النعمةُ التي كُنَّا فيها، فقَدِمتُ[1]، فأتيتُ صاحبَ الدَّار؛ لأسألَه شيئًا يَصِلُني به، فإنِّي في ضَنْكٍ شديدٍ، وضغطةٍ عظيمةٍ، ورُزُوحِ حالٍ قبيحٍ[2]، ثمَّ أصيرَ إلى سَوَّارٍ، فإنَّه كان لأبي صديقًا.

قلتُ: ومَن أبوكَ؟

قال: فلانٌ بن فلانٍ، فإذا هو أصدقُ النَّاس كان لي.

فقلتُ: يا هذا، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أتاكَ بسَوَّارٍ، ومنعَهُ الطَّعامَ والشرابَ[3] والنَّومَ، حتَّى جاء به، فأقعدَهُ بين يديك.

ثمَّ دعوتُ الوكيلَ، فأخذتُ منه الألفي درهمٍ، فدفعتُها إليه، وقلتُ له: إذا كان غدًا، فصِرْ إلى المنزل.

ثمَّ مضيتُ، فقلتُ: ما أُحَدِّثُ المهديَّ بشيءٍ أطرفَ[4] من هذا. فأتيتُه، فاستأذنتُ عليه، فأَذِنَ لي، فحدَّثته الحديثَ، فأعجبَهُ، وأمرَ له بألفي دينارٍ، فأُحضِرَتْ، فقال لي: ادفعها إليه.

قال: فنهضتُ، فقال لي: اجلس، أعليكَ دَينٌ؟

قلتُ: نعم. وكان عليَّ دَينٌ فادحٌ قد غمرَني.

---

(١) أي: عُدتُ إلى بغداد، كما في «البداية والنهاية» (١٣/ ٥٤٨).

(٢) (ورزوح حال قبيح) ليست في (ض).

(٣) (والشراب) ليست في (ل، ر).

(٤) في (ظ): (أظرف).

قال: كم مبلَغُه؟

قلت: خمسونَ ألفَ درهمٍ(١).

قال: تُحمَلُ إليكَ، فاقضِ بها دَينكَ.

قال: فقبضتها(٢). فلمَّا كان من الغدِ أبطأَ عليَّ المكفوفُ، وأتاني رسولُ المَهديِّ، يدعوني، فجِئتُه.

فقالَ: فكَّرتُ في أمرِكَ، فقلتُ: يقضي دينَهُ، ثمَّ يحتاجُ إلى الحيلة والقَرْض، [ض/١٢٧] وقد أمرتُ لك بخمسينَ ألف درهم(٣).

قال: فقبضتُها، وانصرفتُ(٤).

فأتاني المكفوفُ، فدفعتُ إليه الألفي دينارٍ، وقلتُ له: قد رزقني الله عَزَّوَجَلَّ بك كثيرًا. وأعطيتُه من مالي ألفي دينارٍ أخرى، فقبضَ الأربعة آلافِ دينارٍ، فأخذها ودعا لي(٥)، وقال: واللهِ، يا عمِّ ما كان في حسابي أن أصلَ منك ولا من أهل هذه الدارِ وهذه البلادِ كلِّها في وجهي هذا إلى معشارِ عددِ هذه الدنانير دراهمَ، فجزاكَ الله خيرًا وفعلَ بكَ وصنعَ(٦).

---

(١) في (ل، ر): (دينار).

(٢) (قال: فنهضت... قال: فقبضتها) ليست في (ظ).

(٣) (درهم) في (ل، ر): (دينار أخرى).

(٤) (أبطأ عليَّ المكفوفُ... قال: فقبضتها، وانصرفت) ليست في (ظ).

(٥) (فأخذها ودعا لي) ليست في (ض، ل).

(٦) ينظر: «الجليس الصالح الكافي» (ص: ٦٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٣/ ٤٣٧)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ٥٤٧).

[٧: ٥١] [عُروَةُ بن أُذينَة يفدُ على هشامِ بنِ عبدِ الملكِ]

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيُّ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ محمَّدُ بن جريرٍ الطَّبريُّ، وأحمدُ بن عبدِ العزيزِ الجوهريُّ - وألفاظُهم تَزيدُ وتَنقصُ، وقد أَتيتُ به(١) على أَتمِّها - قالوا: حدَّثنا عمرُ بن شبَّةَ، قال: حدَّثني عمرُ بن محمَّدِ بن عبدِ الرزَّاقِ بن قيصرَ السُّلَميُّ(٢)، قال: حدَّثني(٣) يحيى بنُ عروةَ بنُ أُذينةَ، قال:

أضاقَ أبي(٤) إضاقةٌ شديدةٌ، وتعذَّرتْ عليه الأمورُ، فعَمِلَ شِعرًا يمدحُ به هشامَ بن عبد الملك، ويتعرَّضُ لِسَببه، وأتاهُ هو وجماعةٌ من الشُّعراءِ(٥)، فلمَّا دخلوا عليه؛ نسبَهم، فلمَّا عرفَهم جميعَهم، قال لأبي: أَنشِدْني قولَكَ: (لقد علمتُ)، فأنشدَه: [من البسيط]

لقد عَلِمتُ وما الإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي ... أَنَّ الَّـذِي هُوَ رِزْقِـي سَـوْفَ يَأتِيْنِي

---

(١) في (ل): (بها).

(٢) روى عنه أبو بكر بن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» (١/ ٥٨٣) بلفظ (الأقيصر) بدل (قيصر).

(٣) (وأحمد بن عبد العزيز الجوهري... قال: حدثني) ليست في (ظ).

(٤) هو عروةُ بنُ أُذينةَ بنِ مالكٍ الليثيُّ الشاعر الحجازيُّ المدنيُّ المشهور، وهو معدودٌ من الفقهاء والمحدِّثين أيضًا، ولكنَّ الشعرَ أغلَبُ عليه، سمع ابنَ عُمرَ، وروى عنه مالكٌ في «الموطَّأ». ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٠/ ١٩٢) و«فوات الوفيات» (٢/ ٤٥١).

(٥) (ويتعرض لسببه. وأتاه هو وجماعة من الشّعراء) ليست في (ظ)، وفي (ل): (وأتعرض بسببه وقصدته أنا وجماعة من الشعراء).

أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّيْنِي تَطَلُّبُه ... وَلَو جَلستُ أَتَانِي لا يُعَنِّيْنِي
وَأَنَّ حظَّ امْرِئٍ غَيْرِي سَيَبلُغُه ... لا بُدَّ للرِّزْقِ أنْ يَخْتَارَهُ[1] دُونِي
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدنِي إلى طَبَعٍ ... وَغُفَّةٌ[2] مِن قَلِيلِ العَيْشِ تَكْفِينِي
لا أَرْكَبُ الأَمْرَ تُزْرِي بي عَوَاقِبُه ... ولا يُعَابُ بِهِ عِرْضِي ولا دِيْنِي
أَقُومُ بِالأَمْرِ إِمَّا كَانَ مِن أَرَبِي ... وَأُكْثِرُ الصَّمْتَ فِيْمَا لَيْسَ يَعْنِينِي
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِيِّ النَّفْسِ تَعْرِفُه ... وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرِ النَّفْسِ مِسْكِينِ
ومِن عَدُوٍّ رَمَانِي لو قَصَدتُ لَهُ ... لم يأخُذِ النِّصْفَ[3] مِنِّي حِينَ يَرمِينِي [ظ/١٨٤]
ومِنْ أَخٍ قد طَوَى كَشْحًا[4] فَقُلتُ له ... إنَّ انطِواءَكَ عَنِّي سَوفَ يَطوِينِي
لا أَبْتَغِي وَصْلَ مَن يَبْغِي مُفَارَقَتِي ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يَبْتَغِي لِيْنِي[5]

فقال له هشامٌ: ألا جلستَ في بيتك، حتَّى يأتيَكَ رِزقُكَ؟

قال: وغفلَ عنه هشامٌ، فخرجَ مِن وَقتِه، ورَكِبَ راحلتَهُ، ومضى مُنصَرِفًا.

فافتقدهُ هشامٌ، فسألَ عنه فعرف[6] خبرَهُ، فأتبعَهُ بجائزةٍ.

---

(١) (يختاره) في (ل): (يجتازه).

(٢) **الغُفَّةُ**: البُلْغَة من العيش. ينظر: «الصحاح» (غ ف ف).

(٣) في (ظ): (البعض).

(٤) **الكَشحُ**: الْخَصْرُ. وطوى كشحنه عني: إذا قاطعني. ينظر: «الصحاح» (ك ش ح)، و«مقاييس اللغة» (ك ش ح).

(٥) في (ل): (لين).

(٦) (عنه فعرف) ليست في (ض).

فمضى الرَّسولُ، فلَحِقَهُ على مسيرةِ ثلاث مراحل[1]، وقد نزلَ على ماءٍ يتغدَّى عليه. فقال له: يقول لكَ أميرُ المؤمنين: أردتَ أن تُكذِّبَنا، وتُصدِّقَ نفسَك؟ هذه جائزتك.

فقال: قل له: قد صدقَني الله عَزَّوَجَلَّ، وأباحَ لي رِزقي بحمده[2].

قال يَحيى: وفرضَ له فريضتين، قد كنتُ في إحداهما[3].

(١) (ثلاث مراحل) في (ض): (ثلاثة أيام)، وفي (ظ): (ثلاث فراسخ)، وفي (ل): (ثلاث).

(٢) (بحمده) في (ض): (بحده)، وفي (ر): (بجده).

(٣) ينظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٥٦٤)، و«المستجاد من فعلات الأجواد» (ص: ٢٧).

[٧: ٥٢] [قصَّةُ ابنِ شُبْرُمةَ مع الوزير المورياني]

قُرِئَ على أبي بكرٍ الصُّوليِّ بالبصرة، وأنا حاضرٌ أسمَعُ(١): حدَّثكم الغلابيُّ(٢)، **قال:** حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ، **قال:** حدَّثنا عليُّ بن مَيْثَمَ(٣)، وكان قد جاوز المئة سنة، **قال:** سمعتُ ابنَ شُبْرُمةَ(٤)، **يقول:**

زوَّجتُ ابني على ألفي درهمٍ، وما هي عندي، فطُولِبتُ بها، فصِرتُ إلى أبي أيُّوبَ الموريانيِّ(٥)، فأمرَ لي بألفي درهمٍ، فشَكرتُه، وقمتُ.

---

(١) (قرئ على أبي بكر الصولي بالبصرة، وأنا حاضر أسمع) في (ظ): (حدثنا أبو بكر الصولي قال).

(٢) في (ض، ر): (العلائي) وفي (ظ): (العلاء)، والمثبت من (ل).
هو محمَّد بن زكريّا بن دينار الغلابيّ، أبو بكر، يعرف باللّؤلؤيّ. كان أحد أصحاب السّير والأحداث والمغازي وغير ذلك من علوم الأدب. روى عنه أبو بكر الصّولي. له من الكتب: «وقعة صفّين»، و«وقعة الجَمل» توفي بالبصرة سنة (٢٩٠هـ). ينظر: «الدر الثمين» (ص: ٢١٥).

(٣) هو علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم الأسدي الكوفي التمّار. شيخُ الشيعة في وقته ومتكلِّمُهم. روى عن زرارةَ بن أعين، وغيره. حكى عنه عمرُ بن شبَّةَ، وأبو العيناءِ محمَّدُ بن القاسم النحوي. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٠٨).

(٤) هو عبد الله بن شبرمة الضبي. سبقت ترجمته (١/ ٢٣٧).

(٥) في (ض): (المرزبان)، وفي (ر): (المرزباني). هو سليمان بن أبي سليمان مخلد - وقيل داود - المورياني الخوزي؛ كان وزيرَ أبي جعفرٍ المنصور، تولَّى وزارتَهُ بعد خالد بن برمك جدِّ البرامكة. ثم إنه أوقع به سنة (١٥٣هـ)، وعذبه وأخذ أمواله. ومات سنة (١٥٤هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٤١١).

فقال: اجلس، ألا تريدُ خادمًا؟

قلتُ: إنْ رزقَ اللهُ تعالى.

قال: وهذه ألفان لخادمك، ألا تريدُ نفقة؟ ألا تريدُ كذا؟ فما زالَ يُعدِّدُ ويُعطيني، حتَّى قمتُ على خمسينَ ألفَ درهمٍ، وصلَني بها، وانصرفتُ.

ذكر القاضي أبو الحسين هذا الخبرَ في كتابه[1] بلا إسنادٍ، على قريبٍ من هذا.

---

(١) هو القاضي أبو الحسين الأزدي، وكتابه «الفرج بعد الشدة». سبقت ترجمته (١/ ٩٠).

[٧: ٥٣] [الواثق يعفو عن سليمانَ بنِ وَهْبٍ وصاحبه]

حدَّثني أبو إسحاق، إبراهيمُ بنُ الحسنِ بنِ رجاءَ بن أبي الضَّحَّاكِ الكاتبُ[١]، وكان يُعرَفُ بالدينارِيِّ[٢]؛ لِـمَا بينَ دينارِ بن عبد الله والحسَنِ بن رجاءٍ من القَرابة، فإنَّهما كانا ابنَيْ خالةٍ، على ما بلغني[٣]، قال: حدَّثني أبو عيسى محمَّدُ بن سعيدٍ الدينارِيُّ الكاتبُ، جَدُّ أبي الحسينِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ مُقلةَ لِأُمِّه، قال:

لما تخلَّصَ أبو أيُّوبَ سليمانُ بن وهبٍ من نكبةِ المعتمِد له -وكنتُ أكتبُ له- وجلسَ في دارِه: أمرَني أن أكتبَ إلى العُمَّالِ الذين في ضياعه[٤] كُتبًا أُعرِّفُهم فيها رجوعَ الخليفةِ له، وتَبيُّنَهُ[٥] باطلَ ما أُنهِيَ إليه، وحملَ به عليه[٦]، وأخاطِبُهم عنه في أمر ضياعِه وأسبابه.

فكتبتُ نسخةً، قلتُ فيها: (إنَّ أميرَ المؤمنين -أعزَّه الله تعالى- لمَّا وقفَ على تمويهِ مَن موَّهَ عليه في أمرنا؛ فعل وصنع...). فلمَّا وقفَ على هذا الحرفِ

---

(١) (الكاتب) ليست في (ض).

(٢) لأنَّ أمَّهُ دِيناريَّة، تقرب إلى امرأةِ أبي عليِّ بن مقلةَ، المعروفة بأمِّ الفضل الدِّيناريَّة. روى عنه المؤلِّف في «نشوار المحاضرة» (٣/ ٢٥٤).

(٣) (لِـمَا بينَ دينارِ بن عبد الله... على ما بلغني) في (ل): (أخبرني)، وفي (ر): (بإسنادٍ ذُكِرَ قال).

(٤) (في ضياعه) في (ظ): (ضياعه في أعمالهم).

(٥) في (ض): (وكشفه).

(٦) (وحمل به عليه) ليست في (ض).

خطَّ عليه[1]، وأبدلَهُ بغيره، ولم يُغيِّر في النُّسخةِ سِواه.

وقال لي: إذا فرغْتَ من تحرير الكُتب، فأَذكِرني بالتمويه؛ لِأُحدِّثَك بما كَرِهتُه له.

قال: فحرَّرتُ الكتبَ، فلمَّا خلا سألتُه: لم ضربَ على التمويه؟

فقال: نعم، لـمَّا غضبَ الواثقُ علَيَّ وعلى أحمدَ بن الخصيب؛ بسبب إيتاخ[2] وأشناس[3]، وكانت موجدتُه علينا بسببٍ واحدٍ، وحَبسُه لنا في معنًى واحدٍ، فمكثنا في الحبسِ والقيد، إلى أن كُلِّمَ فينا، فأَمرَ بإحضارنا.

فقلتُ لأحمدَ بن الخصيب: قد دعانا، وسيُوَبِّخُنا، ويُعَدِّدُ علينا ما قُرِفْنا به[4] عندَه؛ لِيُخرِجَ ما في نفسه، فتعظم مِنَّتُه عندَنا؛ لما[5] يأتيه من إطلاقنا، وأَعرِفُ عجلَتك، وتَسرُّعَك إلى ما يَضرُّك، وكأنِّي بكَ حين يبتدئُ بتقريعِنا قد قطعتَ كلامه، وأطلْتَ[6] عليه بلسانك ويديك، وجدَّدتَ لنا غضَبًا وسخطًا مستأنفًا[7]، وأكسبتنا شرًّا ممَّا قد أمَّلنا الخلاصَ منه.

---

(١) (الحرف خط عليه) في (ظ): (الفصل خط على هذا الحرف).

(٢) هو إيتاخ بن عبد الله التركي، وقد سبقت ترجمته (١/ ٢٦٩- ٢٧٠).

(٣) هو أشناس التركي، أبو جعفر، كان من كبار الأمراء، قدم حلب بصحبة المأمون، شارك بغزواته، وبفتح عمورية مع المعتصم، ولي للواثق الجزيرة والشام ومصر والمغرب، (ت: ٢٣٠هـ). ينظر: «بغية الطلب» (٤/ ٤٩٧).

(٤) قُرِفَ بالذنب: رُمِيَ به. ينظر: «العين» (ق ر ف).

(٥) (فتعظم منته عندنا لما) في (ظ): (فيعظم منته علينا بما)، وفي (ل): (لعظم مننه عندنا لما).

(٦) (وأطلت) في (ظ، ل): (وأنحيت)، وفي (ر): (وأعنت).

(٧) (وجددت لنا غضبًا وسخطًا مستأنفًا) في (ظ): (فأنشأت لنا استئناف غضب وموجدة).

فقال لي: فما أعمل؟

قلت له: لستُ أحسَبُكَ تتَّهِمُني على نفسي ولا عليكَ، ولا تشكُّ أنَّا حُبِسنا لقضيَّةٍ واحدةٍ، فوَلِّني جوابَه، وأَعِرني سكوتَك، ودعني أرفقُ به، وأخدعُه بما تُخدَعُ به الملوكُ، فلعلَّنا نتخلَّص من المكروهِ الذي نحن فيه.

فقال: أفعلُ.

فاستحلفتُه على ذلك، فحلفَ.

فلمَّا دخلنا إلى الصحن؛ وجدنا الخليفةَ يستاكُ، وبين يديه طستٌ من ذهبٍ، وإبريقٌ مِثلُه، بيد فرَّاشٍ قائمٍ، وبيد الخليفة مسواكٌ طولُه ذراعان.

فلمَّا رآنا، قال: أحسنتُ إليكما واصطنعتُكما، فخُنتُماني، وكفرتما[1] نعمتي، وفعلتما، وصنعتما.

فكأنِّي، والله، إنَّما وصَّيتُ أحمدَ بن الخصيبِ: ألَّا تدعَهُ ينطقُ.

[ض/١٢٨] فقال له وقد رفعَ يديه في وَجهِه: لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين، ما بلغكَ عنَّا الحقُّ، ولا فعلنا شيئًا ممَّا سُعِيَ بنا فيه[2]، ولقد مُوِّهَ عليكَ في أمرِنا.

فقال: إنَّما يُموَّهُ على غبيٍّ مثلك.

فأومأتُ إليه بعيني، فأمسكَ بعضَ الإمساك. [ظ/١٨٥]

---

(١) في (ض): (وجحدتما).

(٢) (فيه) ليست في (ظ، ل).

وعاد الواثقُ يُتمِّمُ كلامَه، ويُعدِّدُ علينا نِعمَه ومِننَه، فما ملكَ أحمدُ نفسَهُ أن رفعَ يديه، وقال: والله يا أميرَ المؤمنينَ ما كفرنا لك نعمةً، ولا فعلنا، ولا صنعنا، وإنَّما مُوِّهَ على أميرِ المؤمنين في أمرنا.

فقال له: يا جاهلُ، قد عُدتَ لها! إنَّما يُموَّه على أحمقَ مثلِكَ. فأومأتُ إليه بعيني، فأمسكَ.

وعاد الواثقُ في كلامه، فما انضبطَ أحمدُ أن ردَّ عليه كلامَه وقولَه، وجاءَ بالتمويه. فحين سَمِعَه الواثقُ انقلبت عيناهُ، واستشاطَ غيظًا[١]، وأغلظَ له في الشتم، وحذفَه بالمسواكِ، فلولا أنَّه زاغَ عنه؛ لهشمَ وجهَه، أو أعمى عينه. ثمَّ قال: يا غِلمانُ، أخرجوهُ. فأُخرِجَ أخزى خَلقِ الله.

ونالني من الجزعِ والغمِّ والحيرةِ أمرٌ عظيم، ولم أَدرِ أَقِفُ، أم أمضي؟ وخِفتُ إن وقفتُ أن يقولَ: ما وقوفُكَ بين يديَّ وقِصَّتُكما واحدةٌ؟ وإن مضيتُ أن نُردَّ جميعًا إلى الحبس، فرَجعتُ القهقرى عن موضعي قليلًا، كأنِّي أريدُ الخروجَ.

فقال لي: مكانَك أنتَ يا سليمانُ، هب هذا على ما هو عليه، أنت أيضًا، تُنكِرُ أنَّكَ فعلت كذا، وصنعْتَ كذا؟

فوجدتُ السّبيلَ إلى ما أردتُ منه، فزالَ هَمِّي، ولم أَزَلْ أرفقُ به، وأعترفُ بالذنب[٢]، وأُلزِمُ نفسي الجنايةَ، وأُديمُ الاستعطافَ، وأسألُ الصَّفحَ والإقالةَ، إلى أن قال: قد عفوتُ عنكَ. فقبَّلتُ الأرضَ، وبكيتُ.

---

(١) (واستشاط غيظًا) في (ض): (واشتاط غيظًا)، وفي(ل): (في أم رأسه واستشاط غضبًا).

(٢) (منه، فزال همي، ولم أزل أرفق به وأعترف بالذنب) في (ظ): (فلم أزل أعترف).

فقال: اخلعوا عليه، واصرِفوه إلى منزله، وليَلزَمِ الدَّارَ على عادتِه ورَسمِه.

فلمَّا ولَّيتُ قال: وذلك، قد كنتُ أردتُ العفوَ عنه، فأخرجَني عن حِلمي سوءُ أَدبِه، رُدُّوه[1]، فاخلعوا عليه أيضًا.

فخرجتُ، فإذا أحمدُ في بعض الممرَّات، فعرَّفتُه الخبرَ، ثمَّ قلتُ: يا هذا، كِدتَ أن تأتيَ علينا. في الدنيا أحدٌ يُكرِّرُ[2] على الخليفة لفظةً كَرِهَها وأنكرَها ثلاثَ مرَّاتٍ[3]؟ أوَما علمتَ أنَّ التمويهَ في الحقيقةِ ضربٌ من السُّخرية[4]؟

قال: فلم يخرج من قلبي فزعُ التمويه منذُ ذلك الوقت إلى الآن[5].

---

(١) (ردوه) في (ر): (فأخرجوه)، وليست في (ظ، ل).

(٢) (في الدنيا أحد) في (ظ): (أرأيت أحدًا).

(٣) في (ل): (مرار).

(٤) (في الحقيقة ضرب من السخرية) في (ظ): (ضرب من السخافة).

(٥) ينظر: «المستجاد من فعلات الأجواد» (ص: ٣٩).

[٧: ٥٤] [الأصمعيُّ ومروانُ بن أبي حفصةَ في حضرة الرشيد]

حدَّثني عبدُ الله بنُ عمرَ بن الحارثِ الواسطيُّ السرَّاجُ المكفوفُ، المعروفُ بأبي أحمدَ الحارثيِّ[(١)]، قال: حدَّثنا ابنُ دريدٍ، قال: حدَّثنا عبدُ الرَّحمنِ بن أخي الأصمعيِّ[(٢)]، عن عَمِّه[(٣)]، قال:

بعثَ إليَّ الرشيدُ في وقتٍ لم تكن عادتُه أن يستدعِيَني في مثلِه، وجاءني الرَّسولُ بوجهٍ مُنكَرٍ، وأحضرَني إحضارًا عنيفًا مُنكرًا مستعجلًا، فوجلتُ وجَلًا عظيمًا، وخِفتُ، وجَزِعتُ.

فدخلتُ، فإذا الرشيدُ جالسٌ على بساطٍ عظيمٍ، وإلى جانبه كرسيٌّ خيزرانٍ، وعليه جاريةٌ خماسيَّةُ القَدِّ[(٤)]، فسلَّمتُ، فلم يردَّ عليَّ، ولا رفعَ رأسَه إليَّ، وجعل ينكثُ الأرض، فاشتدَّ بيَ الخوفُ، وقلت: سُعِي عليَّ عندَهُ بباطلٍ، فيهلكني قبلَ كشفه، وأَيِستُ من الحياة[(٥)].

---

(١) وذكره ابن النَّجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٧/ ٣٦)، وابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٣٠٧)، و(١٣/ ٢٨٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب الأَصْمَعي. يروي عن عمِّه، وأبي عاصمٍ، حدَّث عنه إسحاقُ بن إبراهيم وغيره. كان ثقةً. له كتاب «معاني الشعر» توفي بعد (٢١٦هـ). ينظر: «إنباه الرواة» (٢/ ١٦١)، و«الثقات» لابن حبان (٨/ ٣٨١).

(٣) الأصمعي عبد الملك بن قُرَيب اللغوي. سبقت ترجمته (١/ ٢٢٥).

(٤) (القد) ليست في (ظ، ر). **والخماسِيَّةُ** من الوصائِفِ ما كانَ طُولُه خمسةَ أَشْبَارٍ. ينظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٨٩).

(٥) (وأيست من الحياة) ليست في (ظ).

ثم رفعَ رأسَه وقالَ: يا أصمعيُّ، ألا ترى عبدَ بني حنيفةَ، مروانَ بن أبي حفصةَ، يقولُ لمعنِ بن زائدةَ، وإنَّما هو عبدٌ من عبيدنا: [من الوافر]

أَقَمنا باليَمامَةِ إذ يَئِسْنا ... مَقامًا لا نُريدُ له زِيالا

وقلنا: أينَ نذهبُ بعدَ مَعْنٍ ... وقد ذهبَ النوالُ فلا نوالا؟

وكانَ النَّاسُ كُلُّهمُ لِمَعنٍ ... إلى أَن زارَ حُفرَتَهُ عِيالا[1]

فقال: إنَّ النوالَ قد ذهبَ مع بقائنا؟ فما يُصنَعُ بنا إذن؟ ولم يرضَ حتَّى جعلني وخاصَّتي عيالًا لمَعنٍ، والله لأفعلنَّ به ولأصنعَن.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، عبدٌ من عبيدكَ، أنت أولى بأَدبِه، أو العفوِ عنه.

فقال: عليَّ بمروانَ. فأُتِيَ به[2]، فدخلَ عليه.

فقال: السِّياطَ. فأخذ الخدمُ يضربونَه، وهو يصيحُ ويقولُ: يا أمير المؤمنين ما جرمي؟ إلى أن ضُرِبَ أكثرَ من مئة سوطٍ[3]. فقال: يا أميرَ المؤمنين، اعفُ عنِّي، واذكر قولي فيكَ، وفي أبيك.

قال: كُفُّوا عنه. ثم قال له: وما قلتَ؟

---

(١) الأبيات من قصيدته في مدح معن بن زائدة التي مطلعها: (مضى لِسَبيلِه مَعنٌ وأَبْقَى). ينظر: «كتاب شعر مروان بن أبي حفصة» (ص: ٧٩).

(٢) (فأتي به) ليست في (ظ).

(٣) (ما جرمي؟ إلى أن ضرب أكثر من مئة سوط) ليست في: (ض).

فأنشدَه قصيدتَه التي يقولُ فيها[1]: [من الكامل]

هل تَطمِسُونَ من السَّماءِ نُجومَها ... بِأَكُفِّكم، أم تَستُرونَ هِلالَها؟

أم تَجْحَدُونَ مَقالَةً عَن رَبِّكُم؟ ... جِبْرِيلُ بَلَّغَها النَّبِيَّ فَقالَها

شَهِدَتْ مِنَ الأنفالِ آخِرُ آيَةٍ ... بِتُراثِهِمْ فَأَرَدْتُمُ إِبْطالَها

فَذَرُوا الأُسُودَ خوادرًا في غِيْلِها ... لا تُولِغُنَّ دِماءَكُم أَشْبَالَها[2]

فأمرَ بإطلاقِه، وأن يُدفعَ إليه ثلاثونَ ألفَ درهمٍ. فلمَّا خرجَ؛ قال: يا أصمعيُّ مَن هذه الصَّبِيَّةُ؟

قلتُ: لا أدري.

قال: هذه مؤنسةُ[3] بنتُ أميرِ المؤمنين، فدعوتُ له ولها.

فقال: قم فقَبِّلْ رأسَها.

فقلتُ: أفلَتُّ من واحدةٍ، وقد وقعتُ في أُخرى أشدَّ منها، إن أطعْتُه أدركَتْهُ الغيرةُ فيقتلني، وإن عصيتُه قتلَني بمعصيتي له، فلمَّا أحبَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ من تأخير أَجلي، خطرَ ببالي أنْ وضعتُ كُمِّي على رأسِها، وقبَّلتُ كُمِّي.

---

(١) (قصيدتَه التي يقولُ فيها) ليست في (ض).

(٢) الأبيات من قصيدةٍ له يمدحُ فيها الخليفةَ المهدي، ومطلعها: (طرقَتْكَ زائرةً فَحَيِّ خيالَها). ينظر: «شعر مروان بن أبي حفصة» (ص: ٩٦).

(٣) في (ض): (مواسة) وفي (ظ): (مواسية).

فقال: واللهِ يا أصمعيُّ لو أخطأتَها لَقتلتُكَ. أَعطوهُ عشرةَ آلاف درهمٍ، والحق بِدارِكَ.

فخرجتُ وأنا ما أُصدِّقُ بالسَّلامة، فكيفَ بالحياةِ والكرامة؟[1]

(١) ينظر: «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢/ ٥٦).

[٧: ٥٥] [أمدحُ بيتٍ قالتهُ العرب]

قال المفضَّلُ بن محمَّدٍ الضبِّيُّ: أصبحتُ يومًا ببغدادَ، في خلافة المهديِّ، وأنا مِن أشدِّ الناس إضاقةً وضُرًّا، لا أدري ما أَعملُ حيرةً وفِكرًا.

فخرجتُ فجلستُ على باب منزلي بالصراةِ(١) أُفكِّرُ ما أصنع؟ فإذا برسولِ المهديِّ قد وقفَ عليَّ، فقالَ: أَجِبْ أميرَ المؤمنينَ. فراعَني، وساءَ ظَنِّي، فقلتُ: أَدخلُ ألبسُ ثيابي.

فقال: ما إلى ذلك سبيلٌ.

فاشتدَّ جزَعي، وخَشِيتُ أن يأخُذَني(٢) بما كان بيني وبين إبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن بن الحسين(٣) عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ.

فاستَدعيتُ ثيابي، فلبستُها، وجدَّدتُ الوضوءَ على الباب، ولم أُخبر أهلي بقِصَّتي، ولا بما هجمَ عليَّ من الغمِّ، وقلتُ: إن كان خيرًا أو شرًّا فسيَبلُغهم، ما معنى تعجيلِ الغَمِّ لهم؟ ومَضيتُ مع الرَّسول، حتَّى دخلتُ على المهديِّ، وأنا في نهاية الجزَعِ، فسلَّمتُ، فردَّ عليَّ السَّلام. فقلتُ في نفسي: ليس إلَّا خير.

---

(١) في (ل): (بالبصرة) وليست في (ض).

(٢) (وخشيت أن يأخذني) في (ظ): (وحسبت أن يتبعني)، وفي (ل): (وخشيت أن يتعقبني).

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو محمَّد النفس الزكية، الذي خرج على المنصور، وكان مُستخْفِيًا هاربًا من بلدٍ إلى بلدٍ، يدعو الناسَ لبيعة أخيه محمَّدٍ، وبعد موت أخيه خرج إبراهيمُ إلى البصرة، فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس وأكثر السواد، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى وسعيد بن سلم، فحاربَ حتّى قُتِلَ سنةَ (١٤٥هـ). ينظر: «مقاتل الطالبيين» (ص: ٢٧٢)، و«المنتظم» (٧/ ٢١٢- ٢١٣)، و«المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٣).

فقال: اجلس يا مُفضَّلُ. فجلستُ. فقال: أخبرني بأمدَحِ بيتٍ قالته العَرب.

فتبلَّدتُ ساعةً لا أذكرُ شيئًا[١]، ثمَّ أجرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على لساني، أن قلتُ قولَ الخنساء.

فأشرقَ وجهُه، فقال: حيث تقولُ ماذا؟

فقلتُ: حيث تقول: [من البسيط] [ض/١٢٩]

وإنَّ صَخرًا[٢] لَمولانا وسَيِّدُنا ... وإنَّ صَخرًا إذا نَشتُو لَنَحَّارُ
وإنَّ صخرًا لَتأتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كأنَّهُ عَلمٌ في رأسِهِ نَارُ[٣]

فاستشرقَ وجهُه واستبشرَ، وقال: قد أخبرتُ هؤلاءِ بهذا - وأومأَ إلى جماعةٍ بين يديه[٤] - فلم يَقبَلُوا منِّي[٥].

قلتُ: كان أميرُ المؤمنين أحقَّ بالصَّواب منهم.

ثمَّ قال: يا مُفضَّلُ، حدِّثني الآنَ.

قلتُ: أيَّ الأحاديث؟

---

(١) (فتبلدت ساعة لا أذكر شيئًا) في (ض): (فتذكرت ساعة).

(٢) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي، من بني سليم ابن منصور، من قيس عيلان، كان من فرسان بني سليم وغزاتهم، ولأخته الخنساء شعر كثير في رثائه ورثاء أخيه معاوية المقتول قبله، (ت: ١٠ قبل الهجرة). ينظر: «الأعلام» (٣/ ٢٠١).

(٣) البيتان من قصيدة لها، مطلعها: (قَذًى بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوَّارُ). ينظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٤٥).

(٤) وهم: عليُّ بن يقطينٍ، وعمرُ بن بزيعٍ، والمُعلَّى مولاه. يُنظر: «ديوان المعاني» (١/ ٤١).

(٥) (فلم يقبلوا مني) ليست في (ل).

قال: أحاديثَ الأعراب.

فلم أزَلْ أُحادِثُه بأحسنِ ما أروي عنها وما أحفظُ منها، إلى أن كادَ[1] المنادي بالظُّهر ينادي. ثمَّ قال لي: كيف حالك، يا مُفضَّل؟

قلت: ما يكون حالُ رجلٍ عليه عشرونَ ألفَ درهمٍ دَينًا حالًّا، وليس في رزقه فَضلٌ لقضائها، وقصصتُ عليه قِصَّة يومي في الإضاقة.

فقال: يا عمرَ بن بَزِيعٍ، ادفع إليه السَّاعةَ عشرين ألفَ درهمٍ يقضي بها دينَهُ، وعشرين ألفَ درهمٍ يصلحُ بها حالَه، وعشرين ألفَ درهمٍ يجهِّزُ بها بناتِه، ويُوسِّعُ بها على عيالِه.

ثمَّ قال: يا مُفضَّلُ، ما أحسنَ ما قال ابن مطيرٍ[2] في مثل حالكَ: [من الطويل]

وَقدْ تَغدُرُ الدُّنيا فيُضْحِي غَنِيُّها ... فَقِيرًا، وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤسٍ فَقِيرُها

وكَمْ قد رَأينا مِنْ تَكَدُّرِ عِيشَةٍ ... وَأُخرَى صَفَا بَعْدَ اكدِرَارٍ غَدِيرُها[3]

فأخذتُ المالَ، وانصرفتُ إلى بيتي بسِتِّينَ ألفَ درهمٍ[4].

---

(١) (كاد) في (ض): (كان).

(٢) هو الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي، مولاهم: شاعر متقدم في القصيد والرجز، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. له أماديح في رجالهما. وكان زيه وكلامه كزيّ أهل البادية وكلامهم، (ت: ١٦٩هـ). ينظر: «الأعلام» (٢/ ٢٦٠).

(٣) البيتان من قصيدة له، مطلعها: (لَعَمرُكَ لَلبَيتُ الذي لا نَطُورُهُ). ينظر: «أمالي المرتضى» (١/ ٤٣٣)، و«حماسة القرشي» (ص: ٣٩٦).

(٤) ينظر: «ديوان المعاني» (١/ ٤١).

[٧: ٥٦] [الأصمعيُّ ونصيحةُ جاره البقَّالِ]

وجدتُ في بعض الكتب عن الأصمعيِّ، قال: كنتُ بالبصرة أطلبُ العِلمَ، وأنا مُقِلٌّ، وكان على باب زُقاقِنا بَقَّالٌ، إذا خرجتُ بُكرةً يقولُ: إلى أين؟

فأقولُ: إلى أبي فلانٍ المحدِّث.

فإذا عُدْتُ مساءً؛ يقولُ: من أينَ؟

فأقولُ: من عند فلانٍ الأخباريِّ، أو اللُّغويِّ.

فيقولُ: يا هذا، اقبل وَصِيَّتي، أنتَ شابٌّ، فلا تُضيِّع نفسَك، واطلُبْ معاشًا يعودُ عليكَ نَفعُه، وأعطني جميعَ ما عندكَ من الكُتب، حتَّى أطرحَها في الدَّنِّ، وأَصُبَّ عليها[1] من الماءِ للعشرةِ أربعةً، وأَنبِذَه، وأنظرَ ما يكونُ منه. والله لو طلبتَ منِّي بجميع كُتبِكَ جُرْزَةَ بَقْلٍ ما أعطيتُكَ.

فضيَّقَ صدري بمداومته هذا الكلام، حتَّى كنتُ أخرج من بيتي ليلًا، وأدخلُه ليلًا، وحالي في خلال ذلك تزدادُ ضِيقًا، حتَّى أفضَتْ بي الحالُ إلى بيعِ آجُرِّ أساساتِ داري، وبقيتُ لا أهتدي إلى نفقةِ يومي، وطال شَعري، وأخلَقَ ثوبي، واتَّسخَ بدني.

فأنا كذلك مُتحيِّرٌ في أمري، إذ جاءني خادمٌ للأمير محمَّدِ بن سُليمانَ الهاشمي[2]، فقال: أَجِب الأميرَ.

---

(١) في (ل): (عليه).

(٢) هو محمَّدُ بن سليمانَ بن عليِّ بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطَّلب الهاشميُّ، أخو جعفرٍ =

فقلتُ: ما يصنعُ الأميرُ برجلٍ قد بلغَ به الفَقرُ ما ترى؟

فلمَّا رأى سُوءَ حالي، وقُبْحَ منظري؛ رجعَ فأخبر محمَّدَ بن سليمانَ بخَبري، وعلى أنِّي مُتحيِّرٌ في ذلك، إذ الخادمُ قد أقبلَ ومعه ثلاثُ تُخوتِ ثيابٍ، ودُرْجٌ فيه بخورٌ، وكيسٌ فيه ألفُ دينارٍ.

وقال: قد أمرني الأميرُ أن أُدخِلكَ الحمَّامَ، وأُلبِسكَ من هذه الثِّياب، وأدعَ باقيَها عندكَ، وأُطعِمكَ من هذا الطَّعام - وإذا بخِوانٍ[1] كبيرٍ فيه مِن صنوف الأطعمة - وأُبخِّركَ؛ لِترجعَ إليك نفسُكَ، ثمَّ أحمِلكَ إليه.

فسُرِرتُ بذلكَ[2] سرورًا شديدًا، ودعوتُ له، وقُمْتُ وعَمِلتُ ما قال، ورجَعتُ[3] معه، حتَّى دخلتُ على محمَّدِ بن سليمانَ، فسلَّمتُ عليه، فقرَّبني، ورفعَني، ثمَّ قال لي: يا عبدَ الملك، قد اخترتُكَ لتأديبِ ابن أميرِ المؤمنينَ، فاعمل على الخروج إلى بابِه، وانْظر كيفَ تكون؟

فشكَرتُه، ودَعوتُ له، وقلتُ: سمعًا وطاعةً، أُخرِجُ شيئًا من كُتبي.

فقال: وَدِّعْني[4]، وكُنْ على الطَّريق غدًا.

= وإسحاقَ. كان عظيمَ أهلِه، وجليلَ رهطه، وَلِيَ إمارةَ البصرةِ في عهد المهديِّ، ثمَّ قَدِمَ بغدادَ على الرشيد لمَّا أفضَت الخلافةُ إليه، (ت: ١٧٣هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢١٦).

(١) **الخِوان**: وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. ينظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨٩).

(٢) (بذلك) ليست في (ظ).

(٣) في (ظ): (ومَضَيت)، وفي (ل): (ورُحْت).

(٤) (وقلت: سمعًا وطاعةً، أخرج شيئًا من كتبي. فقال: ودعني) ليست في (ظ).

فقبَّلتُ يدَهُ، وقمتُ، فأَخذتُ ما احتجتُ إليه من كُتبي، وجعلتُ باقيَها في بيتٍ سَددتُ بابَهُ، وأَقعدتُ عجوزًا مِن أهلنا، تحفَظُها.

وباكَرَني رسولُ[١] محمَّدَ بن سُليمانَ، وأخذني إلى زَلَّالٍ[٢] قد اتُّخِذَ لي، وفيه جميعُ ما يُحتاج إليه، وأجلسَ معي مَن ينفقُ عليَّ، إلى أن وَصلتُ إلى بغدادَ.

ودخلتُ على أمير المؤمنين الرشيد، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلامَ، وقال: أنتَ عبدُ الملك بن قُرَيبٍ الأصمعيُّ.

قلت: نعم، أنا عبدُ أميرِ المؤمنين بنُ قُرَيبٍ الأصمعيُّ.

قال: اعلم أنَّ ولدَ الرجل مُهجةُ قلبه، وثمرةُ فؤادِه، وهو ذا أُسلِمُ إليكَ ابني محمَّدًا بأمانةِ الله، فلا تُعَلِّمْهُ ما يُفسِدُ عليه دِينَه، فلعلَّهُ أن يكونَ للمسلمين إمامًا.

قلتُ: السَّمع والطَّاعة.

فأخرجَهُ إليَّ، وحُوِّلتُ معه إلى دارٍ، قد أُخلِيَتْ لتأديبِه، فدخلتُها، فإذا فيها من أصناف الخدم والفرش، وأُجرِيَ عليَّ في كلِّ شهرٍ عشرةُ آلاف درهمٍ، وأمر بأن يُخرجَ إليَّ في كلِّ يومٍ مائدةٌ.

فلَزِمتُه، وكنتُ مع ذلك أقضي حوائجَ النَّاس، وآخذُ عليها الرغائبَ، وأنفذُ جميع ما يجتمعُ لي أوَّلًا فأوَّلًا إلى البصرة، وأعمرُ داري، وأشتري عقارًا وضياعًا.

---

(١) في (ل) زيادة: (الأمير).

(٢) **الزَّلَّالُ**: نوعٌ من السفن العراقية النهرية، يمتاز بالصِّغَر والسُّرعة. ينظر: «السفن الإسلامية على حروف المعجم» (زلال) (ص: ٥٧).

فأقمتُ معه، حتَّى قرأ القرآنَ، وتفقَّهَ في الدِّين، وروى الشِّعرَ واللُّغةَ، وعَلِمَ أَيَّامَ النَّاس وأخبارَهم.

واستعرضَهُ الرشيدُ، فأُعجِبَ به، وقال: يا عبدَ الملك، أريدُ أن يُصلِّيَ بالنَّاس، في يومِ الجمعة، فاختر له خُطبةً، تُحفِّظُه إيَّاها.

فحفَّظتُه عشرًا، وخرجتُ وخرجَ، فصلَّى بالنّاس، وأنا معه، فأُعجِبَ به الرشيدُ، وأخذه نثار[1] الدَّنانير والدَّراهم من الخاصَّة والعامَّة، وأتتني الصِّلاتُ والجوائزُ من كلِّ ناحيةٍ، فجَمعتُ مالًا عظيمًا.

[ظ/١٨٨] ثمَّ استدعاني الرشيدُ، فقال: يا عبدَ الملك، قد أحسنتَ الخدمةَ، فتَمنَّ.

فقلتُ: وما عسايَ أن أتمنَّى، وقد حُزْتُ أمانيَّ.

فأمرَ لي بمالٍ عظيمٍ، وكسوةٍ كثيرةٍ، وطيبٍ فاخرٍ، وعبيدٍ، وإماءٍ، وظَهرٍ، وفرشٍ، وآلةٍ.

فقلت: إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لي في الإلمام بالبصرة، والكتابِ إلى عاملِه بها أن يطالبَ الخاصَّةَ والعامَّة بالسَّلام عليَّ ثلاثةَ أيَّامٍ، وإكرامي بعد ذلك.

فكُتِبَ لي إليه بما أردتُ، وانحدرتُ إلى البصرة، وداري قد عمرَتْ، وضياعي قد كَثُرَتْ، ونعمتي قد فشَتْ، فما تأخَّر عنِّي أحد.

فلمَّا كان ثالثُ يومٍ؛ تأمَّلتُ أصاغرَ مَن جاءني، فإذا أنا بالبقَّال، وعليه عمامةٌ صغيرةٌ، ورداءٌ نظيفٌ، وجُبَّةٌ قصيرةٌ، وقميصٌ طويلٌ، وفي رجليه جرموقان، وهو بلا سراويلَ، وقال لي: كيف أنتَ يا عبدَ الملك؟

---

(١) في (ل): (بنثار).

فاستضحكتُ من حماقتِه، وخطابِه لي بما كان يخاطبُني به أوَّلًا، [ض/ ١٣٠] وقلتُ: بخيرٍ، وقد قَبِلتُ قولكَ ووصيَّتكَ، وجمعتُ ما عندي من الكتب، وطَرحتُها في الدَّنِّ كما أمرتَ، وصَببتُ عليه من الماء للعَشرة أربعةً، فخرجَ ما ترى.

ثمَّ إنِّي أحسنتُ إليه بعدَ ذلك، وجعلتُه وكيلي(١).

(١) ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ٨٤) ينقلُه عن هذا الكتاب.

[٧: ٥٧] [المنذر بن المغيرة بين البرامكة والمأمون]

قال مسرورٌ الكبير[١]: استدعاني المأمونُ يومًا، فقال: قد أكثر عليَّ أصحابُ أخبار السرِّ بأنَّ شيخًا يأتي خرائبَ البرامكة، فيبكي وينتحبُ طويلًا، وينشدُ شِعرًا يرثيهم به، وينصرفُ، فاركب أنتَ ودينارُ بن عبد الله، واستَتِرا بالجُدران، فإذا جاء الشَّيخ فأَمهِلاهُ، حتَّى تُشاهِدا ما يفعلُ، وتسمعا ما يقول، فإذا أرادَ الانصرافَ؛ فاقبِضا عليه، وائتياني به.

قال مسرورٌ: فركبتُ أنا ودينارُ مُغلِّسَين، فأتينا الموضعَ، فتخفَّينا فيه، وأبعدنا الدَّوابَّ.

فلمَّا أصبحنا، إذا نحنُ بخادمٍ أسودَ قد أقبلَ، ومعه كرسيّ حديد، فطرحه، وجاء على أثرِه كهلٌ بَهِيٌّ، فجلسَ على الكرسيّ، وتلفَّتَ، فلم يرَ أحدًا، بكى وانتحبَ، حتَّى قلتُ: قد فارق الدُّنيا، ثم مسح عينيه، وأنشأ يقول[٢]: [من الطويل]

ولما رأيتُ السَّيفَ جَلَّلَ جَعْفرًا وَنادَى مُنَادٍ للخَلِيفَةِ في يَحْيَى[٣]

وذكر أبياتًا طويلةً، لا تدخلُ في كتابي هذا، فأرويَها.

---

(١) هو مسرور مولى الرشيد. سبقت ترجمته (٢/ ١٦٢).

(٢) في (ل) زيادة: (أما والله لولا خوف واشٍ * وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا * كما للنّاس في الحجر استلام. ثمّ بكى طويلًا، وأنشأ يقول).

(٣) البيت منسوب لدعبل الخزاعي. ينظر: «العقد الفريد» (٥/ ٣٢٩).

قال: فلمَّا قامَ[1]؛ قبضا عليه.

فقال: ما تريدان؟

قلتُ: هذا دينار بن عبد الله[2]، وأنا مسرورٌ خادمُ[3] أميرِ المؤمنين، وهو يستدعيك[4].

فأبلسَ، ثم قال: إنِّي لا آمنُه على نفسي، فأَمهِلْني[5] حتَّى أُوصي.

فقلت: شأنك وما تريد، فسارَ ونحن معه، حتَّى أتى بعضَ دكاكين العلَّافين، بفُرْضَةِ الفِيل[6]، واستدعى دواةً وقرطاسًا، وكتب فيها وصيَّته، ودفعها إلى الخادم الذي كان معه، وأنفذَه إلى منزله، وسِرنا معه، حتَّى أدخلناه دارَ الخليفة، فلمَّا مَثَلَ بين يدي الخليفة زَبَرَهُ وانتهرَه، ثمَّ قال: من أنتَ؟ وبمَ استحقَّ البرامكةُ منكَ ما تصنعُ في دُورهم وخراباتِهم؟

---

(١) (وذكر أبياتًا طويلة، لا تدخلُ في كتابي هذا، فأرويها. قال: فلمّا قام) في (ر):

(بكيت على الدنيا وأيقنت أنما ... قصارى الفتى يومًا مفارقة الدنيا
أللفضل أبكي أم ليحيى بن خالد ... أم اسحاق أم يعقوب أبكيه أم موسى
أم الملك المصلوب من بعد عزه ... أمَ ابكي بكاء المعولات لدى الثكلى
فلما فرغ من إنشادها وأراد الانصراف).

(٢) في (ر) زيادة: (وهذا عبد الملك بن قريب الأصمعي)

(٣) في (ل): (خادما).

(٤) (وهو يستدعيك) في (ر): (قد أمرنا أمير المؤمنين بحملك إلى حضرته).

(٥) في (ظ): (فأمهلاني)، وفي (ر): (فأمهلوني).

(٦) **الفُرضَة**: المَشْرَعَة، والأصل في الفُرضَة الثُّلمة في النهر، وكان محمَّد بن القاسم أهدى إلى الحجَّاج من السِّند فِيلًا، فأُجِيزَ البطائحَ في سفينةٍ، وأُخرِجَ في المشرعةِ التي تدعى مشرعةَ الفِيلِ، فسُمِّيَتْ تلك المشرعةُ «مَشْرَعَةَ الفيل»، و«فُرضَةَ الفيل». ينظر: «فتوح البلدان» (ص: ٢٨٦)، و«معجم البلدان» (٤/ ٢٤٣).

فقال غيرَ هايبٍ ولا محتشمٍ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ للبرامكة عندي أيادِيَ جمَّةً خَضِرَةً، فإن رسم لي أميرُ المؤمنين حدَّثته بإحداها.

فقال: هات.

فقال: أنا المنذر بن المغيرةِ الدِّمشقيُّ[1]، من ذوي الحسب، كنتُ في ظلِّ نعمةٍ كبيرةٍ، فزالَتْ عنِّي، كما تزول النِّعمُ عن النَّاس، حتَّى أفضيتُ إلى بيع مسقط رأسي ورؤوس آبائي، وأملقتُ حتَّى لا غايةَ، فأُشيرَ عليَّ بقَصْدِ البرامكة. فخرجتُ من الشَّام إلى بغدادَ، ومعي نيِّفٌ وعشرون امرأةً وصبيًّا وصبيَّةً من أهلي، فدخلتُ بهم مدينة السَّلام، وأنزلتُهم في مسجدٍ.

ثمَّ عمدتُ إلى ثويباتٍ كنتُ أعددتها للقاء النَّاس والتدرُّعِ بها إلى البرامكة، فلبستها، وسلكتُ الطريقَ، لا أدري أينَ أقصِدُ[2]، وخلَّيتُ عيالي جياعًا لا نفقةَ لهم، ولا معهم ما يُباع، فأفضيتُ إلى مسجدٍ مُزخرَفٍ، فيه جمعُ شيوخٍ، بأجمل زيٍّ، وأحسن هيئةٍ، فطمعتُ في مخاطبتهم، وصعدتُ المسجدَ، فجلستُ معهم، لم أَزِدْ على السَّلام، وجعلتُ[3] أُردِّدُ في صدري كلامًا أخاطِبُهم به، فيُخجِلُني[4]

---

(١) هو المنذرُ بنُ المغيرةِ الدِّمشقيُّ، كان من أولاد الملوك، فقعدَ به الدهرُ، فقصدَ البرامكةَ بالعراق، فأحسنوا إليه، وأقطعوه ضيعتين. ينظر: «تاريخ دمشق» (٦٠/ ٢٩٧).

(٢) في (ر) زيادة: (وكنت كما قيل: وأصبح لا يدري وإن كان حازما * أقدامه خير له أم وراه؟ فلمّا قال ذلك؛ بكى المأمون، فقال له رجلٌ: اقتصر، فقد أتعبت أمير المؤمنين بوصفك. فقال له المأمون: دعه يتحدث بما يريد. قال).

(٣) (لم أزد على السّلام، وجعلت) ليست في (ظ، ر).

(٤) (فيخجلني) في (ظ): (فيحضر لي السور وتخجلني)، وفي (ل): (فيحضرني الستور ويخجلني).

ذلُّ المسألة، ويَحبِسُني عن الكلام، وأتصبَّبُ عرقًا حياءً وخوفًا من أن يقالَ لي: مَن أنت؟ وما تريد؟ ولا يمكنني الجوابُ ولا أدري ما أخاطبهم به[1]؛ إذ لم تكن لي عادةٌ بالخوض في مثله.

فأنا كذلك إذ جاء خادمٌ فاستدعى القومَ[2]، فقاموا، وقمتُ معهم ومضينا، فأُدخِلوا دارًا[3] ذاتَ دهليزٍ طويل، فدخلتُ معهم، وأَفضَينا إلى مجلسٍ واسعٍ، [ظ/١٨٩] وإذا يحيى بنُ خالدٍ فيه، على دكَّةٍ في صحن الدَّار، في وسط بستانٍ، وقد نصب عليها كراسي من آبِنُوسَ[4]، وأقبلَ القومُ فجلسوا، وجلستُ معهم، وتأمَّل الخدمُ القومَ، فإذا نحن مئةُ رجلٍ ورجلٌ، فغابوا، ثمَّ خرج مئةُ خادمٍ وخادمٌ، في يد كلِّ واحدٍ منهم مَجْمرةٌ من[5] ذهبٍ، فيها قطعةُ عنبرٍ كالفهر[6]، والخدمُ بأفخر اللباس، عليهم مَناطِقُ الذَّهب المرصَّعةُ بالدُّرِّ والجوهرِ، وهم يطيفون بغلامٍ حين اخضرَّ شاربُه، حَسنِ الوجه، فشجروا[7] العنبرَ.

وأقبل يحيى على الزريقي[8] القاضي، فقال له: زَوِّج ابنَ عمي هذا بابنتي[9] عائشةَ.

---

(١) (وأتصبَّبُ عرقًا حياءً وخوفًا... ولا أدري ما أخاطبهم به) ليست في (ض، ظ، ل).

(٢) في (ظ): (فأذن للقوم).

(٣) في (ل) زيادة: (كبيرة).

(٤) **الآبِنُوسُ**: شجرٌ ينبت في الحبشة والهند، خشبه أسود صلبٌ، يُصنَعُ منه بعض الأدوات والأواني والأثاث. ينظر: «المعجم الوسيط» (آب) (١/ ١).

(٥) (من) ليست في (ظ).

(٦) **الفِهْرُ**: الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه. ينظر: «العين» (ف هـ ر).

(٧) في (ظ): (فسجروا). **شَجَرَ وسَجَرَ** بمعنًى، أي: خَلطَ. ينظر: «العين» (ش ج ر).

(٨) في (ض): (الدريقي).

(٩) في (ض): (بابنة عمي).

فخطب، وعقدَ النِّكاح، وأخذنا النثارَ من فُتاتِ المسك، وبنادقِ العنبر، وتماثيلِ الندِّ الصغار، والتقطَ النَّاسُ، والتقطتُ.

ثمَّ جاء مئةُ خادمٍ وخادمٌ، في يد كلِّ خادمٍ منهم صينيَّةُ فضَّةٍ، فيها ألفُ دينارٍ مخلوطةٌ بالمسك، فوُضِعَ بين يدي كلِّ واحد منَّا صينيَّةٌ.

فأقبلت الجماعةُ تكوِّر الدّنانيرَ والطيبَ في أكمامها، وتأخذُ الصواني تحت آباطِها، وتنصرفُ، الأوَّل فالأوَّل، حتَّى بقيت وحدي، لا أَجسرُ على أخذ الصينيَّة وما فيها، والأسفُ والحاجةُ يمنعاني أن أقومَ وأَدعَها، وأنا مُطرِقٌ مُفكِّرٌ، حتَّى ضاقَ صدري، ورفعتُ رأسي، فغمزَني بعضُ الخدم على أَخذِها والقيامِ، فأخذتُها وقُمْتُ، وأنا لا أُصدِّقُ، وجعلتُ أمشي وألتفتُ خوفًا أن يتبعَني مَن يأخذُها منِّي، ويحيى مع هذا يلاحِظُني من حيث لا أفطن.

فلمَّا قاربتُ السَّتر؛ رُدِدتُ، فأَيِستُ من الصينيَّة وما كان فيها، وجِئتُ وهي معي، حتَّى قَرُبْتُ منه، فأمرني بالجلوس، فجلستُ.

فسألَني عن حالي، وقِصَّتي، ومن أنا، فصدَقْتُه، حتَّى بلغتُ إلى حديث تَركي عيالي في المسجد؛ فبكى. ثمَّ قال: عليَّ بموسى، فجاء.

فقال: يا بُنيَّ، هذا رجلٌ من أولاد النِّعم، قد رَمتهُ الأيَّامُ بصروفها، والنوائبُ بحُتوفِها، فخُذه، واخلطه بنفسك، واصطَنِعه لها.

فأخذَني موسى إلى دارِه، فخلع عليَّ مِن أفخر ثيابِه، وأمرَ بحفظ الصينيَّة لي، ومضيتُ على ذلك يومي وليلتي.

ثمَّ استدعى أخاه العبَّاسَ من غدٍ، وقال له: إنَّ الوزيرَ سلَّم إليَّ هذا الفتى، وأمرَني فيه بكذا وكذا، وأريدُ اليوم الركوبَ إلى دار أمير المؤمنين، فليكن عندكَ اليومَ حتَّى أرتجِعَه غدًا، فأخذني العبَّاس[1]، وكان يومي عندَه مثلَ أمسي عندَ أخيه.

وأقبلوا يتداولوني، كلَّ يومٍ واحدٌ، وأنا قَلِقٌ بأمرِ عيالي، إلَّا أنَّني لا أذكرُ لهم ذلك؛ إجلالًا لهم.

فلمَّا كان في اليوم العاشر؛ أُدخِلتُ على الفضلِ بن يحيى، فأقمتُ في داره يومي وليلتي، فلمَّا أصبحتُ؛ جاءني خادمٌ من خدمه، فقال: يا هذا، قم إلى عيالِكَ وصبيانك.

فقلتُ: إنَّا لله، أَحصلُ من هؤلاء القوم على الأكل والشُّرب، وذهبت الصينيَّةُ وما فيها، وما حصَّلتُه من النثار خلَّيتهُ، فليتَ هذا كان مِن أوَّل يومٍ، وكيف أتوسَّلُ[2] الآن إلى يحيى، وأيُّ طريقٍ لي إليه؟

وتلاعبت بي الأفكارُ مخافةَ اليأس، وأظلمت الدُّنيا في عيني، وقمتُ أَجرُّ رجلي، والخادمُ بين يديَّ يمشي، حتَّى أخرجَني من الدَّار، فازدادَ يأسي، وما زال يمشي بين يديَّ[3] حتَّى أدخلني إلى دارٍ كالشمس إضاءةً، حتَّى كأنَّ الشَّمسَ تَطلعُ من جوانبها، وفيها من صنوف الفرش والأثاث والآلات ما يكون في مثلها. [ض/ ١٣١]

فلمَّا توسَّطتُها رأيتُ عيالي أجمعينَ فيها، يرتَعون في الديباج والشفوف، وقد حُمِلَ إليهم مئةُ ألف درهم، وعشرةَ آلاف دينارٍ، وسلَّم إليَّ الخادمُ صكَّ ضيعتين جليلتين، وقال: هذه الدَّارُ وما فيها والضياعُ بغَلَّاتِها لك.

---

(١) (فأخذني العباس) ليست في (ظ).

(٢) في (ل، ر): (أتوصَّل).

(٣) (وما زال يمشي بين يدي) ليست في (ض).

فأقمتُ مع البرامكة في أخفض عيشٍ، وأَجلِّ حالٍ، حتَّى نزلت بهم النازلة، فأنا أعيش في فضلهم إلى الآن.

ثمَّ قصدني عمرُو بن مسعدةَ في الضيعتين، وألزمَني في خَراجِهما ما لا يفي بِدَخلهما، فلحقتني شِدَّةٌ عظيمةٌ[1].

[ظ/١٩٠] فكلَّما لحقتني نائبةٌ واشتدَّت بي بَلِيَّةٌ؛ قصدتُ دُورَهم، فبَكيتُهم، ورَثيتُهم، وشكرتُهم، ودعوتُ لهم على ما كان منهم إليَّ[2]، وشكوتُ ما حلَّ بي بعدَهم، فأجدُ لذلك راحةً.

فاستدعى المأمونُ عمرَو بن مسعدةَ، وسأله عن حاله، فقال: هذا من صنائع البرامكة. وعرَّفه حالَ الضيعتينِ وما استخرجَ منه[3].

فأمَرَهُ بأن يردَّ على الرجل ما كان استخرجَه منه، ويُقرِّرَ خراجَه على ما كان عليه في أيَّام البرامكة، وأن يجعلَ له ضيعتين أُخريَين من جملة الإيغارات، يكونُ دَخلُهما له، ويتَّخذ له سِجلًّا[4]، وأن يقضيَ حقَّهُ ويُكرِمَه، فبكى الشَّيخُ بكاءً شديدًا.

فقال له المأمون: ألم أستأنف إليكَ جميلًا؟

(١) (فلحقتني شدة عظيمة) ليست في (ض، ظ، ل).

(٢) (ورثيتهم، وشكرتهم، ودعوت لهم على ما كان منهم إليّ) ليست في (ل).

(٣) (وسأله عن حاله... وما استخرج منه) ليست في (ض، ظ، ل).

(٤) (وأن يجعل له ضيعتين أخريين... ويتخذ له سجلا) ليست في (ض، ظ، ل).

فقال: بلى والله يا أميرَ المؤمنين، وزِدتَ على كلِّ فضلٍ وإحسانٍ، ولكنَّ هذا مِن بركة البرامكةِ عليَّ، وإحسانِهم إليَّ، لو لم أَرِدْ خراباتِهم ودُورَهم كيف كنتُ أَصِلُ إلى مثل هذا؟

فقال له المأمون: هذا أيضًا من بركة القوم! رَحِمَهُمُ اللَّهُ[1]، فامضِ مصاحَبًا، فإنَّ الوفاءَ مبارَكٌ، وحُسن العهد من الإيمان[2].

(١) (لو لم أرد خراباتهم ودورهم... القوم رَحِمَهُمُ اللَّهُ) في (ض، ظ، ل): (قال).

(٢) ينظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٩/ ١٤٦).

[٧: ٥٨] [نادمه ووصله فكافأه بالجميل]

قال: وبلغني أنَّه كان بالكوفة رجلٌ من أهل الأدب والظَّرْف، يعاشرُ النَّاسَ، ويأتيه ألطافُهم، فيعيشُ بها مُتَّسِعًا[١]. ثمّ انقلبَ الدَّهرُ عليه، فأمسكَ النَّاسُ عنه وجفَوهُ، حتَّى قعدَ في بيته، والتجأَ إلى عياله، فشاركهُنَّ في فضل مَغازلهنَّ، واستمرَّ ذلك عليه، حتَّى نسيَهُ النَّاسُ، ولزمه الفقرُ.

قال: فبينا أنا ذاتَ يومٍ في منزلي على أسوأ حالٍ؛ إذ وَقْعُ حافِرِ دابَّةٍ، ورجلٌ يدقُّ بابي، فكلَّمتُه من ورائه، فقلت: ما حاجتك؟

فقال: ابن أخٍ لك، لا أُسمِّيه، يقرأُ عليك السَّلامَ، ويقول لك: إنِّي رجلٌ مُستتِرٌ، ولستُ آنسُ بكلِّ أحدٍ، فإن رأيتَ أن تصيرَ إليَّ، لِنتحدَّثَ ليلتَنا.

فقلتُ في نفسي: لعلَّ جَدِّي[٢] أن يكونَ قد تحرَّك.

ثمَّ لم أَجِد لي ما ألبَسُه، فقمتُ إلى إزارِ امرأتي فاشتملتُ به، وخرجتُ، فقدَّمَ إليَّ فرسًا مجنوبًا[٣] كان معه، فرَكِبتُه إلى أن أدخلَني إلى فتىً من أجمل الناس[٤]،

---

(١) (متسعًا) في (ل): (مقتنعًا) وليست في (ظ).

(٢) **الجَدُّ** هنا: الحظُّ والبَخت. ينظر: «الصحاح» (ج د د).

(٣) **الفَرَسُ المَجنوب**: الذي يقودُه الراكب بجانب فرسه المركوب، ويكونُ عادةً في السِّباق، فإذا فترَ المركوبُ تحوَّلَ الفارسُ إلى المجنوب. ينظر: «تهذيب اللغة» (ج ن ب)، و«لسان العرب» (ج ن ب).

(٤) (أجمل الناس) في (ل): (أجل الناس)، وفي (ر): (أجمل الناس وجهًا).

فقام إليَّ، فعانقني، ودعا بالعَشاء فأكلنا، وأخذنا في الحديث، فما خُضْتُ في شيءٍ إلَّا سبقني إليه.

حتَّى إذا صارَ السَّحرُ؛ قال: إن رأيتَ أن لا تسألَني عن شيءٍ مِن أمري، وتجعلَ هذه الزِّيارةَ بيني وبينَك، إذا أرسلتُ إليكَ فعلْتَ، وهاهنا دراهمُ تقبَلُها، ولا يضيقُ بعدَها عنكَ شيءٌ تَطلُبه يَسعُني، فنهضتُ، فأخرج لي جرابًا مملوءًا دراهمَ.

فقلتُ: اخترتَني على النَّاس لِسرِّكَ، وآخذُ على ذلك أجرًا؟ لا حاجةَ لي في المال.

فجهَد بي، فلم آخذه، وقدَّم إليَّ الفرسَ، فرَكِبتُ، وعُدْتُ إلى منزلي، فدخلتُه مُخفِّفًا، وعيالي يتطلَّعون إلى ما أَجيءُ به، فأخبرتُهم بخبري.

وأصبحتُ نادمًا على فِعلي، وقد ورد عليَّ وعلى عيالي ما لم يكن في حِسابنا، فمكثتُ حينًا، لا يأتي رسولُ الرجل إليَّ، فلما كان بعدَ مُدَّةٍ جاءني، فصِرتُ إليه، فعاودَني بمثل ذلك الفعل، فعاودتُه بالامتناع، وانصرفتُ مُخفِقًا(١)، فأقبلت امرأتي عليَّ باللوم والتوبيخ.

فقلتُ لها: أنتِ طالقٌ ثلاثًا إن عاودني فلم آخُذْ ما يُعطيني.

فمكثتُ على ذلك مُدَّةً أطولَ من الأولى، ثمَّ جاءني رسولُه، فلمَّا أردتُ الرُّكوبَ؛ قالت لي امرأتي: يا مشؤوم، اذكر يمينَك، وبكاءَ بناتِكَ، وسوءَ حالِك.

فصِرتُ إلى الرجل.

---

(١) في (ض، ل): (مخففًا).

فأقبلَ الرجل، وأنا أحادِثُه، إلى أن تبلَّجَ الفجرُ، فأخرجَ الجرابَ، وعاودني الكلامُ، فأخذتُه منه، فقبَّل رأسي، وشكرَني على قَبول بِرِّه، وقدَّم إليَّ الفرسَ، فانصرفتُ عليه، حتَّى انتهيتُ إلى منزلي، فألقيتُ الجرابَ.

فلمَّا رآه عيالي؛ سجدوا شكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، وفتحناهُ، فإذا هو مملوءٌ ألوفًا كثيرةً دنانيرَ[1].

فأصلحتُ منه حالي، واشتريتُ منه[2] مركوبًا، وثيابًا حسنةً، وأثاثًا، وضيعةً، قدَّرتُ أنَّ غلَّتها تَفي بي وبعيالي بعدي، واستظهرتُ على زماني ببقيَّة الدَّنانير.

وانثالَ النَّاسُ يُهنِّئوني ويظهرون السرورَ بما تجدَّد لي، وظَنُّوا أنِّي كنتُ غائبًا في انتجاع مُلكٍ[3]، فقَدِمتُ مُثريًا، وانقطعَ رسولُ الرَّجل عنِّي. [ظ/١٩١]

فبينا أنا أسيرُ يومًا بالقُرب من منزلي، فإذا ضوضاءُ شديدةٌ، وجماعةٌ مجتمعةٌ، فقلتُ: ما هذا؟

فقالوا: رجلٌ من بني فلانٍ، كان يقطعُ الطَّريقَ، فطلبَه السُّلطان، فهربَ وغاب خبرُه، إلى أن عُلِمَ أنَّه هاهنا، فهجمَ عليه أصحابُ السلطان، وقد خرجَ على النَّاس بالسَّيف، يمنعُ عن نفسه.

فقربتُ من الجَمع، وتأمَّلت الرجلَ، فإذا هو صاحبي بِعَينِه، وهو يقاتلُ العامَّة والشُّرطَ، ويكشفُ النَّاس، فيَبعدون عنه، ثمَّ يتكاثرونَ عليه ويُضايِقونَه.

---

(١) (ألوفًا كثيرةً دنانير) في (ض): (دراهم وفيه ألف دينار)، وفي (ظ): (ألوفًا دنانير).
(٢) (منه حالي واشتريت منه) في (ظ): (منه حالي واشتريت)، وفي (ل): (حالي واشتريت).
(٣) في (ر): (ذلك).

فنزلتُ عن فرسي، وأقبلتُ أَقودُه، حتَّى دنوتُ منه، وقد انكشفَ الناسُ عنه.

فقلتُ: بأبي أنتَ وأمِّي، شأنكَ والفرسَ والنجاءَ، فاستوى على ظهره، فلم يُلحَق.

فقبضَ عليَّ أصحابُ الشُّرَط، وأقبلوا يلهزوني(١)، ويَشتُموني، حتَّى جاؤوا بي إلى عيسى بن موسى، وهو والي الكوفةِ، وكان بي عارفًا.

فقالوا: أيُّها الأميرُ، كنَّا قد كِدْنا نأخذُ الرَّجلَ، فجاءَ هذا، فأعطاه فرسًا، فرَكِبَ ونجا عليه، فلم نُدرِكْه.

فاشتدَّ غضبُ عيسى، وكادَ أن يُوقِعَ بي، وأنا مُنكِرٌ. فلمّا رأيتُ الصِّدقَ أولى(٢)؛ قلتُ: أيُّها الأمير، أَدنِني إليكَ أَصدُقْكَ.

فاستدناني، فشرحتُ له ما كان أفضَتْ بي الحال إليه، وما عاملني به الرجلُ، وأنِّي كافأتُه بجميل فعله(٣).

فقال لي سِرًّا: أحسنتَ، لا بأسَ عليك.

ثمَّ التفتَ إلى النَّاس فقال: يا حمقى، هذا اتُّهِمَ، إنَّما لفظَ حافرُ فرسِه شيئًا طلعَ منه، فقادَهُ بعد أن فتَّشه ليُريحَه، فغَشِيَه(٤) رجلٌ مُستقتِلٌ بسيفٍ ماضٍ، قد نكلتُم عنه بأجمعكم، فكيف كان هو يدفعُه عن فرسه؟ انصَرِفوا عنه.

---

(١) في (ض): (يلطموني)، وفي (ظ): (يلطموني يلطموني).

(٢) في (ض): (الجد)، وفي (ل، ر): (المصدوقة).

(٣) (بجميل فعله) في (ل): (كمثل فعله)، وفي (ر): (بجميع فعله)، وليست في (ض).

(٤) في (ل): (فلقيه).

فلما انصرفوا خلَّى سبيلي، فانصرفتُ إلى منزلي، وقد قضيتُ ذِمامَ الفتى، وحصلَتْ لي النِّعمةُ بعدَ الشِّدَّة، وأَمِنتُ عواقبَ الحال، وكان آخرَ عهدي به، والسَّلام[1].

(١) (والسلام) ليست في (ظ، ل، ر).

[٧: ٥٩] [جعفرُ بن سليمانَ يصفحُ عن سارق الجوهرة]

قال: وسُرِقَ لجعفرِ بن سليمانَ الهاشمي جوهرٌ فاخرٌ بالبصرة، وهو أميرُها، فجهَد أن يعرفَ له خبرًا، فخَفِيَ عليه، فأقلقَه وغاظَه، فجدَّ بالشُّرَط وضربَهم، [ض/ ١٣٢] فجَدُّوا في الطَّلب.

فلمَّا كان بعدَ شهرٍ[١] أتاهُ بعضُهم برجلٍ وجدَه في ساباطِ اللُّؤلؤ، يبيعُ دُرَّةً فاخرةً من ذلك الجوهرِ، وقد قبضَ عليه، وضرَبه ضربًا عظيمًا[٢] إلى أن أقرَّ، فأخبر جعفرًا بخبره، فأَذِنَ في دخوله إليه، فأُدخِل.

فلمَّا رأى الرجلُ جعفرًا استغاثَ به وبكى ورقَّقه، فرَحِمَه جعفرٌ، وقال[٣]: ألم تكن طلبتَ منِّي هذه الدرَّةَ في وقتِ كذا، فوَهبتُها لك؟

قال: بلى.

فقال للشُّرَط: خَلُّوا عن الرجل، واطلُبوا غيرَه.

---

(١) في (ظ، ل): (شهور).

(٢) في (ل): (وجيعًا).

(٣) (فرحمه جعفر فقال) في (ظ): (ورققه فرحمه جعفر وقال).

[٧: ٦٠] [أخذ الصينيَّة مَن لا يَردُّها ورآهُ من لا ينمُّ عليه]

وروت الفُرسُ قريبًا من هذا، فقالوا كان بعضُ الملوك(١)، سخطَ على بعضِ حُجَّابه سخطًا شديدًا، فألزمه بيتَه، وكان فيه كالمحبوس، وقطعَ عنه أرزاقَه وما ينوبُه من الجراية(٢)، فأقامَ على ذلك سِنينَ، حتَّى تهتَّكَ، ولم يبقَ له حالٌ.

ثمَّ بلغَه أنَّ الملِكَ قد اتَّخذَ سِماطًا(٣) عظيمًا، يحضرُه النَّاس في غد يومه ذلك، فراسلَ أصدقاءَه، وأعلمَهم أنَّ له حقًّا يَحضرُه بعضُ ولدِه(٤)، فاستعارَ منهم دابّةً بسرجها ولجامها، وغُلامًا يسعى بين يديه، وخلعةً يَلبَسُها، وسيفًا، ومنطقةً، فأُعيرَ ذلكَ فلَبِسَه، وركبَ الدَّابَّةَ، وخرجَ من بيته حتَّى أتى دارَ الملك.

فلمَّا رآهُ البوَّابونَ لم يَشُكُّوا في أنَّه ما أقدمَ على ذلك إلَّا بأمر المَلِك، وتذمَّموا(٥) لِقديم رئاسته عليهم، وأشفقوا مِن عَودِه أن يَحجُبوه إلى أن يَستثبِتُوا(٦) أَمرَه.

(١) (وروت الفرس... الملوك) في (ر): (وذكروا أن كسرى أنوشروان).
(٢) (وما ينوبه من الجراية) في (ظ): (وجراياته)، وليست في (ر).
(٣) **السِّماط**: الجماعة من الناس ومن النخل، وكل ما رُتِّبَ على جهة متساوية، والسماط من الطعام: ما يُمَدُّ عليه. ينظر: «شمس العلوم»، و«لسان العرب»، و«تاج العروس» مادة (س م ط).
(٤) (يحضره بعض ولده) في (ظ): (فحضره بعض ولد أحدهم).
(٥) **تذمَّمَ**: استنكفَ، وتركَ. ينظر: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ١٨٨)، و«الصحاح» (ذ م م).
(٦) (يستثبتوا) في (ض): (يتبين)، وفي (ل): (تبينوا).

ودخل وهو مُظهِرٌ القوَّةَ من نفسه، ولم تزل تلك حالُه مع طائفةٍ طائفةٍ منهم يتردَّد حتَّى[1] وصلَ إلى الملك، وقد أكلَ، وهو جالسٌ يشرَب.

فلمَّا رآه الملِكُ قطَّبَ، وأنكرَ حضورَه، وهَمَّ بأن يأمرَ به وبالحُجَّاب والبوَّابين، فكره أن يُنغِّصَ يومًا أفردَه بالسرور على نفسه.

وأقبلَ الرجلُ يخدمُ فيما كان يخدمُ فيه قديمًا، فازدادت الحالُ تَموُّهًا على الحُجَّاب والحاشية إلى أن كادَ المجلسُ ينصرمُ، وغفلَ عنه أكثرُ من كانَ حاضرًا.

فتقدَّمَ إلى صينيَّةِ ذهبٍ فيها ألفُ دينارٍ وألفُ[2] مثقال مسكٍ، فأخذَها بخفَّةٍ، وجعلَ[3] المِسكَ في كُمِّه والصينيَّةَ، والذهبَ في خُفَّيه.

وخرجَ فرَكِبَ وعادَ إلى منزله، وردَّ العواريَ إلى أهلها، وباعَ المِسكَ، وكسرَ الصينيَّةَ، وجعلَها دنانيرَ، واتَّسعَ بها حالُه[4].

وأفاقَ الملكُ مِن غدٍ مِن سُكْره، وسمعَ مَن يخدمُ في الشَّرابِ يطلب الصينيَّةَ[5]، وقهرمانُ الدار يضربُ قومًا في طلبها، فذكر حديثَ الحاجب، وعلمَ أنَّه ما حملَ نفسَه على الغرر الشَّديد في ذلك إلَّا مِن شِدَّةٍ وضَرٍّ.

فقال لِقَهرمانِه: لا تطلب الصينيَّةَ، فما لأحدٍ في ضياعها ذَنبٌ، **قد أخذَها مَن لا يَردُّها، ورآهُ مَن لا ينمُّ عليه.**

---

(١) (طائفة منهم يتردَّد حتى) في (ظ): (طائفة حتى)، وفي (ل): (منهم إلى أن).

(٢) (دينار وألف) ليست في (ض، ل).

(٣) (فأخذها وجعل) في (ظ): (فأخذها بخفة وجعل)، وفي (ل): (فأخذها فجعل).

(٤) (وجعلها دنانير، واتسع بها حاله) في (ل): (وأنفق الدنانير واتسع بها).

(٥) في (ل) زيادة: (والدنانير والمسك).

فلمَّا كان بعدَ سَنةٍ؛ عادَ ذلك الحاجبُ إلى شِدَّة الإضاقة بنفادِ تلك الدَّنانيرِ، وبلغَهُ خبرُ سماطٍ يكونُ عند الملك، في غدِ يومِه، فاحتالَ بحيلةٍ أخرى، حتَّى حضرَ بين يدي المَلك، فلمَّا رآهُ الملك قال: يا فلانُ، نفدَتْ تلك الدَّنانير؟

فبكى وقال: أيُّها الملكُ، قد احتلتُ مرَّتين، على أن تقتُلَني؛ فأستريحَ ممَّا أنا فيه من عظيم الضَّرِّ الذي أعانيه، أو تعفوَ عنِّي كما يَليقُ بكرمِكَ، وتذكُرَ حُرمتي، فأعيشَ في ظِلِّكَ، وليست لي بعدَ هذه الكَرَّةِ حيلةٌ.

فرَقَّ له الملكُ، وعفا عنه، وأمرَ بردِّ أرزاقِه عليه ونعمتِه، ورُدَّ إلى حاله الأولى في خدمَتِه.

[٧: ٦١] حديث الرجل البكريِّ
مع العبَّاس بنِ عمرٍو الغنويِّ

وبلغني عن رجلٍ من أهل ديار ربيعةَ(١)، كانت له حالٌ صالحةٌ، فزالت. قال: فلزمتني المحنةُ والإضاقةُ مُدَّةً طويلةً، فتحيَّرتُ، ولم أَدرِ ما أعمل.

وكان أميرُ النَّاحية إذ ذاكَ العبَّاسَ بن عَمرٍو الغنويَّ، وكانت بيني وبين كاتبه معرفةٌ قديمةٌ، فأُشيرَ عليَّ أن ألقاهُ، وآخذَ كتابَه عن العبَّاسِ إلى بعض أصدقائه من أمراءِ النواحي، وأخرُجَ إليه، فلَعلِّي أتصرَّفُ معه، أو أعودُ من جهته بفائدةٍ أجعلُها أصلَ معيشةٍ. فلقيتُ الكاتبَ، فقال لي: صِرْ في غدٍ إلى دار الأميرِ حتَّى أكتبَ لك.

فمضيتُ إليه، وكتبَ لي عنه كتابًا مؤكَّدًا إلى بعض أمراء الأطرافِ من أصدقاء العبَّاس، فخرجتُ أريدُ منزلي. فلمَّا صِرتُ في بعض الممرَّاتِ، وأنا(٢) رجلٌ طويلٌ مُبدِنٌ، وكنتُ قد حلقتُ رأسي، وعليه منديلٌ خفيفٌ، قد أطارَته الرِّيح، فانكشفَ، ولِشُغلِ قلبي بأمري لم أَرُدَّ المنديلَ. فإذا بصفعةٍ قد جاءتني، كادت تَكبُّني على وجهي، وتوالَتْ بعدها اثنتان.

فالتفتُّ، فإذا العبَّاسُ بن عمرٍو قد خرجَ من موضعٍ في دارِه(٣)، وكان مشتهرًا

---

(١) في (ر) زيادة: (بكر).

(٢) في (ض): (فإذا)، وفي (ظ): (وإذا).

(٣) (من موضع في داره) في (ض): (إلى موضع من داره)، وفي(ظ): (إلى موضع من مواضع الدار)، وفي (ر): (من موضع إلى موضع).

بالمصافعة، مكافِئًا[1] بها، هو وجماعةٌ من قُوَّادِ المعتضد أصدقاءُ أَخِلَّاءُ[2]، يستعملونَ ذلك، ويُكافِئُون[3] به.

فقبضتُ على يدِه، وقلتُ له: ما هذا، أيها الأمير؟ ما أُفارِقُكَ، أو تعطيني شيئًا أنتفعُ به عِوضًا عن هذا الفعل.

فدافَعني، وأنا مُتشبِّثٌ به، وسقطَ الكتابُ مِن كُمِّي، فقال: ما هذا؟

قلتُ: كتابٌ كُتِبَ لي عنك إلى فلانٍ؛ لِأخرُجَ إليه، فأتصرَّفَ معه، أو يَبرَّني بشيءٍ.

قال: هو ذا، أَكتبُ لك سُفْتَجةً[4] بالصَّفع، فإنَّه يفتديهِ منكَ بما تنتفعُ به.

واستدعى دواةً، وكتبَ لي بخَطِّه إلى الرجل سُفتَجةً، كما يكتبُ التُّجَّارُ، بثلاث مكتوباتٍ، كنايةً[5] عن الثلاث صفعات.

فأخذتُ الكتابَ، وانصرفتُ مُتعجِّبًا ممَّا جرى عليَّ مِن حُرقتي في أن لم يسمح ليَ العبَّاسُ بشيءٍ مع جُوده، وتحمَّلتُ وخرجتُ إلى البلد الذي فيه

---

(١) (مشتهرًا بالمصافعة مكافئًا) في (ظ، ر): (مشتهرًا بالمصافعة مكاشفًا)، وفي (ل): (مستهترًا بالمصافعة مكاشفًا).

(٢) (أصدقاء أخلاء) في (ض): (أخلاء وهم أصدقاؤه)، وفي (ل): (أجلاء أصدقاء).

(٣) في (ظ، ل): (ويكاشفون)، وفي (ر): (ويظاهرون).

(٤) **السُّفْتَجَة:** تعريبُ «سُفْتَه» بالفارسية، وهي مالٌ يأخذه رجلٌ من رجلٍ بمكانٍ؛ ليضمنَ له أَخْذَها بمكانٍ ثانٍ، ويكتب له في ذلك كتابًا. وفِعْلُه «السَّفْتَجَةُ» بالفتح. ينظر: «غريب ألفاظ المدونة» (ص: ٧٠)، و«التكملة والذيل» (س ف ت ج: ١/ ٤٤٩).

(٥) في (ض): (كتابة).

ذلك الرجل[١]، فأوصلتُ الكتابَ الأوَّل الَّذي كتبَه لي الكاتبُ عن العبَّاس[٢].

فرَدَّني ذلك الأميرُ أقبحَ ردٍّ وآيسني، وقال: قد بُلينا بهؤلاء الشحَّاذينَ[٣]، يجيئونا في كلِّ يومٍ بكُتبٍ لا تساوي مِدادَها، ويقطعونا عن أشغالنا! انصرِفْ، فما لكَ عندي تَصرُّفٌ ولا بِرٌّ.

فورد عليَّ ما لم أرَ مِثلَه وهالَني[٤] وقطعَ بي، وكنتُ قد سافرتُ إليه، وقَطعتُ [ظ/١٩٣] شُقَّةً بعيدةً، فانصرفتُ بأسوأ حالٍ[٥].

وفكَّرتُ ليلتي، فقلتُ: ليس إلَّا العَودُ إليه ومُداراتُه[٦]، فلعلَّه يُعطيني قدرَ نفقةِ الطَّريق، فأتجمَّلُ[٧] بها.

فعُدْتُ إليه، وخاطبتُه بكلِّ ترقيقٍ[٨] وسؤالٍ، وهو يُخشِنُ عليَّ ويُؤيِسُني، إلى أن قال لحاجبه: أَخرِجهُ عنِّي، ولا تَدعْهُ يدخلُ إليَّ.

---

(١) (الذي فيه ذلك الرجل) ليست في (ظ، ل، ر).

(٢) (فأوصلت الكتاب الأول الّذي كتبه لي الكاتب عن العباس) في (ل): (فلما وصلت الكتاب إليه).

(٣) في (ض): (الشحَّاتينَ). وهي من لحن العامة. ينظر: «التكملة فيما يلحن فيه العامة» (ص: ٨٨٠).

(٤) (ما لم أر مثله وهالني) في (ظ، ر): (ما هالني).

(٥) (بأسوأ حال) في (ظ، ل): أسوأ الناس حالًا.

(٦) (ومداراته) في (ظ): (ومداومته).

(٧) في (ل، ر): (فأتحمل).

(٨) في (ظ، ر): (رفق).

فوردَ عليَّ أعظمُ من الأوَّل، وأُخرِجتُ أقبحَ خروجٍ، وأقمتُ أيَّامًا لا أعودُ إليه، ولا أدري ما أصنعُ.

إلى أن أتيتُ إلى بقَّالٍ[1] في المحِلَّةِ التي نزلتُها يُعطيني خُبزًا وأُدمًا بنسيئةٍ، فجلستُ إليه ذاتَ يومٍ وأنا مُتحيِّرٌ، والغَمُّ بَيِّنٌ عليَّ، فسمعتُ قائلًا يقولُ: إنَّ الأميرَ قد جلسَ للمَظالم، جُلوسًا ارتفعَ عنه الحجابُ فيه.

ففكَّرتُ كيفَ أعمَلُ؟ وذكرتُ الكتابَ بالسُّفْتَجةِ، فقلتُ: أَمضي وأجعَلُها نادرةً كالظُّلامة[2]، فإن أعطاني شيئًا، وإلاَّ فضَحتُه بينَ رعيَّتِه، وانصرفتُ. [ص/١٣٣]

فعمدتُ إلى السفتَجةِ التي كتبها لي العبَّاسُ بالصَّفعِ، فأخذتُها، وجِئتُ إلى باب الأمير، فلم أصادف بالبابِ أحدًا يمنعُني، فدخلتُ إليه.

فحين رآني اغتاظَ، وقال لِحاجبه: ألم آمُرْكَ بأن لا يدخلَ هذا إليَّ؟

فقال له: كان الإذنُ عامًّا، ولم نُميِّزْ الناسَ.

فأقبلَ الأمير عليَّ، وقال: ألم أقل لكَ، و[3]أُوَيِسكَ منِّي؟ فما هذه الملازَمةُ، كأنَّ لك عليَّ دَينًا، أو سفْتَجةً؟

فقلتُ: نعم، لي على الأمير - أعزَّه الله[4] - سفتَجَةٌ.

فازدادَ غَيظُه، وقال كالمتعجِّب: سفتَجة، سفتَجة!

---

(١) (إلى أن أتيت إلى بقال) في (ض، ظ): (إلَّا أنَّ بقَّالًا).

(٢) (نادرة كالظلامة) في (ظ): (نادر كالظلامة)، وفي (ل): (ناذرة للمظالم).

(٣) (أقل لك و) ليست في (ل).

(٤) (لي على الأمير أعزه الله) في (ض): (أعز الله الأمير لي عليه).

قلتُ: نعم سفْتَجة، فأخرجتُها من كُمِّي، فدَفعتُها إليه، فلمَّا قرأَها؛ عرفَ الخطَّ والخطابَ، فنكَّسَ رأسَهُ ساعةً خَجِلًا، ثمَّ قال لكاتبٍ كان بين يديه شيئًا لا أَعلَمُه.

فجذبني[1] الكاتبُ، وقال: إنَّ الأميرَ قد ندم[2] ممَّا عاملكَ به، وأمرني بدفع مئة دينارٍ إليك، فقم معي لِتأخُذَها.

فقلت: ما قصدتُ الأمير لِيَبَرَّني، أنا رجلٌ أوصلتُ إليه سفتجةً بمالٍ، فإمَّا قَبِلَها وأعطانيه، فما أريدُ غيرَه، ولا أستزيدُ عليه، ولا أُنقِصُ منه شيئًا، وإمَّا كتبَ لي على السفتجةِ رجعةً، فأخذْتُها، وانصرفْتُ.

فسارَّه الكاتبُ بما قلتُ، وقَوِيَ طمعي فيه[3]، فالتفت إليَّ الكاتبُ، وقال: قد جعلها الأميرُ مئتي دينارٍ، فانهض لِتَأخُذَها.

فقلتُ، لمن تقول هذا؟ ما عِندي غيرُ ما سمعتَ. ولانَ الأميرُ، وتشدَّدتُ، ولم يزل الكاتبُ يتوسَّطُ بيننا، إلى أن بذلَ لي خمس مئة دينارٍ.

فقلت: على شرط أن لا أبرحَ من هذا المجلس حتَّى أَقبِضَها، ويُحضِرَني تاجرًا أُسلِّمُها له[4]، وآخُذَ منه سفتجةً بها إلى بلدي، ويدفعَ لي نفقةً تكفيني إلى أن أعرفَ صِحَّةَ السفتجةِ عند أهلي، ثمَّ أتجمَّل بها[5].

---

(١) (فجذبني الكاتب) في (ض): (فغمزني الكاتب فجئته).

(٢) في (ظ): (تذمَّم).

(٣) (فيه) في (ظ): (في الصنع).

(٤) (ويحضرني تاجرًا أسلمها له) في (ظ): (وأسلمها إلى يد تاجر)، وفي (ل): (وأسلمها إلى تاجر).

(٥) (أتجمل بها) في (ض): (أتحمل بباقيها)، وفي (ظ): (أتحمل بباقي ذلك)، وفي (ل): =

فأُجِبتُ إلى ذلك كلِّه، وأحضرَ التَّاجرَ والمالَ، وأخذتُ منه سفتجةً به، ودفعوا إليَّ خمسينَ دينارًا للنَّفقة، فلمَّا صحَّت السفتجةُ عند أهلي، تحمَّلتُ ببقيَّة النَّفقة إلى بلدي. وحصل لي ذلك المالُ، فجعلتُه بضاعةً في مَتجرٍ، صلحت به حالي إلى الآن، والسلام[1].

= (وأتحمل بما فيها).

(١) (والسلام) ليست في (ظ، ل).

[٧: ٦٢] [المقتدر وحادثة خلع العسكر له]

ذكر أصحابُ التواريخ، ومُصنِّفو الكتب، وأبو الحسن عليُّ بن الفتح الكاتبُ، المعروفُ بالمطوَّق، على ما أخبرني عنه أحمدُ بن يوسفَ بن يعقوبَ التنوخيُّ في كتابه «كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم»، وعمَّا شاهده أحمدُ بن يوسفَ من ذلك، وجماعةٌ حدَّثوني به ممَّن شاهدَ الحالَ؛ منهم: أيُّوب بن العبَّاس بن الحسن(١)، وعليٌّ(٢) والقاسمُ ابنا هشامِ بن عبد الله الكاتب(٣)، وأبو الحسين بنُ عيَّاشٍ الخَرَزي، خليفة أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحُكم بسوق الأهواز، ومن لا أُحصي من شيوخِنا كثرةً، بالسَّبب في خلع المقتدر بالله رحمة الله عليه عن الخلافةِ الخلعَ الثانيَ، بعبارةٍ مختلفةٍ؛ معنى جميعِها:

أنَّ الجيشَ كلَّهُ الفرسانُ والرَّجَّالةُ شغَبوا يطلبونَ الزِّيادات، ويَنبسِطون(٤) في التماس المُحالات(٥)، ومَلُّوا أيَّام المقتدر، وبغوا عليه بأشياءَ(٦).

---

(١) (أيوب بن العباس بن الحسن) في (ض): (أبو بكر بن العباس بن الحسين).

(٢) (بن الحسين وعلي) في (ل): (بن علي).

(٣) هو هشام بن عبد الله، أبو القاسم، المعروف بأبي قيراط، كاتب ابن الفرات، كان إليه ديوان بيت المال، ثم كتب للوزير علي بن عيسى، ثم للوزير ابن مقلة من بعده. ينظر: «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» (ص: ٨٣ - ٣٢٥ - ٣٣٦).

(٤) في (ل): (ويتبسطون)، وفي (ض): (ويبسطون).

(٥) في (ض، ل): (المجالات).

(٦) (وبغوا عليه بأشياء) في (ض): (ونقموا عليه أشياء).

إلى أن أطبقَ الجيشُ بأسرهم على خَلعِ المقتدر بالله، فزحفُوا إلى دارِه، بمواطأةٍ من مُؤنسٍ المظفَّر، فقبضوا عليه، وحملوه إلى دار مُؤنسٍ، في يوم الخميس لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من المحرَّم سنةَ سبعَ عشرةَ[1] وثلاث مئة، فحُبِسَ فيها، وخلعَ نفسه، وأشهدَ عليها بالخلع[2].

وكان رأسَ الفتنة والقيِّمَ بها أبو الهيجاء عبدُ الله بن حمدانَ، ونازوكُ المعتضديُّ، على مساعدةٍ من مُؤنسٍ المظفَّر لهم، وإطباقٍ من جميع الجيش على ذلك، وجاؤوا بأبي منصورٍ محمَّد بن المعتضدِ بالله، فأجلسوهُ في دار الخلافة، وسلَّموا عليه بها، ولقَّبوه بالقاهر بالله، وقُلِّدَ نازوكُ الحجبةَ، مضافًا إلى ما كان إليه من الشرطة، وجعلَه صاحبَ دارِه.

فلمَّا كان يومُ الاثنين لسبعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ منه؛ بكَّرَ النَّاسُ إلى دار الخليفة للبيعة، وجاءت جماعةٌ من الرَّجَّالة إلى فناءِ الدَّار ممَّا يلي شاطئَ دجلةَ، يطالِبون بالسَّعةِ[3] والزِّيادة.

فجاء نازوكُ وأشرفَ عليهم من الرواق، ومعه خادمٌ له[4]، يقال له: عجيب، فقال لهم: ما تريدون؟ هو ذا أعطيكم ثلاثَ نُوَبٍ[5].

---

(١) (سبع عشرة) في (ض): (عشر)، وفي (ظ): (سبع). والصواب المثبت. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ١٢١).

(٢) أما خلع نفسه فقد ذكر الطبري في «تاريخه» امتناع المقتدر عن خلع نفسه. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ١٢٣).

(٣) (بالسعة) في (ض، ظ): (بالبيعة).

(٤) في (ظ) زيادة: (من رؤوس غلمانه)، وفي (ر): (يروس غلمانه).

(٥) (نوب) في (ظ، ر): (نوائب).

فقالوا: لا نأخذُ إلَّا رزقَ سنةٍ وزيادة دينارٍ، وزادوا في القول.

فقال لهم: يصعد إليَّ منكم جماعةٌ، أفهَمُ عنهم وأُكلِّمُهم، فصعد إليه جماعةٌ منهم من باب الخاصَّة، وتسلَّقَ إلى الرواق جماعةٌ كثيرةٌ منهم، وثاروا على غيرِ مُواطأةٍ، ولا رأيٍ مُتقرِّرٍ.

فقال لهم نازوك: اخرجُوا إلى مجلس الإعطاء، حتَّى نُخرِجَ المالَ إلى الكُتَّابِ فيُقبِضوكم.

فقالوا: لا نقبضُ إلَّا هاهنا، وهجموا على التسعينيِّ[1] يَبوقُون[2] ويَشتُمون نازوكَ.

فمضى نازوكُ من بين أيديهم، يريد الممرَّ في الطريق الذي ينفذ إلى دجلة، وقد كان سَدَّ آخرَهُ[3] بالأمس؛ احتياطًا لحفظِ مَن في الدَّار، وتَحرُّزًا من هربهم، فلمّا رآه مسدودًا رجع، فاستقبله جماعة من الرَّجَّالة يطلبونه.

فوثبَ عليه رجلٌ أصفَرُ منهم، فضربَه بكُلَّابٍ، وثنَّاهُ آخَرُ يكونُ في مطبخ أمِّ المقتدر شوَّاءٌ له رِزقٌ في الرَّجَّالة، يقال له: سعيد، ويُلقَّب: ضفدعًا، فقتلوه،

---

(١) (التسعيني) في (ض): (المستعين)، وفي (ل): (يشتمون). **والتسعينيُّ**: اسم صحنٍ في دار الخلافة. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٦١)، و«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (٥/ ٢٧١).

(٢) في (ض): (يغوثون)، وفي (ر): (يعوثون). **يبوقون**: يَتعدَّون، **وباق**: إذا هجم على قوم بغير إذنهم. **وباق**: إذا جاء بالشر والخصومات. ينظر: «تهذيب اللغة» (ب و ق)، و«التكملة والذيل» للصاغاني (٥/ ١٥).

(٣) (آخره) في (ض): (عن أمره).

وقتلوا عجيبًا، وصاحوا: لا نريدُ إلَّا خليفتَنا المقتدرَ، وقتل الخدمُ في الدَّار أبا الهيجاء، وهربَ القاهرُ واختبأَ في بعض الحُجَر عندَ بعضِ الخدم.

وأقبلوا برأس نازوكَ على رُمحٍ، قد خرجَ طرفهُ من وسط الرَّأس إلى دار مُؤنسٍ[1]، وهم يصيحون: مقتدرُ يا منصور.

فطالبوا مُؤنسًا بالمقتدر، فخافَهم على نفسِه، فأخرجَهُ إليهم، والمقتدرُ يستعفي من الخروج، ويُظهِرُ الزُّهدَ في الخلافة، ويظنُّ أنَّ ما يسمعُه حيلةٌ على قتله، إلى أن سمعَ صياحَ النَّاس: «مقتدرُ يا منصور»، وأُعلِمَ بقتلِ نازوكَ وأبي الهيجاء، فسكنَ خوفهُ، وقعدَ في طيَّارِه[2]، وانحدرَ إلى دارِه، والرجَّالةُ يَعْدُونَ على الشطِّ بإزائِه، إلى أن خرجَ من الطيَّارِ، فالتحقوا به، يدعونَ له، ويُقَبِّلونَ يديه ورِجليه، حتَّى دخلَ دارَهُ، وأحضرَ جماعةً من الهاشميِّينَ وغيرِهم، فبايَعوهُ بيعةً ثانيةً.

وظهر ابن مُقلةَ وزيرُه، وكان مستترًا تلكَ الأيَّام، فأقرَّهُ على الوزارة، ودبَّر أمورَه، وزالَ عنه ما كان فيه من المحنة والنكبة. [ص/ ١٣٤]

ولم يُرَ خليفةٌ أُزيلَ عن سريره، وأُخرِجَ عن دار مُلكِه، وأُجلِسَ آخَرُ في موضعه، ولُقِّبَ لقبًا من ألقاب الخلفاء، وسُمِّيَ بأميرِ المؤمنين، وأجمعَ على بيعته أهلُ المملكةِ والجيشُ كلُّه، وعلى خلعِ الأوَّل، ورجعَ إلى أَمرِه ونَهيِه،

---

(١) (إلى دار مؤنس) ليست في (ل).

(٢) **الطيَّار**: نوعٌ من السُّفن. ينظر: «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» (ص: ١٩٧).

وملكه وداره بلا سببٍ مُمَهِّدٍ، ولا مواطأةٍ لِأَحدٍ، ولا مُشاورَةٍ، ولا مُراسَلةٍ، إلَّا ما اتَّفقَ في أمر المقتدِر، وأخيه القاهر(١).

(١) ينظر: «التنبيه والإشراف» للمسعودي (١/ ٣٢٧)، و«تاريخ الطبري» (١١/ ١٢١)، و«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (٥/ ٢٧١).

[٧: ٦٣] [الأمين يُخلع من الحكم ثم يعود]

[ظ/١٩٤] **قال مؤلِّف هذا الكتاب:** وعلى أنَّه قد كان جرى على محمَّدٍ الأمينِ قريبٌ من هذا، لمَّا قبضَ عليه الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان(١)، وخلعَه وحبسَه، وعزم على أن ينفذه إلى المأمون، ثمَّ إنَّ الجيشَ طالبوه بأرزاقهم، فلم يكن معه ما يُعَجِّلُه لهم، فوعدهم، فشغبوا عليه، ولم يرضَوا بالوعد، واستخرجوا الأمينَ من حبسه، فبايعوه ثانيًا، ورَدُّوه إلى الخلافة، وهربَ الحسينُ بن عليٍّ، وزالت عن الأمين تلك الشِّدَّةُ، والقصَّةُ في ذلك مشهورةٌ جدًّا، رواها أصحابُ التواريخ، بما يطولُ اقتصاصُه(٢) هاهنا، إلَّا أنَّه لم يجلس على سريرِه خليفةٌ آخَرُ(٣).

---

(١) هو الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، كان هو وأبوه من قادة الدولة العباسية، كانا في جيش الأمين، قُتِلَ أبوه عليٌّ وهو يقاتل المأمون سنة (١٩٥هـ)، ثم قام الحسين بخلع الأمين سنة (١٩٦هـ)، وحين تمكن الأمين منه عفا عنه، وكلفه بمحاربة المأمون، فهرب، فأدركوه وقتلوه سنة (١٩٦هـ). ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٣٧٥ - ٤١٥ - ٤٢٩ - ٤٣١).

(٢) في (ض): (شرحه).

(٣) في (ظ): (تمَّ الجزء الأوَّل من كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي والحمد لله وحده وصلواته وسلامه على محمَّد خاتم النبيين وعلى الأنبياء أجمعين وعباد الله الصالحين أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين)، **وهنا انتهى الباب السابع في (ف)، وابتدأ بالباب الثامن.**

[٧: ٦٤] [كيف خُلِعَ المقتدرُ الخلعَ الأوَّل]

وقد جرَت على المقتدرِ بالله شِدَّةٌ أخرى، وفُرِّجَت عنه، تُشبِهُ قصَّة الأمين:

لمَّا اجتمعَ جميعُ القُوَّاد والحاشية، على أن قتلوا العبَّاس بن الحسن الوزير، وخلعوا المقتدرَ من الخلافة الخلعَ الأوَّلَ، وبايعوا ابن المعتز، وأحضروه من داره إلى دار سليمانَ بن وهبٍ المرسومة إذ ذاكَ بالوزارة، وجلسَ يأخذُ البيعةَ على القضاة والأشراف والكافَّة، ويُدبِّرُ الأمورَ، ووزيرُه محمَّد بن داودَ بن الجرَّاح يكاتبُ أهلَ الأطراف والعمَّالَ في الأكنافِ بخبر تَقلُّدِهما، وقد تلقَّب بالمنتصف[1] بالله، وخوطبَ بالخلافة، وأمرُه في نهاية القوَّة، وهو عازمٌ على المسيرِ إلى دار الخلافة، لِيجلسَ بها، ويقبضَ على المقتدرِ بالله[2]، إلَّا أنَّه أخَّر ذلك؛ لِتتكامَل البيعةُ، وتَنفُذَ الكتبُ، ويسيرَ من غدٍ.

وكان سوسنٌ[3] -حاجبُ المقتدر بالله والمتولِّي لأمور دارِه والغلمانِ

(١) في (ض): (بالمتصف)، وفي (بالمنتصر)، وكلاهما تصحيف. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٣١)، و«مفيد العلوم ومبيد الهموم» (ص: ٤٧٣)، وهو ما أثبته مُحقِّقُ كتاب «الإنباء في تاريخ الخلفاء» الأستاذ قاسم السامرَّائي (ص: ٢٩٥).

(٢) (ويقبض على المقتدر بالله) في (ل): (أو يقبض على المقتدر)، وفي (ر): (ويقبض على المقتدر).

(٣) هو سوسن الحاجب، عَظُمَ أمره، فحبسه المقتدر حتى مات، وقلد الحجابةَ نصرًا الحاجبَ المعروفَ بالقُشوريّ. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٣٣).

[ر/٩١] الموسومين بحمايتها- ممَّن قد وافقَ(١) ابنَ المعتزِّ، ودخلَ مع القُوَّادِ فيما دخلوا فيه، وشرطَ أن يُقرَّ على ما إليهِ، ويُزادَ شرطةَ بغدادَ.

فلمَّا جلسَ ابنُ المعتزِّ في اليوم الأوَّل(٢) كان المتولِّي لإيصال النَّاس إليه والخادمُ بحضرته فيما يُخدَمُ فيه الحاجبَ فلانًا(٣).

فبلغ سوسنًا ذلك، فشقَّ عليه، وتوهَّمَ أنَّ ذلك غَدرٌ به، ورجوعٌ عمَّا شرطَ ووقفَ عليه، فدعا الخدمَ وغِلمانَ الدَّارِ إلى نُصرةِ المقتدرِ، فأجابوهُ إلى ذلك، وأغلقَ الأبوابَ، وأخذ أُهبةَ الحرب.

وأصبحَ ابنُ المعتزِّ في اليوم الثَّاني من بيعته - وهو يومُ الأحد لتسعٍ(٤) بقينَ من شهر ربيعٍ الأوَّل سنة ستٍّ وتسعينَ ومئتين - عاملًا(٥) على المسيرِ إلى الدَّار، فحضره(٦) محمَّد بن داودَ، وعرَّفهُ رجوعَ رأيِ سوسنٍ، عمَّا كان وافقَ عليه.

وصغَّر القُوَّادُ ذلك في نفسه، فلم يتشاغل بتلافيه، وأشاروا عليه بالركوبِ إلى دارِ الخلافة، وهُم لا يَشُكُّونَ في تمام الأمر، فركبَ وهم معه.

---

(١) (قد وافق) في (ر): (واقف).
(٢) في (ر) زيادة: (جلس له من).
(٣) (الحاجب فلان) في (ر): (أحد الخدم غيره).
(٤) في (ض، ر): (لسبع). والصواب المثبت. ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٣١).
(٥) في (ل): (معولًا).
(٦) في (ض): (قبضه)، وفي (ل): (فرده).

وانقلبت العامَّةُ مع المقتدرِ، ورمَوُا ابنَ المعتزِّ بالآجُرِّ[1]، وحاربوهُ مع شِرذمةٍ من الجُندِ، أنفذهم سوسنٌ لِحَربه ممَّن أطاعَهُ على نصرة المقتدرِ بالله.

ولمَّا شاهدَ ابنُ المعتزِّ القومَ انهزمَ وهرب، فانحلَّ ذلك الأمرُ العظيم، وتفرَّقَ القُوَّادُ، وسارَ بعضُهم خارجًا عن بغدادَ، ورُوسِلَ باقيهم عن المقتدر بالله بالتلافي[2]، فسكنوا، وعادوا إلى طاعته، وطُلِبَ ابنُ المعتزِّ فوُجِدَ، وجيءَ به إلى دار الخلافة، فحُبِسَ فيها، ثمَّ قُتِلَ، وكانت مُدَّتُه، منذ الظهر مِن يوم السبت إلى قريبٍ من الظُّهر من يوم الأحد.

وعاد الأمرُ مستقيمًا للمقتدر بالله، وانفرجَتْ تلكَ الشدَّةُ عن ثبات الملك له.

وقد شرح هذا أصحابُ التواريخ بما لا وجهَ لإعادته هاهنا[3].

---

(١) في (ل): (بالحجارة)، وفي (ر): (بالشتم).

(٢) في (ر): (بالتلاقي).

(٣) ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٣١)، و«الإنباء في تاريخ الخلفاء» (ص: ١٥٣).

[٧: ٦٥] [الفضلُ بن سهلٍ وخدابودُ الفامي]

وذكر عبد الله بن بِشْرٍ قَرابةُ الفضل بن سهلٍ، قال: كان الفضلُ إذا دخل مدينةَ السَّلام لحوائجه - وهو إذ ذاك صغيرُ الحال - نزلَ على فاميٍّ[١] بها، يقال له: خدابود، فيخدمه هو وأهل داره، ويقضي حوائجَه إلى أن يعودَ.

ومضت الأيَّام، وبلغ الفضلُ مع المأمون بخراسانَ ما بلغ، وقُضِي أنَّ الفاميَّ ألحَّ عليه الزمان بنكباتٍ متَّصلةٍ، حتَّى افتقرَ، فنهضَ إلى الفضل بن سهلٍ.

وقَدِمَ من بغدادَ، فبدأ بي[٢]، فسُرِرتُ به وأكرمته، وأصلحتُ من شأنه ما يجب أن يُصلحَ لدخوله على الفضل بن سهلٍ، وقمتُ فدخلتُ إلى الفضل وقد جلس على مائدةٍ، فقلت له: أتذكرُ الشَّيخَ الفاميَّ الذي كنَّا ننزلُ عنده ببغدادَ؟

فقال لي: سبحان الله العظيم! تقولُ لي: تذكره! وله علينا من الحقوق ما قد علمتَ؟ فكيف ذكرتَه[٣]؟ أظنُّ إنسانًا أخبرَك بموته.

فقلت: هو ذا، هو في منزلي.

---

(١) **الفاميُّ**: بائع الفوم، وهو الثوم، وقيل: القمح، وقيلَ: الحمِّص - لغة شامية - ويُطلِقُه العامَّة على البيَّاع عمومًا. ينظر: «الصحاح» (ف و م)، و«المغرب في ترتيب المعرب» (ف و م).

(٢) (من بغداد فبدأ بي) في (ل): (من وقته إلي)، وفي (ر): (من وقته علي).

(٣) (وله علينا من الحقوق ما قد علمت؟ فكيف ذكرته) في (ض): (إنما سبيلك أن تسألني عن اسم زوجته وابنته وأخته وأهله).

فاستطارَ فرحًا، وقال: هاتِه السَّاعةَ. ثمَّ رفع يده، وقال: لا آكلُ، أو يجيء. فقمتُ وجئتُ به.

فحين قربَ منه؛ تطاولَ له، وأجلسَهُ بين يديه فيما بيني وبينَه، وأقبلَ عليه يُسائِلُه، وقال: يا هذا، ما حبسكَ عنَّا طولَ هذه المدَّة؟

فقال: مِحَنٌ عاقَتْني، ونكباتٌ أصابَتْني.

فأقبلَ يسألُه عن واحدةٍ واحدةٍ من بناته وأهله.

فقال له: لم يبقَ لي بعدك ولدٌ ولا أهلٌ ولا مالٌ، ولا تحمَّلتُ إليك إلَّا من قرضٍ ومسألةٍ، فكادَ الفضلُ يبكي.

فلمَّا استتمَّ غداءَه؛ أمرَ له بثيابٍ فاخرةٍ كثيرةٍ، ومركوبٍ، ومالٍ لنفقته، وأن يُدفعَ إليه منزلٌ وأثاثٌ، واعتذرَ إليه، ووعدَهُ النَّظرَ في أمره.

فلمَّا كان من غدٍ؛ حضر عنده وُكلاءُ تُجَّارِ بغدادَ، وكانوا قد قَدِموا عليه، يبتغونَ بيعَ غلَّات السواد منه، وأعطَوهُ عطايا لم يُجِبْ إليها.

فأحضرَني وقال: قد علمتَ ما دارَ بيني وبين هؤلاء القومِ(١)، فاخرُج إليهم، وأَعلِمْهُم أنَّني قد أنفذتُ لهم البيعَ بما التمسوهُ على أن يجعلوا لخدابودَ معهم الرُّبعَ.

ففعلتُ ذلك، وأجابَ التُّجَّارُ إليه، وفَرِحوا بما تسهَّلَ لهم(٢).

---

(١) (القوم) ليست في (ل، ر).

(٢) (وأجاب التجّار إليه، وفرحوا بما تسهل لهم) في (ل): (فأجاب التجار وفرحوا بما سمعوا).

ثمَّ قال لخدابودَ: إنَّهم سيهوِّلون عليك بكثرة المؤن، ويبذلونَ لكَ مئة ألف درهمٍ على أن تخرجَ من الشَّركة، فاحذر أن تفعلَ، ولا تخرُج بأقلَّ من خمسينَ ألفَ دينار.

[ص/١٣٥] ثمَّ قال لي: اخرج معه، وتوسَّط بينَهُ وبينهم. ففعلتُ ذلك، ولم أبرح[1] حتَّى قدَّم التُّجَّارُ لخدابودَ خمسينَ ألفَ دينارٍ، وعرفَ الفضلُ ما جرى، وشكرَه، وأقامَ معنا مُديدةً.

ثمَّ دخلَ إليه يومًا والفضلُ مغمومٌ مفكِّرٌ، فقال له: أيُّها الأمير، ما الذي قد بلغَ بك إلى ما أرى من الفكر والهمِّ؟

قال: أمرٌ لا أحسبُ لك فيه عملًا، يا خدابود[2].

قال: فأخبرني به، فإن كان عندي ما يُفرِّجُه عنك، وإلَّا ففي الشكوى راحةٌ.

فقال له: إنَّ خارجيًّا قد خرجَ علينا من ببعض كور خراسانَ، ونحن على إضاقةٍ من المال، وأكثرُ عسكرنا جُرِّدوا إلى بغدادَ، والخارجيُّ يقوى كلَّ يومٍ، وأنا مُرتبِكٌ في هذا الأمر.

فقال: أيُّها الأميرُ، ما ظننتُ الأمرَ إلَّا أصعبَ من ذلك! وما هذا حتَّى تفكِّرَ فيه؟ أنت قد فتحتَ العراقَ، وقتلتَ المخلوعَ، وأزلتَ مثل تلك الدولة، وتهتمُّ

(١) في (ر): (أقنع).
(٢) (عملًا يا خدابود) في (ر): (أمرًا يا خذابوذ).

بهذا اللصِّ الذي لا مادَّةَ له؟ أَنفِذني إليه أيُّها الأمير، فإن أتيتُكَ به، أو برأسِه، فيكونُ بإقبالِكَ، وهو الذي تريدُ، وإن قُتِلتُ لم يثلم الدولةَ فَقْدي[1]، على أنَّني أعلمُ أنَّ بَخْتَكَ[2] لا يُخطئ في هذا المقدار اليسير.

قال: ففكَّر الفضلُ ساعةً، ثمَّ التفتَ إليَّ، ثمَّ قال[3]: لعلَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يريدُ أن يُعرِّفَنا قدرتَهُ بخدابود[4].

ثمَّ لفَّقَ رجالًا، واحتالَ مالًا، فقوَّدهُ عليهم، وخلع على خدابودَ، وقلَّدهُ حربَ الخارجيِّ، والبلدَ الذي هو فيه.

فسار خدابودُ بالعسكر، فلمَّا شارفَ عسكرَ الخارجيِّ جمعَ وجوهَ عسكره، وقال لهم: إنَّني لستُ من أهل الحرب، وإنَّما أُعوِّلُ على نصر الله تعالى لخليفَتِه، وعلى إقبالِ الأمير، وليس هذا الخارجيُّ من أهل المدد، وإنَّما هو لصٌّ لا شوكةَ له، فاعملوا عملَ واثقٍ بالظفر، ولا تَقْنَعوا بدون الوصولِ إليه، ولكم إن جئتم به، أو برأسه، كذا وكذا.

قال: فحملوا وحقَّقوا، فأجلت الحرب عن الخارجيِّ قتيلًا، واحتزُّوا رأسَهُ.

---

(١) (يثلم الدولة فقدي) في (ض): (تفقد من يثلم الدولة قتله)، وفي (ر): (لم تثلم الدولة فقدي).
(٢) في (ض): (محبك)، وفي (ر): (نجمك).
(٣) (التفت إلي فقال) في (ر): (ثم قال).
(٤) (قدرته بخدابود) في (ل): (بقدرته بحدانود).

فكتبَ خدابودُ إلى الفضل: لستُ ممَّن يحسنُ كُتبَ الفتوحِ، ولا غيرَها[1]، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أظفرنا بالخارجيِّ، وحصل رأسُه معي، وتفرَّقَ أصحابُه، وأنا أستخلفُ على النَّاحية، وأسيرُ بالرأس.

قال: وتلا كتابَ خدابودَ مجيئُه بالرَّأس، فعجِبْنا ممَّا تمَّ له، وعلَتْ حالُه مع الفضل.

(١) (ولا غيرها) في (ر): (إلى غير هذا).

[٧: ٦٦] [زياد ابن أبيه وعبد الرحمن بن أبي ليلى]

ذكر أبو الحسن المدائنيُّ في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدَّة والضيقة»، عن محمَّدِ بن الحجَّاج[١]، عن عبد الملك بن عُميرٍ، قال: كتبَ معاويةُ إلى زيادٍ: إنَّه قد تلجلجَ في صدري شيءٌ من أمر حِجْر بن عَدِيٍّ[٢]، فابعث إليَّ رجلًا من أهل الكوفة[٣] له فضلٌ ودِينٌ وعلمٌ لِأسألَهُ.

فدعا عبدَ الرحمن بنَ أبي ليلى[٤]، فقال له: إنَّ أميرَ المؤمنين كتب إليَّ يأمرُني أن أُوجِّهَ إليه رجلًا من أهلِ البصرة[٥]، له دينٌ وفضلٌ وعلمٌ؛ لِيسألَهُ عن حِجْر بن عَدِيٍّ، فكنتَ عندي ذلك الرجلَ، فإيَّاكَ أن تُقَبِّحَ[٦] له رأيَهُ في قتل حِجْر بن عَدِيٍّ، فأقتُلَك. وأمرَ له بألفي درهمٍ، وكساه حلَّتين، وحملَه على راحلتين.

---

(١) هو محمَّد بن الحجاج الواسطي اللخميُّ، كنيته أبو إبراهيم، كان يُحدِّثُ ببغدادَ، يروي عن عبد الملك بن عمير، روى عنه مَهديُّ بن جعفرٍ ويحيى بن أيُّوب، كان مِمَّنْ يروي الموضوعاتِ عن الأَثبات، لا تَحِلُّ الروايةُ عنه، ولا الاحتجاجُ به، (ت: ١٨١هـ). ينظر: «المجروحين» (٢/ ٣١٢).

(٢) هو حجر بن عديٍّ الأدْبَرِ، أبو عبد الرحمن، من فضلاء الصحابة، شهد القادسية، وشهد مع علي وقعتي الجمل وصفِّين، وسكن الكوفة، (ت: ٥١هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٠٧)، و«الأعلام» (٢/ ١٦٩).

(٣) في (ض): (المصر).

(٤) هو عبد الرحمن بن يسار، أبو عيسى الأنصاريُّ الكوفيُّ، تابعيٌّ جليلٌ، سمع عليَّ بن أبي طالبٍ، وعثمانَ بن عفَّان، وغيرهما، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، حمل راية عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل. (ت: ٨٣هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ١٢٦).

(٥) (من أهل المصر) في (ر): (من أهل البصرة)، وليست في (ل).

(٦) (تقبح) في (ض): (تفتح).

قال عبد الرحمن: فسِرْتُ[1] وما في الأرض خطوةٌ أشدُّ عليَّ من خطوةٍ تُدنيني من معاويةَ.

فقَدِمتُ بابَه، فاستأذنتُه، فأذن لي، فدخلتُ، فسألَني عن سَفري، ومن خلَّفتُ من أهل البصرة[2]، وعن خبر العامَّة والخاصَّة. ثم قال: انطلِق، فضع ثيابَ سفرِكَ، والبس ثيابَ حضَرِكَ، وعُدْ إليَّ.

فانصرفتُ إلى منزلٍ قد أعدَّه لي، فأُنزِلْتُه[3]، ثم رجعتُ إليه، فذكر حِجْرًا، ثمَّ قال: أما والله لقد تلجلجَ في صدري منه شيءٌ، وَدِدتُ أنِّي لم أكن قتلتُه.

قلتُ: وأنا واللهِ يا أميرَ المؤمنين، وَدِدتُ أنَّك لم تكن قتلتَهُ.

فبكى، ثمَّ قال: والله، لوَدِدتُ أنِّي كنت حبستُه.

قلتُ: لوَدِدتُ أنَّك حبستَه.

فقال لي: وَدِدتُ أنِّي كنت فرَّقتُهم في كُوَر الشام، فيكفينيهم الطاعونُ.

فقلت: وَدِدتُ ذلك.

قال: وَدِدتُ أنِّي كنتُ مَننتُ بهم على عشائرهم.

قلت: وَدِدتُ ذلك.

قال لي: كم أعطاكَ زيادٌ؟

---

(١) في (ض): (فسيرني).

(٢) في (ض): (المصر).

(٣) (منزل قد أعده لي فأنزلته) في (ض): (المنزل الذي كان أنزلني فيه)، وفي (ر): (منزلي).

قلتُ: ألفي درهمٍ، وكساني حُلَّتينِ، وحملَني على راحلتين.

قال: فلكَ مثلُ ما أعطاكَ زيادٌ، اخرج إلى بلدِك.

فخرجتُ وما في الأرض شيءٌ أشدُّ عليَّ من أمرٍ يُدنيني من زيادٍ؛ مخافةً منه.

فقلت: آتي اليمنَ. ثمَّ فكَّرتُ، فقلتُ: لا أخفى بها. فأجمعتُ رأيي على أن آتيَ بعضَ عجائز الحيِّ، فأتوارى عندَها، حتَّى[1] يأتيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بفَرجٍ مِن عنده.

قال: وقَدِمتُ الكوفةَ، فمَررتُ بجُهينةَ الظاهرةِ[2] عند طلوعِ الفجر، ومؤذِّنُهم يؤذِّنُ. فقلتُ: لو صلَّيتُ، فنزلتُ، فصِرتُ في المسجد، حتَّى أقام المؤذِّنُ. [ر/٩٢]

فلمَّا قضينا الصلاةَ إذا برجلٍ من مُؤخَّر الصفِّ يقول: هل علمتم ما حدثَ البارحةَ؟

قالوا: وما حدثَ؟

قال: ماتَ الأميرُ زيادٌ.

فما سُرِرتُ بشيءٍ كسُروري بذلك.

---

(١) (آتي بعض عجائز الحي، فأتوارى عندها، حتى) ليست في (ر).

(٢) في (ل): (الطاهرة)، وفي (ض): (الظاهرية). وجُهَينة: عَلَمٌ مُرتَجلٌ في اسمِ أبي قبيلةٍ من قضاعة، وسمي به قريةٌ كبيرةٌ من نواحي الموصِل على دجلة، وهي أوَّل منزل لمن يريد بغداد من الموصل، وعندها مرجٌ يقال له مرجُ جُهَينة. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٩٤).

وأخبرنا بهذا الخبر محمَّد بن الحسن بن المظفَّر، قال: أخبرني أبو عمرَ محمَّدُ بن عبد الواحد، قال: أخبرني[1] عليُّ بن دُبَيسٍ الكاتبُ، عن الخزاعيِّ المدائنيِّ[2].

وقد لقيتُ أبا عُمرَ، وحملتُ عنه شيئًا من علومِه ورواياتِه، وأجازَ لي كلَّ ما صحَّ عندي منها، ودخلَ هذا الخبرُ في جملته[3].

(١) (وأخبرنا بهذا الخبر محمَّد بن الحسن... قال: أخبرني) في (ر): (وقد أخبرني).

(٢) هو الحسن بن قتيبة، الخزاعي المدائني، حدث عن مسعر بن كدام، وعكرمة بن عمار وغيرهما. روى عنه سنيد بن داود، والحسن بن عرفة، وغيرهما. ضعفه الدارقطني. ينظر: «الجامع في الجرح والتعديل» (١/ ١٧٠)، و«تاريخ بغداد» (٨/ ٤١٦).

(٣) (ودخل هذا الخبر في جملته) في (ر): (فدخل هذا في إجازته).

[٧: ٦٧] [رجلٌ خرج يريد خالدًا القسريَّ فأعطاه الحَكَمُ ثلاثةَ آلاف دينارٍ]

وحدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ الورَّاق، في كتاب «نَسب قريش» للزُّبيرِ بنِ بكَّارٍ، **قال:** حدَّثنا أحمدُ بنُ سليمانَ الطُّوسيُّ، **قال:** حدَّثنا الزبيرُ بنُ بكَّارٍ، **قال**[١]: أخبرني عمِّي مصعبُ بن عبد الله[٢]، عن مصعبَ بن عثمانَ[٣]، عن نوفلِ بن عمارةَ[٤]:

أنَّ رجلًا من قريشٍ من بني أميَّةَ له قدرٌ وخطرٌ، لَحِقَهُ دَينٌ، وكان له مالٌ من نخلٍ وزرعٍ، فخافَ أن يُباعَ عليه، فشخصَ من المدينةِ يريدُ الكوفةَ، يقصد خالد بن عبد الله القسري، وكان واليًا لهشامِ بن عبد الملكِ على العراق، وكان يبَرُّ مَن قَدِم عليه من قريشٍ.

---

(١) (حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال) ليست في (ض).

(٢) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، الأسدي، أبو عبد الله، الزبيري المدني، سكن بغداد. روى عن أبيه ومالكٍ، وعنه ابن ماجه حديثًا واحدًا، ومسلم خارج «الصحيح»، وهو ثقة. ينظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٨٥).

(٣) هو مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير بن العوام. ينظر: «نسب قريش» (ص: ١٠٦).

(٤) هو نوفل بن عمارة بن الوليد بن عدي، يروي عن هشام بن عروة والمدنيين روى عنه يعقوب بن محمَّد الزهري. ينظر: «الثقات» (٧/ ٥٤٠).

فخرجَ الرجلُ يريدُه، وأعدَّ له هدايا مِن طُرَفِ المدينةِ، حتَّى قَدِمَ فَيْدَ[1]، فأصبحَ بها. ونظر إلى فُسطاطٍ عندَه جماعةٌ، فسأل عنه، فقيل: للحَكَمِ بنِ المطلب - يعني: أبا عبد الله بنِ المطَّلِبِ بنِ حَنطَبَ بنِ الحارثِ بنِ عبيدِ بنِ عمرَ بن مخزوم[2] - وكان يلي المساعيَ[3]، فلبسَ نَعلَيه، وخرجَ حتَّى دخلَ عليه.

فلما رآه؛ قام إليه فتلقَّاه، وسلَّم عليه وأجلسَه في صدر فِراشِه، ثمَّ سألَه عن مخرَجِه، فأخبرَهُ بدَينِه، وما أرادَ مِن إتيان خالدِ بن عبد الله القسريِّ.

فقال له الحَكَمُ: انطلق بنا إلى منزِلِكَ، فلو قد علمتُ مَقدِمكَ، لَسبقتُكَ [ص/ ١٣٦] إلى إتيانكَ. فمضى معه، حتَّى أتى منزلَه، فرأى الهدايا التي أعدَّ لخالدٍ، فتحدَّثَ معه ساعةً.

ثم قال: إنَّ منزلَنا أحضَرُ عِدَّةً، وأنتَ مسافرٌ، ونحن مقيمون، فأقسمتُ عليكَ إلَّا قُمتَ معي إلى المنزل، وجعلتَ لنا من هذه الهدايا نصيبًا.

فقامَ الرجلُ معَهُ، وقال: خُذْ منها ما أحببْتَ، فأمرَ بها، فحُمِلَتْ كلُّها إلى منزِلِه، وجعلَ الرجلُ يستحي أن يمنعَهُ منها شيئًا، حتَّى صارَ إلى المنزل.

فدعا بالغداء، وأمر بالهدايا، ففُتِحتْ، وأكلَ منها ومن حضرَه، ثمَّ أمرَ بِبقيَّتِها فرُفِعت إلى خزائنه، وقام الناسُ.

---

(١) فَيْد: نِصفُ طَريقِ الحاجِّ من الكوفة إلى مكة. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٢٨٢).

(٢) كان من أجواد قريش من أهل المدينة، قدم منبج وسكنها مرابطًا إلى أن ماتَ بها. ينظر: «تاريخ دمشق» (١٥/ ٣٧).

(٣) في (ر): (المشاعر). **والمساعي**: ولايةُ الصدقات وجَمعُها، وتُسمَّى: السِّعاية. ينظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٨/ ١٦٤).

ثمَّ أقبلَ على الرَّجل، فقال: أنا أولى بكَ من خالدٍ، وأقربُ إليك رحِمًا ومنزلًا، وهاهنا مالٌ للغارمين، وأنتَ أولى الناس به، وليس لأحدٍ عليك فيه مِنَّةٌ إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، فتقضي به دَينكَ. ثمَّ دعا بكيسٍ فيه ثلاثة آلاف دينارٍ، فدفعه إليه، ثم قال: قد قرَّبَ الله عَزَّوَجَلَّ عليكَ الخطوةَ، فانصرِفْ إلى أهلِكَ مُصاحَبًا محفوظًا.

فقام الرجلُ من عنده يدعو له ويشكرُه، فلم يكن له همَّةٌ إلَّا الرجوعُ إلى أهله، وانطلقَ الحَكمُ يُشيِّعُه.

فسارَ معه يسيرًا، ثمَّ قال: كأنِّي بزوجتِكَ وقد قالت لكَ: أينَ طرائفُ العراقِ؟ بَزُّها، وخَزُّها، وعُروضُها؟ ما كان لنا منكَ نصيبٌ؟

ثمَّ أخرجَ صُرَّةً قد كان حملَها معه، فيها خمسُ مئةِ دينارٍ، فقال: أقسمتُ عليكَ، إلَّا جعلتَ هذه عِوضًا من هدايا العراقِ. وانصرفَ.

وذكر أبو الحسَين القاضي، هذا الخبرَ في كتابه: «كتاب الفرج بعد الشِّدَّة» بغير إسنادٍ، على قريبٍ من هذه العبارة(١).

(١) ينظر: «نسب قريش» للزبيري (ص: ٣٣٩)، و«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص: ١٥٠)، و«تاريخ دمشق» (١٥/ ٤٠).

[٧: ٦٨] [جعفرٌ وأخوه عثمانُ ابنا طلحةَ]

وذكر أيضًا في كتابه، بغيرِ إسنادٍ: أنَّ عثمانَ بن طلحةَ[1]، رَكِبَهُ دَينٌ مبلغُه ألفا دينارٍ، فأرادَ الخروجَ إلى العراقِ؛ لمسألةِ السُّلطانِ قضاءَه عنه.

فلمَّا عزمَ على السفرِ؛ اتَّصلَ خبرُه بأخيه جعفرِ بن طلحةَ، فقال: لا باركَ الله في مالٍ بعدَ عثمانَ. فدخلَ على نسائه، فجعلَ يخلعُ حُلِيَّهنَّ، حتَّى جمعَ أكثرَ مِن ألفي دينارٍ، فدفعَها إليه، فقضى دينَه، وأقامَ.

حدَّثنا بهذا الحديثِ أحمدُ بن عبد الله بن أحمدَ الورَّاق، في كتاب «نسب قريش» **للزُّبير بن بكَّارٍ، قال:** حدَّثَنا أحمد بن سليمان الطوسي، **قال** حدَّثنا الزبيرُ، **قال:** حدَّثنا[2] نوفلُ بن ميمونَ[3]، **قال:** حملَ عثمانُ بن طلحةَ بنِ عُمرَ بن عُبَيدِ الله بنِ مَعْمَرٍ التيميِّ دَينًا ألفي دينارٍ. فذكر مثله[4].

---

(١) هو عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيد بن معمر التيمي، كان من أشراف قريش، ولَّاه الخليفة المهديُّ العباسيُّ قضاء المدينة، فلم يأخذ على القضاء رزقًا، وحُمِدت سيرتُه، ثمَّ استعفى، يروي عن محمَّد بن المنكدر وابن أبي ذئب، وعنه: إبراهيم بن المنذر الحزامي، وثَّقهُ ابن حِبَّان. ينظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٧٦)، و«التحفة اللطيفة» (٢/ ٢٤٤).

(٢) (أحمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثنا) ليست في (ض).

(٣) هو نوفل بن ميمون السهمي، كان أخباريًّا، يروي أشعارا عن أبي مالك بن هرمة، وروى عنه: الزبير بن بكار. ينظر: «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١٧٣)، و«بغية الطلب» (٦/ ٢٨٧٠).

(٤) قوله: (حدثنا بهذا... فذكر مثله) ليس في (ر).

[٧: ٦٩] [رفع صوتَه بالتلبية فحُمِلت إليه أربعةُ آلاف دينار]

حدَّثنا أحمدُ بن عبد الله في هذا الكتاب كتابِ «نسب قريش»(١)، **قال:** حدَّثنا أحمدُ بن سليمانَ، **قال:** حدَّثنا الزبيرُ، قال: حدَّثني مُفضَّلُ بن غسَّانَ(٢)، عن أبيهِ(٣)، عن رجلٍ من قريشٍ، قال:

حجَّ محمَّدُ بن المنكدرِ بنِ عبدِ الله بنِ الهُدَيرِ بنِ محرز بن عبد العُزَّى بن عامرِ بنِ الحارثِ بنِ حارثةَ بنِ سعدِ بنِ تَيمِ بنِ مُرَّةَ(٤)، فأعطى حتَّى بقي في إزارٍ، وحجَّ معه أصحابُه.

فلما نزلَ بالرَّوحاءِ؛ أتاه وكيلُه، فقال: ما معنا نفقةٌ، ولا بقي معنا دِرْهمٌ. فرفعَ محمَّدٌ صوتَهُ بالتلبيةِ، فلبَّى أصحابُه.

ثمَّ أتاهُ وكيلُه فقال: ما معنا درهمٌ، فلبَّى ولبَّى أصحابُه.

---

(١) (كتاب نسب قريش) ليست في (ض، ر).

(٢) هو المفضَّل بن غسَّان بن المفضَّل، أبو عبد الرحمن الغَلابي البصري الحافظ الأخباري، مصنف التاريخ، سَكَن بَغداد، وحَدَّث بها، عن أبيه، وعن عبد الله بن داود الخريبي، وغيرهما، وكان ثقة. ينظر: «تاريخ بغداد» (١٥/ ١٥٦)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ١٢٦١).

(٣) هو غسَّان بن المفضَّل، أبو معاوية الغَلابي البصري. سَكَن بَغداد، وحَدَّث بها عن: سفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وغيرهما، (ت: ٢١٩هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٤١٩).

(٤) قوله: (بن عبد الله... بن مرة) في (ر): (من بني تميم بن مرة، فقال: كان معنا).

ثم أتاه ثالثةً وكيلُه وقال: ما معنا نفقةٌ، ولا بقيَ معنا دِرْهمٌ. فلبَّى ولبَّى أصحابُه ولبَّى الناسُ[1]، وبالماء محمَّدُ بن هشامٍ[2]. فقال: والله، إنِّي لأظنُّ محمَّدَ بن المنكدرِ بالماء، فانظُروا.

فنظروا وأتَوهُ، فقالوا: هو بالماء.

فقال: ما أظنُّ معهُ دِرهمًا، احمِلوا إليه أربعةَ آلافِ درهمٍ. فأُتِيَ بها.

وقد ذكر الخبر أبو الحسين القاضي في كتابه بغير إسنادٍ، وجاءَ بالمتن على قريبٍ من هذا[3].

(١) قوله: (ثم أتاه ثالثة... ولبى الناس) ليس في (ض، ل).

(٢) هو محمَّد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ولاه هشام بن عبد الملك إمرة مكة والطائف سنة (١١٤هـ)، فلما وَلِيَ الوليدُ الخلافةَ عزله، وطلبه إلى الشام فجلده، ثم بعثه إلى العراق مع أخيه إبراهيم، فعذَّبَهما أميرُ العراق حتَّى ماتا سنة (١٢٦هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٧٣/ ٢٥٩)، و«الأعلام» (٧/ ١٣١).

(٣) (وقد ذكر الخبر أبو الحسن... على قريب من هذا) ليست في (ر).

[٧: ٧٠] [عمر بن هبيرة يقصد الخليفة طلبًا للعطاء فيرجع بولاية العراق]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه، قال: نالت عمرَ بنَ هُبيرةَ إضاقةٌ شديدةٌ، فأصبحَ ذاتَ يومٍ في نهاية الكسلِ وضيق الصدرِ والضجرِ بما هو فيه، فقال له أهلُه ومَواليه: لو ركبتَ فلقيتَ أميرَ المؤمنين، فلعلَّه إذا رآكَ أن يُجريَ لك شيئًا فيه مِنْحةٌ، أو يسألَك عن حالِكَ، فتُخبِرَه.

فركبَ على كَسَلٍ[1]، ودخلَ على [يزيدَ بنِ][2] عبدِ الملكِ، فوقفَ بين يديه ساعةً، فخاطبَه. ثمَّ نظر [يزيدُ بنُ] عبدِ الملك إلى وجهِ عمرَ بنِ هُبيرةَ، وقد تغيَّر تَغيُّرًا شديدًا أنكرَه، فقال: أتريدُ الخلاءَ؟

قال: لا.

فقال: إنَّ لك لَشأنًا.

قال: يا أميرَ المؤمنينَ، أَجِدُ بين كتفَيَّ أذًى، لا أدري ما هو.

---

(١) (على كسل) ليست في (ض).

(٢) إضافة لا بدَّ منها، وهو الصوابُ؛ لأنَّ يزيد بن عبد الملك هو مَن استعمل عمرَ بنَ هبيرة على العراق. ينظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص: ٣٣٢)، و«المعارف» لابن قتيبة (١/ ٤٠٨)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ١٣١).

قال [يزيدُ بنُ] عبدِ الملك: انظروا ما هو. فنظروا، فإذا بين كتفيه عقربٌ، قد ضربَتهُ عدَّةَ ضرباتٍ.

فلم يبرح حتَّى كتبَ عهدَهُ على العراق، وجعل [يزيدُ بنُ] عبدِ الملك يصفُه بالرُّجْلَة(١) وشِدَّةِ القلب.

(١) **الرُّجْلَةُ**: الرَّجُل بَيِّنُ الرُّجولة. ينظر: «مختار الصحاح» (ر ج ل).

[٧: ٧١] [خالدُ القسريُّ يملك ثوبًا واحدًا ثمَّ يتولَّى العراقَ]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه: أنَّ خالدَ بن عبد الله القسريَّ أضاقَ[١] إضاقةً شديدةً، فبينا هو ذات يوم في منزله، إذ أتاه رسولُ هشام بن عبد الملك يدعوهُ لولاية العراق، فتلوَّم، فاستحثَّه الرسولُ.

فقال له خالدٌ: رُويدًا حتَّى يجفَّ قميصي، وقد كان غسلَه قبلَ موافاةِ الرسول، ولم يكن بقيَ له غيرُه.

فقال له الرسولُ: يا هذا، أَسرِعِ الإجابةَ، فإنَّك تُدعى إلى قُمصانٍ كثيرةٍ.

فجاءَ إلى هشامٍ، فولَّاهُ العراق.

(١) (أضاق) في (ر): (قال: أصابه).

[٧: ٧٢] [يرفع قومًا ويضع آخرين]

ومن الأعجوبات ما ذكرَ(١) القاضي أبو الحسين في كتابه، **عن** عليٍّ بن الهيثمِ(٢)، **قال**: رأيتُ شيئًا قلَّما رُؤي مثلُه؛ رأيتُ ثَقَلَ(٣) الفضلِ بن الربيعِ على ألفِ بعيرٍ، ثمَّ رأيتُ ثَقلَه في زنبيلٍ على كتفِ غلامٍ له(٤)، ونحن مستترونَ، وفيه أدويةٌ لِعلَّتِه، وهو ينقلُه من موضعٍ إلى موضعٍ.

ورأيتُ الحسنَ بن سهلٍ، وكان مع طريفٍ خادمي في بيت الدهليز، وثَقَلُه زنبيلٌ، فيه: نعلان، وقميصان، وإزارٌ، وإسطرلابٌ، وما أشبهَ ذلك. ثمَّ رأيت ثَقلَه على ألف بعيرٍ.

---

(١) (ومن الأعجوبات ما ذكر) في (ض): (وذكر).

(٢) هو عليُّ بن الهيثم الكاتبُ، المعروف بجونقا، كان من الكُتَّاب لَسِنًا فصيحًا شاعرًا، استكتبه الفضلُ بن الربيع، وعلا شأنُه في زمن المأمون. ينظر: «الوافي بالوفيات» (٢٢/ ١٨٣).

(٣) **الثَّقَلُ**: متاعُ المسافر وحشَمُه، وجَمعُه: أثقالٌ. ينظر: «العين» (ث ق ل).

(٤) (على كتف غلام له) ليست في (ر).

[٧: ٧٣] [باع من إضاقته لجامَ دابَّته ثم رُزِقَ عشرين ألفَ دينار]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه، قال: حدَّثنا أبو القاسم ميمون[١] بن موسى، **قال:** خرج رجلٌ من الكُتَّاب[٢] في عسكرِ المعتصم بالله، وهو يريدُ مِصرَ، وقدَّر أن يتصرَّفَ، فلم يحظَ بشيءٍ ممَّا أمَّلَ، حتَّى دخلَ المعتصمُ بالله مِصرَ.

فحدَّثني بعضُ المتصرِّفين عنه، **قال:** نزلتُ في دارٍ بالقُرب منه، فحدَّثني الرجلُ بما كنتُ وقفتُ على بعضه. **قال:** أصبحتُ ذاتَ يومٍ، وقد نفدَتْ نفقتي، وتقطَّعت ثيابي، وأنا من الهمِّ والغمِّ على ما لا يُوصَفُ عِظَمًا.

فقال لي غلامي: يا مولايَ، أيَّ شيءٍ نعملُ اليومَ؟

فقلتُ له: خُذ لِجامَ الفرَسِ وبِعهُ، فإنَّه مُحلًّى، وابتَعْ مكانَهُ لجامًا حديدًا، واشتَرِ لنا خُبزًا سَميدًا[٣] وجَدْيًا سمينًا، فقد قَرِمتُ إلى أكلهما[٤]، وعَجِّل.

---

(١) (ميمون) ليست في (ض).

(٢) في (ض، ل): (المتصرِّفين).

(٣) **السَّمِيد والسَّمِيذُ:** الحُوَّارَى، وهو الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوَدُه وأخلَصُه، وعجين مُحَوَّرٌ: هو الذي مُسِحَ وجهه بالماء حتى صفا. ينظر: «لسان العرب» (ح و ر: ٤/ ٢٢٠)، و«تاج العروس» (س م د: ٨/ ٢١٢) و(س م ذ: ٩/ ٤١٩).

(٤) **قَرِمَ إلى اللَّحم:** اشتهاه. ينظر: «تاج العروس» (ق ر م).

فمضى الغلام، وجلستُ مفكِّرًا في أمري وإملاقي[1]، وكيف أعمَلُ، فإذا ببابِ الدارِ يُدَقُّ دقًّا شديدًا، حتَّى كادَ أن ينكسرَ، وإذا برهجٍ شديد.

فقلتُ لغلامٍ كان واقفًا بين يديَّ: بادِرْ، فانظُرْ، ما هذا؟ [ض/١٣٧]

فإلى أن يفتحَ البابَ كُسِرَ، وامتلأت الدارُ بالغِلمان الأتراكِ وغيرِهم، وإذا بأشناسَ حاجبِ المعتصم، ومحمَّد بن عبد الملك الزيَّات - وهو الوزيرُ - قد دخلا[2]، فطرحتُ لهما زِلِّيَّةً، فجلسا عليها، وإذا معهما حفَّارون.

قال: فلمَّا رأيتُ ذلك؛ بادرتُ فقبَّلتُ أيديَهُما، فسألاني عن خَبري، فخبَّرتُهما إيَّاهُ، وأنِّي خَرجتُ في جملة أهل العسكر؛ طمعًا في التصرُّف، وذكرتُ حالي، وما قد آلَتْ إليهِ، فوعدا جميلًا، والحفارون يحفرون في وسط الدار حتَّى ترجَّلَ النهارُ، وأنا واقفٌ بين أيديهما، وربَّما حدَّثتُهما.

فالتفتَ أشناسُ إلى محمَّد بن عبد الملك الزيَّاتِ[3]، فقال: أنا والله جائعٌ. [ر/٩٣]

فقال له محمَّد: وأنا والله.

فقلتُ عند ذلك: يا سيِّدي، عند خادمِكُما شيءٌ قد اتُّخِذَ له، فإن أَذِنتُما في إحضارِه.

فقالا: هات.

فقدَّمتُ الجَدْيَ، وما كان ابتيعَ لنا، فأكلنا واستوفينا وغسلنا أيدينا.

---

(١) في (ر): (وما ألاقي).

(٢) في (ض): (يومئذ).

(٣) (الزيات) ليست في (ر).

فبينا نحنُ على تلك الحالِ، إذ ارتفعَ تكبيرُ الحفَّارين، وإذا هم قد كشفوا عن عشرينَ مِرْجَلًا[1] دنانيرَ، فوجَّهوا بالبشارةِ إلى المعتصم، وأُخرِجَت المراجلُ.

فلمَّا نهضَا؛ قال أحدُهما للآخَر: فهذا الشَّقيُّ الذي أكلنا طعامَه، وشَرِبنا شرابَه، نَدعُه هكذا؟

فقال له الآخَر: فنعملُ ماذا؟

قال: نَحفِنُ له من كلِّ مرجلٍ حفنةً، لا تُؤثِّرُ فيه، فنكونُ قد أغنيناه، ونَصدقُ أميرَ المؤمنينَ الحديث.

ثمَّ قالا: افتح حِجرَكَ. فجعلَ كلُّ واحدٍ منهما يحفنُ لي حفنةً من كلِّ مرجلٍ، ثمَّ حملا المالَ، وانصرفا.

فنظرتُ، فإذا قد حصلَ لي عشرونَ ألفَ دينارٍ، فانصرفتُ بها إلى العراق، وابتَعتُ بها ضياعًا ولزمتُ منزلي، وتركتُ التصرُّف.

(١) **المِرجَلُ**: قِدْرٌ من النُّحاس. ينظر: «العين» (ر ج ل).

[٧: ٧٤] [أبو قِلابةَ والمرأةُ المستفتية]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال: حدَّثني أبي(١)، عن أبي قِلابةَ المحدِّث(٢)، قال: أضقتُ إضاقةً شديدةً، فأصبحتُ ذاتَ يومٍ والمطرُ يَجيءُ كأفواه القِرَبِ، والصِّبيانُ يتضوَّرون جوعًا، وما عندي ما يقتاتونَ به، وما عندي حَبَّةٌ من الفضَّةِ فما فوقَها، فبقيتُ مُتحيِّرًا، لا أدري ما أصنع.

فخرجتُ وجلستُ في دِهليزي، وفتحتُ بابي، ورجعتُ أُفكِّرُ في أمري، وتكادُ نفسي تَخرجُ غمًّا ممَّا أنا فيه، وليس يسلكُ الطريقَ أحدٌ لِشدَّة المطر.

فإذا بامرأةٍ نبيلةٍ، على حمارٍ فارهٍ، وخادم أسودَ آخذٍ بلجام الحمار، يخوضُ الوحلَ، فلمَّا صارَ بإزائي سلَّم، وقال: أين منزلُ أبي قِلابةَ؟

فقلت له: هذا منزلُه، وأنا هو.

فسألتني المرأةُ عن مسألة بلوى(٣)، فأفتيتُها فيها، فصادفَ ذلك ما أحبَّتْ، فأخرجَتْ لي(٤) مِن خُفِّها خريطةً، فدفعت إليَّ منها ثلاثين دينارًا. ثمَّ قالت: يا أبا

---

(١) هو محمَّد بن يوسف بن يعقوب الأزدي. سبقت ترجمته (١/ ٩٠).

(٢) هو عبد الملك بن محمَّد بن عبد الله الرقاشي الحافظ أبو قلابة العابد، صدوقٌ، كثيرُ الخطأ لكونه حدَّث من حفظه، روى عنه ابن ماجه، (ت: ٢٧٦هـ). ينظر: «الوافي بالوفيات» (١٩/ ١٣٩).

(٣) (بلوى) ليست في (ر).

(٤) (لي) ليست في (ر).

قِلابةَ، سبحانَ خالِقِكَ! لقد تنوَّقَ[1] في حُسنِ[2] وجهِكَ. وانصرفَتْ.

(١) تَنوَّقَ في الأمر: تَأَنَّقَ فيه. ينظر: «الصحاح» (ن و ق).

(٢) (تنوَّق في حسن) في (ل): (سوَّق حُسنَ)، وفي (ر): (تنوَّقَ في قُبحِ).

[٧: ٧٥] [أبو جعفرٍ المنصورُ من الفَقرِ إلى الخِلافة]

وذكر أبو الحسينِ القاضي في كتابه، قال: دخلَ عمرُو بن عبيدٍ[1] على أبي جعفرٍ المنصور قبلَ الخلافةِ[2]، وكان صديقَه، وبين يديهِ طَبَقٌ عليه رغيفٌ، وغَضارةٌ فيها فضلةُ سِكباجٍ، وهو يتغدَّى، وقد كادَ يَفرُغ، فلما بصرَ بعمرٍو؛ قال: يا جاريةُ، زيدينا من هذا السكباجِ، وهاتي خبزًا[3].

قالت: ليس عندنا خبزٌ، ولا بقي من السِّكباجِ شيء.

قال: فارفعي الطبقَ. ثم قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٢٩].

فلما أفضى الأمرُ إلى أبي جعفرٍ، وارتكبَ العظائمَ؛ دخلَ عليه عمرُو بن عبيدٍ، فوعظَهُ، ثمَّ قال: أتذكرُ يومَ دخلتُ عليك؟ - وأعادَ الحديث - وقد استخلفكَ الله، فماذا عملتَ؟

فجعلَ المنصورُ يبكي وينتحبُ، وفيه حديثٌ طويل[4].

---

(١) هو عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان، سكن البصرة، وجالس الحسن البصري، وحفظ عنه، واشتهر بصحبته، ثم صحب واصل بن عطاء، وتكلَّم بالقدَر، قدم بغداد في زمن المنصور، (ت: ١٤٤هـ). ينظر: «الطبقات الكبرى» (٩/ ٢٧٢)، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٨٨).

(٢) (الخلافة) في (ر): (دولة بني العباس).

(٣) (وهاتي خبزا) ليست في (ض، ر).

(٤) ينظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (٤/ ٢٣٤)، و«مرآة الزمان» (١٢/ ١٠٩).

[٧: ٧٦] [أبو عمر القاضي يأتيه الفرجُ بعدَ ضائقة]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال: حدَّثني أبي، **قال:** أضقتُ إضاقةً شديدةً في نكبتي، فأصبحتُ ذاتَ يومٍ وما عندي دِرهَمٌ فما فوقَه، وكان زمانَ الشتاء، والمطرُ يجيءُ قليلًا قليلًا.

فجلستُ ضيِّقَ الصدر، مُفكِّرًا في أمري، إذ جاءني صديقٌ لي، وقال: قد جِئتُ لِأُقيمَ عندَك اليومَ.

فازدادَ ضيقُ صدري، وقلت له: بالرَّحب والسَّعة. وأظهرتُ له السرورَ بمجيئِه.

ودخلتُ إلى النساء، وقلتُ لهنَّ: احتَلْنَ ما ننفقُ في هذا اليوم، على رهنٍ، أو بيع شيءٍ من البيت، فقد طرقَنا ضيفٌ.

وخرجتُ فجلستُ مع الرَّجُل، وأنا على نهايةِ شُغلِ القلبِ؛ خوفًا أن لا يتَّفِقَ قَرضٌ ولا بيعٌ؛ لأجل المطر.

فبينا أنا كذلكَ؛ إذ دخلَ الغلامُ، فقال: خليفةُ أبي الأغرِّ السلميِّ[1] بالباب.

فقلتُ: وأيُّ وقتٍ هذا لِخليفةِ أبي الأغرِّ؟

---

(١) هو خليفةُ بن المبارك، قائدٌ مذكورٌ مشهور، ولَّاه المعتضدُ قتالَ الأعراب بطريق مكَّة فقتلَ منهم جماعةً، قدم بغدادَ سنة (٢٨٧هـ)، ولَّاه المكتفي حلبَ سنة (٢٨٩هـ)، وغزا الرومَ سنة (٢٩٦هـ)، تُوفي سنة (٣٠٣هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٤).

فولى الغلامُ ليَخرُجَ فيصرِفَهُ، فتذمَّمتُ من انصرافِه، وقد تَعنَّى في مثل ذلك الوقت.

فقلتُ: قل له يدخل.

فدخلَ، فحادثَني قليلًا، ثمَّ قَرُبَ منِّي، فأخرجَ صرَّةً فيها مئتا[1] دينارٍ.

فقال: يقولُ لك أخوكَ أبو الأغرِّ: وجَّهتُ إليكَ بهذه الدنانير؛ لِتأمُرَ بصرفِها في هذا اليوم في بعض ما يُصلِحُ حالك.

فامتنعتُ مِن قَبولِها، فلم يزل خليفةُ يَلطفُ بي، حتَّى قَبِلتُها، واتَّسعتُ بها مُدَّةً.

---

(١) (مئتا) في (ل، ر): (مئة).

[٧: ٧٧] [بين أحمدَ بنِ أبي خالدٍ وصالحٍ الأَضْخَم]

حدَّثني أبو القاسم التنوخيُّ في المذاكرةِ بإسنادٍ ذهبَ عن حِفظي، قال: كان أحمدُ بن أبي خالدٍ بغيضًا، قبيحَ التهجُّم، وكان مع ذلك حُرًّا، وكان يلزمه رجلٌ متعطِّلٌ من طُلَّاب التصرُّف، يقالُ له: صالح بن عليٍّ الأضخم[1]، من وجوه الكُتَّاب، فحدَّث، قال:

طالت بي البَطالةُ والعُطلةُ في أيَّام المأمون، والوزيرُ إذ ذاكَ أحمدُ بن أبي خالدٍ، وضاقت حالتي حتَّى خشيتُ التكشُّف. [ض/١٣٨]

فبكَّرتُ يومًا إلى أحمدَ بن أبي خالدٍ مُغَلِّسًا؛ لأُكلِّمَه في أمري، فرأيتُ بابَه قد فُتِح، وخرجَ وبينَ يديه شمعةٌ، يريدُ دار المأمون. فلمَّا نظرَ إليَّ، أنكرَ بُكوري، وعبسَ في وجهي، وقال: في الدُّنيا أحدٌ بكَّرَ هذا البُكورَ لِيَشغلَنا عن أمرِنا؟

فلم تَصبِر نفسي أن قلتُ: ليسَ العجبُ منكَ - أصلحكَ الله - فيما استقبلتَني به، وإنَّما العجبُ منِّي، وقد سَهِرتُ ليلتي، وأَسهرتُ مَن في داري؛ تأميلًا لكَ، وتوقُّعًا للصُّبح لِأصيرَ إليكَ، فأَبُثَّكَ[2] أمري، وأستعينَ بكَ على صلاح حالي، إلَّا أنَّ عَليَّ وعَليَّ - وحلفتُ يمينًا غليظةً - إن وقفتُ ببابكَ، أو سألتُكَ حاجةً، حتَّى تصيرَ إليَّ معتذرًا ممَّا كلَّمتَني به.

---

(١) هو صالح بن علي بن عطية الأضخم، كان من وجوه الكتاب. ينظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ٢٢٦)، و«الوافي بالوفيات» (١٦/ ١٥٤).

(٢) (فأبثك) في (ض): (فأشك)، وفي (ر): (وأبين لك).

وانصرفتُ مغمومًا مكروبًا بما لَقِيَني به، مُتندِّمًا على ما فرط منِّي، غيرَ شاكٍّ في العطب؛ إذ كنتُ لا أقدرُ على الحنث، وكان ابنُ أبي خالدٍ لا يلتفتُ إلى إبرارِ قسَمي.

فإنِّي لَكذلكَ وقد طلعت الشمسُ؛ إذ دخلَ[1] بعضُ غِلماني فقال لي: أحمدُ بن أبي خالدٍ الوزيرُ مُقبِلٌ في الشارع، ثمَّ دخلَ آخَرُ، فقال: قد دخل دربَنا، ثمَّ دخلَ آخرُ، وقالَ: وقفَ على الباب، ثمَّ تبادرَ الغِلمانُ بدُخولِه[2] الدهليزَ، فخرجتُ مُستقبِلًا له.

فلمَّا استقرَّ به المجلسُ من داري، ابتدأتُ[3] أشكرُه على إبرارِه قسَمي، فقال: إنَّ أميرَ المؤمنينَ كان أمرَني بالبكورِ إليه في بعض مَهمَّاتِه، فدخلتُ عليه وقد غلبَني السهوُ لما[4] فرطَ منِّي إليكَ، حتَّى أنكرَ ذلك منِّي، فقصصتُ عليه قصَّتي معك.

فقال: قد أسأتَ إلى الرجل، قُمْ، فامضِ إليه، واعتذِرْ ممَّا فعلتَ.

قلتُ: أمضي إليه فارغَ اليد؟

قال: فتريدُ ماذا؟

قلت: تقضي دَيْنَه.

---

(١) في (ل، ر): (طلع).
(٢) في (ل) زيادة: (إلى).
(٣) (ابتدأت) في (ر): (أقبلت).
(٤) (السهو لما) في (ض): (السوء فيما).

فقال: كم؟

فقلتُ: ثلاث مئة ألف درهم.

فقال: وَقِّعْ له بذلك.

قلتُ: فيرجعُ بعد ذلك إلى الدَّين؟

قال: وقِّع له بثلاثِ مئةِ ألفِ درهمٍ أخرى.

قلت: وولايةٌ تُشرِّفُه بها.

قال: وَلِّه مِصرَ، أو غيرَها، ممَّا يُشبِهُها.

قلتُ: فمعونةٌ على سفره؟

قال: وَقِّع له بمئةِ ألفِ درهمٍ.

وأخرجَ التواقيعَ مِن كُمِّه بالولاية، وبسَبعِ مئةِ ألف درهمٍ، فدفعَها إليَّ، وانصرفَ(١).

وقد ذكر القاضي أبو الحسين هذا الخبرَ في كتابه هكذا.

وذكر محمَّد بن عُبْدُوسٍ في كتابه «كتاب الوزراء» على قريبٍ من هذا.

(١) ينظر: «المستجاد من فعلات الأجواد» (ص: ٥٧)، و«الوافي بالوفيات» (١٦/ ١٥٣).

[٧: ٧٨] [جندي تركي يتأخَّر رزقه ثم يأتيه الفرج]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال: حدَّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن القاسم الخيَّاط[١]، قال:

كان في جيراني، بالجانب الشرقيِّ من مدينة السلام[٢] رجلٌ من الأتراك، له رِزقٌ في الجند، فتأخَّر عليه رِزقُه في أيَّام المكتفي، ووزارة العبَّاس بن الحسَن، فساءت حالُه، ورَثَّتْ هيئتُه، حتَّى لزمَ الجلوسَ عند خبَّازٍ كان بالقُرب منَّا، وكان يستسعِفُه، فيُعطيه في كلِّ يومٍ خمسةَ أرطال خبزٍ، يتقوَّتُها هو وعيالُه. [ر/ ٩٤]

فاجتمعَ عليه للخباز شيءٌ ضاقَ به صَدرُ الخَبَّاز معه أن يعطيَهُ سِواهُ، فمنعَهُ، فخرجَ ذاتَ يومٍ، فجلسَ، وهو عظيمُ الهَمِّ، ثمَّ كشفَ لي حديثَه.

وقال: قد علمتُ أنَّه لا بدَّ لي من مسألة الناس[٣] وقد عزمتُ على مسألةِ كلِّ من يشتري شيئًا من الخبَّازِ[٤] أن يتصدَّقَ عليَّ، فقد حملني الجوعُ على هذا، وكلَّما أردتُ فِعلَه منعَتْني نفسي منه.

فبينا هو معي في الحديث؛ إذ جاءَ رجلٌ بِزيٍّ نقيبٍ، يسألُ عنه، فدُلَّ عليه، فوجدَهُ جالسًا عند الخبَّاز.

---

(١) (أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن القاسم الخيَّاط) في (ر): (إبراهيمُ بن القاسم).

(٢) (مدينة السلام) في (ر): (بغداد).

(٣) (قد علمت أنه لا بد لي من مسألة الناس و) ليست في (ل، ض).

(٤) (من الخباز) ليست في (ض، ل).

فقال له: قم.

قال: إلى أين؟

قال: إلى الديوان، حتَّى تقبضَ رِزقَك، فقد خرجَ لك ولأصحابك رزقُ شهرين.

فمضى معه. فلما كان بعدَ ساعةٍ؛ جاءني، وقد قبضَ مئتين وأربعينَ دينارًا، فرمَّ منزلَه، وأصلحَ حالَه وحالَ عيالِه، وابتاعَ دابَّةً وسلاحًا، وقضى دَينهُ[1]، وخرج مع قائدٍ كان برَسمِه، وحَسُنت حالُه.

---

(١) (وقضى دينه) ليست في (ض، ل).

[٧: ٧٩] [أحمد بن مسروق يأتيه الفرج من جوف بطَّة]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه، عن الحسين بن موسى، أخي إبراهيم بن موسى، قال: خرجتُ إلى فارسَ في أيَّام المعتمد على الله، فمَررتُ بالأهواز، والمتقلِّدُ لخَراجِها أحمدُ بن مسروقٍ[١]، فاجتمعنا وتذاكرنا حديثَ[٢] الغَمِّ والفرج، وما ينالُ الناسَ منهما، ومن المرض والصحَّة.

فحدَّثني: أنَّه كان في ناحية إسحاقَ بن إبراهيمَ[٣]، فلما تُوفِّيَ، وقَدِمَ محمَّدُ بن عبد الله بن طاهرٍ بغدادَ؛ تعطَّلَ وأخفقَ[٤]، حتَّى لم يبقَ له شيءٌ، وحالفَتْهُ أمراضٌ، وكان لا يَصِحُّ له بَدنٌ يومًا واحدًا.

قال: وكان له رفيقٌ، فخرجَ إلى سرَّ من رأى، فعَلِقَ بالفتحِ بن خاقانَ، فحَسُنتْ حالُه.

وكانَ يكتبُ إليَّ في الخروجِ إليه، فمنعَني من ذلكَ عَوَزُ النَّفقة.

فإنِّي لَمغمومٌ، مُفكِّرٌ في الحال التي أنا عليها، إذ دخلَ عليَّ بعضُ نسائِنا، فلامَتْني على طول الهَمِّ والغَمِّ، وقالت: كُنِ اليومَ عِندي، حتَّى أذبحَ لك بطَّةً سُمِّنَتْ لنا، وتجتمعَ مع جواريكَ، فيُغنِّينَ لكَ وتتفرَّجَ[٥].

---

(١) في (ض): (مسرور) وكذا في باقي المواضع.

(٢) (وتذاكرنا حديث) في (ل): (فتذاكرنا أمر).

(٣) هو إسحاقَ بن إبراهيمَ المصعبي الطاهري. سبقت ترجمته (١/ ٢٧٠).

(٤) في (ض): (وأنفق).

(٥) (لك وتتفرج) في (ض): (لك وتنفرج) وفي (ل): (لنا ونتفرج).

فقلتُ: نعم، وجئتُ إلى مَنزِلها، وذبحَتِ البطَّةَ، فإذا هي قد خرجَتْ إليَّ، ومعها حَجَرٌ أحمَرُ، لم تَدرِ ما هو.

فقالت: خرجَ هذا من قانصةِ البَطَّة، فما هو؟

فقلتُ: ما أدري ما هو، ولكن هَبيهِ لي حتى أُرِيَهُ لمن يَعرِفُه[1].

فقالت: خُذْهُ، فرأيتُ شيئًا لم أعرفه، إلَّا أنِّي بعثتُ به إلى صديقٍ لي بباب الطَّاق، وسألتُه بيعَه.

فبعثَ إليَّ أنَّه غسلَهُ بماءٍ حارٍّ، وباعَهُ بمئةٍ وثلاثينَ دينارًا.

فأخذتُ الدنانيرَ، واشتريتُ مركوبًا، وتجهَّزتُ إلى سرَّ مَن رأى، فلزمتُ أبا نوحٍ، وبابَ[2] الفتحِ بن خاقانَ، فنفدَتْ نفقَتي، وجعلَ رفيقي يُقرِضُني ويُنفِقُ عليَّ.

فدعاني الفتحُ بن خاقانَ يومًا، وقد يَئِستُ منه، وإذا بين يديه أبو نوحٍ، فقال: هذا أحمدُ بن مسروقٍ؟

فقال له: نعم.

قال: كيف أنتَ إن أنفذتُكَ في أمرٍ، واصطنعتُكَ فيه؟

قلت: إنِّي كنتُ مع الخراسانيَّةِ كاتبًا، أعرفُ جميعَ الأعمال.

فأدخلَني إلى المتوكِّل، فلمَّا وقفتُ بين يديه، قال: إنَّا نُنفِذُكَ في أمرٍ، وهو مِحنَتُكَ، وبه ارتفاعُكَ أو سقوطُكَ، فانظر كيف تكون.

---

(١) (حتى أريه لمن يعرفه) ليست في (ض، ل).

(٢) (وباب) في (ل): (و).

قال: فوعدتُ الكفايةَ مِن نفسي.

وخرج الفتحُ ومعه عُبَيدُ الله بنُ يَحيى[1]، فوقَّع لي عبيدُ الله بإجراءِ ثلاثةِ آلافِ درهمٍ، مع الشاكريَّة الذينَ يقبضون عشرةَ أشهرٍ من السَّنة، والاستقبال في أوَّل شهرٍ يوضَعُ لهم، ووقَّعَ إلى خازن بيت المال بدَفعِ ثلاثينَ ألفَ دِرْهمٍ معونةً لي.

وكتب كُتبي بالنَّظر في مصالح[2] الأهـوازِ وأشياءَ هناكَ احتيجَ إلى كَشْفِها[3]، فصِرْتُ إليها، وبلغتُ في الأمور ما أُحمَدُ عليه، فصار رَسْمِي أن أقبضَ وأُقلَّدَ أعمالَها، فمَرَّةً المعونةَ، ومرَّةً الخراجَ، ومرَّةً يجتمعان. وزالت تلك العِلَلُ والأمراضُ التي كانت حالفَتْني، لا أعرفُ لذلك سببًا غيرَ الفرج.

فقال الحسين[4] بن موسى، لأحمد بن مسروق: على ذكر وجود الحجر في قانصة البطَّة: أُخبِرُك أنِّي لما صِرتُ في سفرتي هذه إلى الموضعِ المعروفِ بإصطربندَ[5]، رأيتُ بستانًا حسنًا، فيه باقِلَّا وخضرةٌ بعَقبِ مَطرٍ، فاستحسنتُه، فعَدلتُ إليه.

فقال لي: عساهُ البستانُ الذي فيه الصخرةُ التي كأنَّها نابتةٌ؟ [ص/ ١٣٩]

(١) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان. سبقت ترجمته (١/ ٢٧٠).

(٢) في (ل): (نواحي).

(٣) (احتيج إلى كشفها) ليست في (ر).

(٤) في (ض): (الحسن).

(٥) **إصطربند:** قرية بين السيب ودير العاقول من النهروان الأوسط. ينظر: «وفيات الأعيان» (٦/ ٤١٤)، و«قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» (٢/ ٦٠٧).

قلت: هو، هو.

قال: هَبهُ.

قلت[1]: فتغدَّينا، وكنتُ مستندًا إلى الصخرة، فلمَّا نهضتُ رأيتُ في وسط الصخرة نقرةً قد اجتمعَ فيها من ماء المطر، وهو في نهاية الصفاء.

فوضعتُ فمي لِأشربَه، فتحرَّكَ فيها شيءٌ، فنحَّيتُ فمي عنها، وتأمَّلته، فبدت لي خرقةٌ، فجذبتها، فإذا هي صُرَّةٌ.

فقال: أحمدُ بن مسروق: صُرَّتي والله، كان فيها ثلاثُ مئة دينارٍ.

قلتُ: نعم، فمن أينَ صارت لك؟

قال: مررتُ بهذا الموضع، في آخر خرجةٍ خَرجتُها إلى الأهواز، فمِلتُ إلى الموضع، كما مِلتَ، وكانت هذه الصُّرَّةُ في يدي، فوضعتها في الحَجر، وأُنسيتها، ورَكِبتُ، ثمَّ طلبتُها، فلم أَجدها، ولا عَلِمتُ أين وضعتُها إلى السَّاعة، فذكرتُها بحديثك.

قلت: فالدنانيرُ مع غلامي.

قال: خذها، بارك الله تعالى لك فيها.

---

(١) (قلت) في (ض): (لي).

[٧: ٨٠] [دِرْهَمٌ بمئةٍ وعشرينَ ألفَ درهم]

وذكر القاضي أبو الحسين، في كتابه بإسنادٍ، قال: حدَّث محمَّد بن إبراهيمَ بن عمرَ البَرقيُّ، قال: حدَّثنا العبَّاسُ بن محمَّدٍ البرقيُّ، قال: حدَّثنا أبو يزيدٍ[١]، قال: حدَّثنا الفُضَيلُ بن عِياضٍ، قال: حدَّثني رجلٌ: أنَّ رجلًا خرجَ بغَزْلٍ، فباعه بدِرْهمٍ؛ لِيشتريَ به دقيقًا، فمرَّ على رَجُلين، كلُّ واحدٍ منهما آخِذٌ برأس صاحبِه.

فقال: ما هذان؟

فقيل: يختصمان في دِرْهـــمٍ[٢]. فأعطاهما ذلك الدِّرْهَمَ، وليس له شيءٌ[٣] غيرُه.

فجاء إلى امرأته، فأخبرها، فجمعَتْ له شيئًا من البيت، فذهبَ يبيعُه، فكسدَ عليه، فمرَّ على رجلٍ معه سَمكةٌ قد أروحَتْ.

فقال: إنَّ معكَ شيئًا قد كسدَ، ومعي شيءٌ قد كسدَ، فهل لك أن تبيعَني هذا بهذا؟

فباعهُ[٤]. وجاء الرجلُ بالسَّمكةِ إلى البيتِ[٥]، فقامت المرأةُ تُصلِحُها، فإذا بلُؤلؤةٍ في جَوفِها.

---

(١) هو الفيضُ بن إسحاقَ، أبو يزيدٍ الرَّقِّيُّ، وقد سبقت ترجمته (١/ ٣٠٢).

(٢) (هذان؟ فقيل: يختصمان في درهم) في (ر): (هذا؟ قيل له: يصطخبان).

(٣) (له شيء) في (ل): (يملك)، وفي (ر): (له ولامرأته).

(٤) في (ر): (فبايعه).

(٥) في (ض): (المرأة).

فقالت المرأةُ: أتعرفُ قَدْرَ هذه اللؤلؤة؟

قال: لا، ولكن أعرفُ مَن يعرفُه.

فانطلقَ بها إلى أصحاب اللؤلؤ؛ إلى صديقٍ له، فقال له: بِعْها لي.

فقال: لك بها عليَّ[(١)] أربعونَ ألفَ درهمٍ إن شئتَ، وإلَّا[(٢)] فاذهب بها إلى فلانٍ، فهو أثمن لكَ بها[(٣)] منِّي.

فذهبَ بها إليه، فقال له: لك بها مئةٌ وعشرون ألفًا، لا أرى أحدًا يَزيدُكَ.

قال: فحملَ اثنتي عشرةَ بَدْرةً، في كلِّ بَدْرةٍ عشَرةُ آلاف درهمٍ، فذهبَ بها إلى مَنزِله؛ لِيضعَها[(٤)] فيه، فإذا رجلٌ فقيرٌ بالبابِ يسأل.

فقال: هذه قصَّتي التي عليها[(٥)]، ادخل.

فدخلَ الرجل[(٦)].

فقال له: خذ نصفَ هذا المال، فأخذَ الرجلُ سِتَّ بِدَرٍ، فحملَها، ثمَّ مضى غيرَ بعيدٍ، ثم رجعَ إليه.

---

(١) (لك بها علي) في (ر): (عليَّ بها).

(٢) (إن شئت وإلا) في (ض، ل): (فإن شئت).

(٣) (بها) ليست في (ض، ل).

(٤) في (ر): (ليضعه).

(٥) في (ض): (فيها).

(٦) في (ر): (الفقير).

فقال: ما أنا بمسكينٍ ولا فقيرٍ، وإنَّما أرسلَني إليك ربُّكَ تعالى الذي أعطاكَ بالدرهم عشرين قيراطًا، وذخرَ لك تسعةَ عشرَ قيراطًا[1].

---

(١) ينظر: «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» للزمخشري (٢/ ٢٩١)، و«البر والصلة» لابن الجوزي (ص: ٢٥٧).

[٧: ٨١] [(١) يحيى البرمكيُّ وسَعيُ يعقوبَ بنِ داودَ لِفَكِّ كُرْبتِهِ]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال: يُروى أنَّ خالدَ بن برمكَ(١) قال لابنه يحيى في إضاقةٍ نالته: قد ترى ما نحن فيه! فلو لقيتَ يعقوبَ بن داودَ، فأخبرتَه خبرَنا(٢).

فأتى يحيى يعقوبَ بن داود، فذكرَ له ذلك، فسكتَ عنه، فانصرفَ يحيى بنُ خالدٍ، وهو مكروبٌ آيسٌ مِن خيره.

فأخبرَ أباه(٣). فقال: افتُضِحْنا، فيا ليتَ أنَّا لم نكن كشفنا له خبرَنا.

قال: وركبَ مِن غدٍ يحيى بنُ خالدٍ، فلَقِيهُ بعضُ إخوانِه، فقال له: ما زالَ يعقوبُ بن داودَ أمسِ يطلبكَ طلبًا شديدًا. فمضى يحيى إليه.

فقال له يعقوب: أين كنت؟ فإنَّك أوردتَ على قلبي ما شغلَهُ عن ردِّ الجوابِ بالفِكر في إصلاحِه، وقد عنَّ لي أمرٌ أرجو به صلاحَ حالِكَ، امضِ بنا إلى الديوانِ. فصارَ معه إليه.

---

(١) هو خالد بن برمك بن جاماس، أبو البرامكة، وأول من تمكَّن منهم في دولة بني العباس، استعمله أبو العباس على ديوان الخراج والجند، وولَّاه المنصور بلاد فارس، ثم عزله، ثم أعاده المهدي، (ت: ١٦٣هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٢٨)، و«الأعلام» (٢/ ٢٩٥).

(٢) (فأخبرته خبرنا) في (ر): (وشكوت إليه ما نحن فيه).

(٣) في (ل) زيادة: (الخبر).

فقال يعقوبُ: عَليَّ بتُجَّار السواد. فأُحضِروا.

فقال: أشركوا أبا عليٍّ معكم بالثُّلث فيما تبتاعونه[1] مِن غلَّات السُّلطان. ففعلوا.

ثم قال: لعلَّ ذلك يشقُّ عليكم؟

قالوا: أجل.

قال: فأَخرجوهُ من شركتكم[2] بربحٍ تُعجِّلونَه له.

فأخرجوهُ برِبْحِ ستِّينَ ألفَ دينارٍ، فقبضَها ومضى بها إلى أبيهِ، وصَلَحت حالُه وحالُ أبيه.

---

(١) في (ض): (ابتعتموه).

(٢) (فأخرجوه من شركتكم) في (ض، ر): (أخرجوه).

[٧: ٨٢] [(٢) مَن يفعلُ الخير لا يعدمُ جوازيه]

وذكر محمَّد بن عُبْدُوسٍ في كتابه «كتاب الوزراء» هذا الخبرَ بخلاف هذا، فقال:

حكى يحيى بنُ خاقانَ، قال: كنتُ يومًا عند يحيى بن خالدٍ، وبحضرتِه ابنهُ الفضلُ، إذ دخلَ عليه أحمدُ بن يزيدَ، المعروفُ بابن(١) أبي خالدٍ، فسلَّمَ وخرجَ.

فقال يحيى للفضل: عندي في أمرِ هذا الرجلِ خبرٌ، فإذا فرغنا من شغلنا فأذكرني به، لأُعرِّفَكه، فلمَّا فرغَ من عَملِه أذكرَهُ.

فقال: نعم، كانت العطلةُ قد بلغَتْ منِّي ومن أبي، وتوالت المحنُ علينا، حتَّى لم نهتَدِ إلى ما نُنفِقُه. فلبستُ يومًا ثيابي لأركبَ، فقال لي أهلي: إنَّ هؤلاءِ [ر/٩٥] الصبيانَ باتوا البارحةَ(٢) بأسوأ حالٍ، وإنِّي ما زلتُ أُعلِّلُهم بما لا علالةَ فيه، وما أصبحتُ و لهم شيءٌ، ولا لدابَّتِكَ عَلفٌ.

فقرعَتْ قلبي، وقطَعتْني عن الحركة، ورميت بذهني(٣)، فلم يقع إلَّا على منديلٍ طبريٍّ، كان بعضُ البزَّازينَ قد أهداه إليَّ. فقلتُ: ما فعلَ المنديلُ الطبريُّ؟

فقالت: ها هو.

---

(١) (بن) ليست في (ر).

(٢) في (ل) زيادة: (جياعا).

(٣) في (ر): (بوهمي).

فأخرجتُه إلى الغلام، وقلتُ: اخرج إلى الشارعِ فَبع المنديلَ.

فمضى، وعادَ من ساعته، وقال: خرجتُ إلى البقَّال الذي يُعامِلُنا، وعنده رجلٌ، فأعطاني بالمنديل اثني[1] عشرَ درهمًا صِحاحًا، وقد بعته بشرطٍ، فإن أمضيت البيع، وإلَّا أخرجتُ المنديلَ إلى سوقِ قنطرةِ البَرَدان، فاستقصيتُ عليه.

فأمرتُه بإمضاء البيع؛ للحالِ التي خبَّرتني بها المرأة، وأن يشتريَ ما يحتاجُ إليه الصِّبيانُ، وعلفًا للدَّابَّة، ورَكِبتُ، لا أدري إلى أينَ أقصِدُ.

فأنا في الشارع، وإذا نحن بأبي خالدٍ أبو[2] هذا، ومعه موكبٌ عظيمٌ ضخمٌ، وهو يومئذٍ يكتبُ لأبي عبيد الله، كاتب المهدي، فمِلتُ إليه، ورمَيتُ نفسي عليه.

وقلت له: قد تناهت العطلةُ بأخيكَ وبي إلى ما لا نهايةَ وراءَه، وعليَّ وعليَّ إن لم تكن قصَّتي في يومي هذا كيتَ وكيتَ، وقصصتُ عليه الخبرَ، وهو مستمعٌ إليَّ، وماضٍ في سَيرِه، فلمَّا بلغ مقصدَه؛ انصرفتُ عنه، ولم يقل لي حرفًا.

فانصرفتُ منكسفَ البال، مُنكِرًا على نفسي إسرافي في الشَّكوى، وإطلاعي إيَّاه على ما أطلعتُه عليه، وقلتُ: ما زِدتُ على أن فضحتُ نفسي، وقلَّلتُها في عينِه من غير نفعٍ.

ووافيتُ منزلي على حالٍ أنكرَتْها أهلي، فسألتني. فقلت: جَنيتُ اليومَ على نفسي جنايةً كنت عنها غنيًّا، وقصصتُ عليها قِصَّتي مع يزيدَ.

---

(١) (فأعطاني بالمنديل اثني) في (ل): (أعطاني ثمن المنديل اثنا).

(٢) (نحن بأبي خالد أبو) في (ض): (بأبي)، وفي (ل): (نحن بأبي).

فأقبلَتْ توبِّخُني، وقالت: ما حملكَ على أن أظهرتَ للرَّجل حالك؟ فإنَّ أقلَّ ما في ذلك أن لا يأتمنكَ على أمرٍ، فإنَّ مَن تناهت به الحالُ إلى مثل ما ذكرتَ[1] كان غيرَ مُؤتمَنٍ على ما يتصرَّفُ فيه[2]. فنالني مِن توبيخها أضعافُ ما نالني أوَّلًا.

[ص/١٤٠] وأصبحنا في اليوم الثاني، فوجَّهتُ بأحد ثوبيَّ، فبيعَ، وتبلَّغنا به يومَنا واليومَ الثالث.

فلمَّا كان اليومُ الرابع ضاقَتْ نفسي، وغلبتني الفِكرةُ[3].

فقالت لي أهلي: أنا خائفةٌ عليكَ من الوسواس، فيكون ما نحتاجُ إليه لعلاجِكَ أضعافَ ما نحتاجُ إليه لمُؤنَتِنا، فسَهِّل الأمرَ عليكَ، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ الصانعُ.

فرَكِبتُ لا أدري أينَ أقصدُ، فلمَّا صِرتُ إلى قنطرةِ البَرَدان؛ لَقِيَني رسولُ أبي خالدٍ يَطلُبني، فدخلتُ دارَه، فقال لي حاجِبُه: اجلس. فجلستُ، وخرجَ مع الزوالِ، فدَنوتُ منه.

فقال: يا ابنَ أخي، شكوتَ إليَّ بالأمسِ[4] شكوى، لم يكن في جوابِها إلَّا الفعلُ. وأمرَ بإحضار حميدٍ وداهرٍ؛ تاجران كانا يبيعانِ[5] الطعام.

---

(١) (ما ذكرت) في (ل): (هذا)، وفي (ر): (ذلك).

(٢) (على ما يتصرف فيه) ليست في (ر).

(٣) (وغلبتني الفكرة) في (ل): (وغلبني الفكر).

(٤) (بالأمس) ليست في (ر).

(٥) في (ر): (يبتاعان).

فقال لهما: قد علمتما أنِّي إنَّما بِعتُكما البارحةَ ثلاثينَ ألفَ كرٍّ، على أنَّ ابن أخي هذا شريكُكما فيها بالسِّعر.

ثمَّ قال لي: لكَ في هذه عشرة آلاف كرٍّ[1]، فإن دفعا إليك ثلاثينَ[2] ألفَ دينارٍ رِبحَك، وآثرتَ أن تَخرُجَ لهما من حِصَّتِكَ؛ فعلتَ، وإن أردتَ أن تُقيمَ على الشركة[3]؛ فعلتَ.

فتنحَّينا ناحيةً، فقال لي التاجران: أنتَ رجلٌ شريفٌ، وابنُ شريفٍ، وليست التجارةُ من شأنِكَ، ومتى أقمتَ على هذا الابتياعِ؛ احتجْتَ إلى كَفايةٍ[4] وأعوانٍ، ولكن خذْ منَّا ثلاثينَ ألفَ دينارٍ، وخَلِّنا والطعامَ[5].

فقلت: قد فعلتُ، وقُمتُ إلى أبي خالدٍ، فقلتُ له: قد أجبتُهما إلى أخذِ المالِ، وتركتُهما والطعامَ.

فقال: هذا أروَحُ لكَ، فخذ المالَ، وتبلَّغْ به، والزمنا، فإنَّا لا نقصِّرُ في أمرِكَ بكلِّ ما يمكننا.

فأخذتُ من الرجلين ثلاثينَ[6] ألفَ دينارٍ، وما بين ذلك وبيعِ المنديل والثوب إلَّا أربعةُ أيام.

---

(١) في (ر) زيادة: (بالسعر).

(٢) في (ر): (خمسين).

(٣) في (ض): (ابتياعك).

(٤) في (ض): (كفلة).

(٥) في (ل): (والغلة).

(٦) (ثلاثين) في (ر): (خمسين).

فصِرتُ إلى أبي، وخبَّرتُه الخبر، وقلتُ له: جعلَني الله فداكَ، تأمرُ في المال بأمرك؟

قال: نعم، أحكمُ عليكَ فيه بمثلِ ما حكمَ أبو خالدٍ على التاجرين؛ أرى أنَّ الثُّلثَ لي.

فحملتُ إليه عشرةَ آلافِ دينارٍ، واشتريتُ بعشرةِ آلاف دينارٍ ضَيْعةً[1]، ولم أَزَلْ أُنفقُ الباقيَ إلى أن أدَّى بي الحالُ إلى هذه الغايةِ، وإنَّما حدَّثتُكَ بذلك يا بُنيَّ؛ لِتعرفَ للرَّجلِ حقَّه.

فقلتُ ليحيى بن خاقان: فما كان من يحيى بن خالد إلى أحمد بن أبي خالد؟

قال: ما زالَ هو ووَلدُه على نهاية البرِّ به، حتَّى نالَ ما نالَ من الوزارة بذلك الأساس الذي أسَّسه[2].

(١) في (ض): (عقدة).
(٢) في (ر): (أسَّسوه).

[٧: ٨٣] (٣) وهذه الحكايةُ على وجهٍ آخرَ[(١)]

قُرِئ على أبي بكرٍ الصوليِّ بالبصرة سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ، وأنا حاضرٌ في كتابه: «كتاب الوزراء»: حدَّثكم عونُ بن محمَّدٍ الكِنديُّ، **قال**: حدَّثني[(٢)] إبراهيمُ بنُ الحسنِ بنِ سهلٍ، **قال**: سمعتُ أهلي يتحدَّثون عن يحيى بن خالدِ بن برمكَ أنَّه **قال**:

نالتني قِلَّةٌ في أيَّام المهديِّ، فجِئتُ إلى يزيدَ الأحولِ أبي خالدٍ، وكان يكتبُ لأبي عبيد[(٣)] الله، فأنبأتُه حالي، فما أجابَني، ولا أقبلَ عليَّ، فتأخَّرتُ نادِمًا، ثمَّ جاءني رسولُه من الغد، فصِرتُ إليه.

فقال لي: إنَّك شكوتَ إليَّ شكوى لم يكن جوابُها الكلامَ والتوجُّعَ، وقد بِعتُ جماعةً من التجَّار من غَلَّات[(٤)] السواد ثلاثينَ ألفَ كُرٍّ، واشترطتُ عليهم لك رُبع الرِّبح، فخذ كتابي إليهم، فإن أحببتَ أن تصبرَ إلى أن تُباعَ الغلَّةُ لَتَوَفَّرَ رِبحُكَ، وإن ناظرتَ التجَّارَ وخرجتَ من حِصَّتك بربحٍ عاجلٍ؛ فأقلُّ ما يبذلون لك ثلاثين ألفَ دينارٍ. فدعوتُ له، وأخذتُ الكِتابَ.

---

(١) (وهذه الحكاية على وجه آخر) ليست في (ض، ل).

(٢) (قال حدثني) في (ل، ر): (عن).

(٣) في (ض): (عبد).

(٤) (التجار من غلات) في (ض، ل): (طعام).

ولقِيتُ القومَ، فقالوا لي: أنتَ رجلٌ سُلطانيٌّ[1]، ولا يتهيَّأُ لك ما نفعلُه نحن من الصَّبر على الغَلَّةِ، وانتظارِ الأسعارِ، فهل لك أن تَخرُجَ من الشركةِ بربح ثلاثينَ ألفَ دينارٍ مُعجلَّةً؟

قلتُ: نعم. فقبضتُها في يومٍ واحدٍ، وانصرفتُ.

(١) في (ر): (سلطان).

[٧: ٨٤] [(٤) روايةُ أخرى لقصَّةِ يحيى البرمكي](١)

وذكر محمَّد بن عُبدوسٍ في كتابه: «كتاب الوزراء» في أخبار أحمدَ بن أبي خالدٍ، قال: كان سببُ اتِّصالِه بالمأمون: أنَّ الرشيدَ لما سخطَ على البرامكة، واتَّصلَ خبرُهم وما هم فيه من الضِّيق بأحمدَ بن أبي خالدٍ؛ شخصَ من الرقَّة، فوردَ وقد أمرَ الرشيدُ بمنع حواشيهم من الدخولِ عليهم.

فلم يزل يحتالُ حتَّى وصلَ إلى يحيى، فانتسبَ له، وعرَّفَه أنَّه قصدَ خدمتَه، فرحَّبَ به يحيى، وأعلمه أنَّه كان يحبُّ أن يكون قصدَه في وقتِ إمكانِ الأمور، لِيبلُغَ من مكافأتِه وحُسنِ ظنِّه.

فشكرَهُ أحمدُ، وسألَه قَبولَ شيءٍ حملَه معَه، وإن كان يسيرًا، وضرعَ إليه، فدفعَهُ يحيى عنه، وقال: نحنُ في كفايةٍ.

فألحَّ عليه، وأعلمَه أنَّه لا يثقُ بقَبول انقطاعِه إليه إلَّا بإجابته إلى ما سأل، فسألَه يحيى عن مقدار ذلك، فقال: عشرةُ آلاف درهمٍ.

فقال: ادفعها إلى السجَّان.

وقال لأحمدَ: إن حالَنا حالٌ لا نرجو معها بلوغَ مكافأتِكَ، ولكن سأكتبُ لك كتابًا إلى رجلٍ سيقومُ بأمر الخليفة الذي يملكُ خراسانَ، فأَوصِل إليه كتابي، فإنَّه سيقومُ بقضاءِ حَقِّكَ.

---

(١) هذه الرواية ليست في (ر).

ثمَّ كتب له في قُريطيسٍ أَحرُفًا يسيرةً، وطواهُ، ووضعَ عليه خاتمَهُ، فانصرفَ أحمدُ إلى منزلِه.

فلمَّا قُلِّدَ الفضلُ بن سهلٍ أمورَ المأمونِ؛ قصدَه أحمدُ بن أبي خالدٍ، فوصلَ إلى الفضلِ في دار المأمون.

فلمَّا فرغَ من أعماله؛ أوصلَ إليه الكتابَ، فأنكرَ وجهَهُ، وسألَ عن صاحب الكتاب، فقال: يَقرؤه الأميرُ أعزَّه الله تعالى، فإنَّه سيعرِفُه.

فلمَّا فضَّهُ، ونظرَ إلى الخطِّ؛ استبشرَ، ثمَّ استدنى أحمدَ بن أبي خالدٍ، وأعلمَه أنَّه مِن أعظم خلقِ الله مِنَّةً عليه، وأوجَبِهم حقًّا، وأمرَهُ بالمصير إلى منزله.

فصارَ أحمدُ بن أبي خالدٍ إلى دار الفضل بن سهلٍ، فلمَّا وصلَ إليه؛ عانقَهُ وقبَّلَهُ، وقال: أوجبتَ -والله- عليَّ حقًّا.

وسألَهُ عن خبر الكِتاب، فذكرَه له، فوعدَه ببلوغ مَحابِّه، وأنزلَه منزلًا اتُّخِذَ له، وفُرِشَ بما يحتاجُ إليه، ووجَّه إليه بحاجبِه، وبعضِ خدمِه، ومعهم تخوتُ ثيابٍ، وخمسونَ ألفَ درهمٍ، واعتذرَ إليه، وأمرَهُ بالاستعدادِ للوصول إلى المأمونِ، ثمَّ أوصلَهُ إليه، ووصفَهُ له.

ولم يزل يقومُ بحاله عندَه، حتَّى أمرَ المأمونُ بإكرامِ أحمدَ بن أبي خالدٍ، وأجرى له الأرزاقَ والأموالَ، وأجراهُ في الوصول إليه مجرى الخاصَّة، وقلَّدهُ من أعمال خراسانَ وما وراءَ النهر أعمالًا جليلةً، وتمكَّنت حالُه عندَه.

[٧: ٨٥] [(٥) رواية أخرى لقصَّةِ يحيى البرمكي][1]

قال محمَّد بن عُبْدوسٍ: وحدَّثني عليُّ بن أبي عونٍ، قال: حدَّثني أبو العبَّاس بنُ الفرات، قال: حدَّثني عليُّ بن الحسين، قال: حدَّثني محمَّدُ بن عمرَ الجرجانيُّ الكاتبُ: وذكر من أمر أحمدَ بن أبي خالدٍ ويحيى بن خالدٍ مثلَ الذي ذكرَه يحيى بنُ خاقانَ، وزادَ فيه:

إنَّ أحمدَ بنَ أبي خالدٍ لم يَحْظَ من أيَّام يحيى بن خالدٍ بشيءٍ، فإنَّه لَزِمَهُ عند حَبسِه. فلمَّا حضرتهُ الوفاةُ زوَّدهُ كتابًا إلى الفضل بن سهلٍ يعقدُ له فيه ولايتَهُ بما أولاهُ، ويسألُه مكافأتَه عنه، وأنَّه احتفظَ بالكتاب مُدَّةَ أيَّامِ الرشيد، وصدرًا من خلافة محمَّدٍ، وساءت حالُ أحمدَ بن أبي خالدٍ، وعَظُمَ فَقرُه جدًّا، واشتدَّتْ عليه العطلةُ، فلمَّا أنفذَ محمَّدٌ الأمينُ عليَّ بنَ عيسى بنِ ماهانَ لمحاربة طاهرِ بن الحسين؛ عَمِلَ أحمدُ على اتِّباعِ عسكرِه. [ض/١٤١]

قال محمَّدُ بنُ عمرَ الجرجانيُّ: فجاءني يذكرُ ما قد عزمَ عليه، ويصفُ إفراطَ خَلَّتِه[2]، وقُصورَ حيلتِه، ويسألُني أن أسألَ سلامًا[3] الأبرشَ، لِـمَودَّةٍ كانت بيني وبين أبيهِ[4]، أن يُعينَهُ بمركوبٍ، وبألفي درهمٍ.

---

(١) هذه الرواية ليست في (ر).

(٢) **الخَلَّة**: الفقر.

(٣) في (ض): (سلامة).

(٤) (وبين أبيه) في (ل): (وبينه).

فقصدتُ سلَّامًا[1]، وسألتُه ذلك، فقال: واللهِ لو كان لي بعددِ الذُّبابِ الذي في داري دوابُّ؛ ما أعطيتُه شعرةً من ذنَب واحدٍ منها، ولو كان عندي بعدد رمل عالجٍ عين ووَرِقٌ[2]؛ ما أعطيتُه منه حبَّةً.

فانصرفتُ إليه، وقد كان أقامَ في منزلي، ينظرُ ما يجري، فأخبرتُه بما قالَ، وحلفتُ له أنِّي لا أملكُ إلَّا دابَّةً وبغلةً وأربعَ مئة درهمٍ، فليأخُذْ منها ما شاءَ.

فقال: أنتَ إلى الدَّابَّةِ في الحضر أحوَجُ، وأنا إلى البغلةِ في السفر أحوَجُ، فأعطِنِيها، وأنتَ مقيمٌ، وأنا مسافرٌ، وتَقدِرُ على أن تحتالَ لنفسك نفقةً، ولا أقدرُ عليها، فأَعطني الأربعَ مئة درهمٍ كُلَّها.

فدفعتُها إليه مع البغلةِ، وصَحِبَ عسكرَ عليِّ بن عيسى.

فلمَّا حدث على عليِّ بن عيسى ما حدثَ؛ صارَ إلى الفضلِ، وأوصلَ إليه الكتابَ، فقرأهُ، وسُرَّ به نهايةَ السرور، وأكرمَهُ غايةَ الإكرامِ، وأنكرَ عليه تأخُّرَه عنه إلى ذلك الوقتِ.

وقال له: ما أعرفُ شيئًا أقضي به حقَّكَ، إلَّا أن أُشرِكَكَ في أمري، وأُقلِّدَك العرضَ على أميرِ المؤمنينَ خلافةً لي. فقلَّده ذلك، وكَبُرَ أمرُه.

ولم يزل أحمدُ بن أبي خالدٍ يضربُ على سلام الأبرش، ويُغري به المأمون، إلى أن قال له: قد وهبتُ لك دمَه، وجميعَ ما يملكُه.

---

(١) في (ل): (سلام).

(٢) **عالِج**: رمالٌ بين فَيْد والقُرَيَّاتِ، ينزلها بنو بحتر من طيِّءٍ، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة، لا ماء بها. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٧٠). **والعين**: الذهب. **والوَرِق**: الفضة.

فقبضَ عليه، وقبضَ منه ما قيمتُه أربعةُ آلاف ألف درهمٍ، ودعا بالسيف والنطع، وأمرَ بضرب عُنقِه بعد أن قَرَّعَهُ[1] بما كان منه عند مسألة محمَّدِ بن عمرَ الجرجانيِّ إيَّاهُ في أمره.

ثمَّ أعرضَ عن قتلِه، وأمرَ بحبسِه، وقال للمأمون: إنِّي كرهتُ أن أتجاوزَ مذهبَك يا أميرَ المؤمنين في العفو. فاستصوبَ رأيَهُ.

وتراقَتْ أحوالُ أحمدَ بن أبي خالدٍ إلى أن تقلَّدَ وزارةَ المأمون.

قال محمَّدُ بن عُمرَ الجرجانيُّ: وحدثت الفتنُ بعد ذلك ببغدادَ، وتشرَّدَ أهلُها عنها، فهربتُ والتجأتُ إلى إخوانٍ كانوا لي بالكوفةِ، فأقمتُ عندَهم، واستطبتُ البلدَ، فقطنتُه، وابتعتُ بجميعِ ما أملكُه ضيعةً هناكَ، ووَلِيَنا عاملٌ أحسنَ إلينا، فشكرناهُ، وانعقدت بيننا وبينه مَودَّةٌ أكيدةٌ.

ثمَّ صُرِفَ بعاملٍ آخرَ، فحقدَ علينا للمودَّةَ التي كانت بيننا وبين المصروفِ، فقصدَنا وأسبابَنا، واضطرَّنا إلى قصدِ[2] أحمدَ بن أبي خالدٍ للتظلُّم، فدخلتُ بغدادَ، فلما رآني أكرمَني، واستبطأَني، وذكرَ مِن تَطلُّعِه إلى لقائي، وطلبِه إيَّايَ، وعَرضِ خبري عليه، وسألني عن أمورٍ[3]، فشرحتُها له، فكتبَ بخطِّه بصرف العامل، وتقليدِ المصروفِ الذي كان صديقي، وأعلمَني ما جرى عليه

---

(١) أي: عنَّفَه ووَبَّخَه. ينظر: «تاج العروس» (ق ر ع: ٢١/ ٥٤٩).

(٢) (فقصدنا وأسبابنا واضطررنا إلى قصد) في (ض): (فقصدناه واضطررنا إلى).

(٣) (وسألني عن أمور) ليست في (ض).

أمرُ سلامٍ[1] الأبرش، وقال: قد كنتُ جعلتُ لكَ فيما قبضتَه عنه الرُّبعَ، وهو معزولٌ لك، فتسلَّمْه.

فشكرتُه، وأمرَ بتسليمِه إليَّ فتسلَّمتُه، وكان قيمتُه ألفَ ألفِ درهمٍ.

(١) في (ض): (سلامة).

[٧: ٨٦] [(٦) رواية أخرى لقصة يحيى البرمكي]

وذكرَ أبو الحسين القاضي في كتابه، قال: حدَّث محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ الخصيبِ، **قال:** حدَّثني مَن سمع أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحولَ يُحدِّثُ، **قال:** كانَ السُّلطانُ قد جفا خالدَ بنَ برمكَ، واطَّرحَهُ[١]، حتَّى نالَتْهُ وولدَهُ إضاقةٌ شديدةٌ، حتَّى كادوا ينكشفون.

فحدثَ أنَّ يحيى بنَ خالدٍ أصبحَ يومًا، فخرجَتْ إليهِ أمُّ الفضلِ زوجتُه، فقالت له: ما أصبحَ في منزلِكَ اليومَ دقيقٌ، ولا علَفٌ للدابَّة، ولا نفقةٌ لشيءٍ.

فقال لها: بِيعُوا شيئًا من البيت.

قالت ما بَقِيَ في البيت ما له قَدْرٌ، ولا ما يمكنُ بَيعُه.

فقال: كانَ فلانٌ أهدى إلينا مِنديلًا فيه ثيابٌ، فبِعنا الثيابَ، فما فعلَ المنديلُ؟

قالت: باقٍ.

قال: فبيعوه.

فبعثَتْ به إلى سوقِ قَنْطَرةِ البَرَدانِ، فبِيعَ بنَيِّفٍ وعشرينَ درهمًا، فأنفقُوها أيَّامًا.

ثم خرجَتْ إليه، وقالَتْ: ما قُعودُكَ؟ ما عندنا نفقةٌ، ولا دقيقٌ، ولا عَلفٌ للدابَّة.

---

(١) في (ر): (واطرده).

فرَكِبَ يحيى، وكان أوَّلَ مَن لقيه أبو خالدٍ الأحولُ، فشكا إليه ما هو فيه، فأمسكَ، ثمَّ أجابَه بجوابٍ ضعيف، فانصرفَ إلى منزِلِه، وقد كادَ يتلَفُ همًّا وعناءً وندمًا، ولامَتْه زوجتُه.

وأقام أيَّامًا لا يركبُ، وزوجته تَحتالُ فيما تُنفِق، ثمَّ حرَّكَتهُ[1] على الركوبِ، وشَكَتْ إليه انقطاعَ الحيلةِ وتَعذُّرَ القُوت.

فرَكِبَ، فلمَّا صارَ في بعض الطريقِ؛ لَقِيَهُ أبو خالدٍ، فقال له[2]: صِرتَ إليَّ، وسألْتَني أمرًا، حتَّى إذا أحكمتُهُ لك، تركْتَ تَنجُّزَه!

فقال: كرهتُ التثقيلَ عليك.

فقال: إنَّك سألتَني وشكوتَ إليَّ أمرك، فغمَّني، وذكرتُه لأبي عبيد[3] الله، فتقدَّمَ إليَّ فيه بأمرٍ، ثمَّ لم تَصِرْ إليَّ، فتعالَ معي الآنَ إلى الديوان.

قال يحيى: فمضَيتُ معه إلى الديوان، فأحضرَ التُّجَّارَ المبتاعينَ لِغلَّات الأهواز، فقال لهم: هذا الرجلُ الذي جعل له الوزيرُ معكم سهمًا فيما ابتَعتُموه، فحاسِبُوه على ما بينكم وبينَه.

قال يحيى: فأخذَ التجَّارُ بيدي إلى ناحيةٍ، فوافقوني[4] على ربح خمسينَ ألفَ دينارٍ، وأن أَدعَهم والغلَّة، فما بَرحتُ حتَّى راج ليَ المالُ، وحملْتُه إلى منزلي.

---

(١) في (ل): (حرَّضته).

(٢) (فقال له) في (ر): (وقال له: قد).

(٣) في (ض): (عبد).

(٤) في (ل): (وأوقفوني).

وعرَّفتُ أبي الحالَ، فأخذَ من المال عشرينَ ألفَ دينارٍ، وقال: هذه تكفيني لِنفقتي، إلى أن يُفرِّجَ الله تعالى، والباقي لكَ، فإنَّ عيالَك كثيرٌ.

قال أحمدُ بن أبي خالدٍ: فرعى لي القومُ ذلك - يعني: البرامكةَ - فلمَّا صار إليهمُ الأمرُ أَشرَكوني في نعمتهم، وكان آخِرُ[1] ما وُلِّيتُ لهم جُندَ الأردنِّ.

وانصرفتُ إلى مدينة السلام، وقد سَخِطَ الرشيدُ على يحيى، ومعي من المال ستَّةُ آلافِ دينارٍ، فتوصَّلتُ إلى أن دخلتُ إليه في الحبس، فتوجَّعتُ له، وعرضتُ عليه المال. [ر/٩٦]

فقال: لستُ أجحف بك، احمل إلينا منه ثلاثةَ آلاف دينارٍ، واصرِف في مؤنتِكَ ثلاثةَ آلاف دينارٍ، وكتبَ رُقعةً، بخطٍّ لا أعرفُه، ثمَّ أتربَها، وقطعَها نصفين، فجعل أحدَهما تحتَ مُصلَّاه، ودفعَ إليَّ الآخرَ، ثمَّ قال: أَمرُنا قد ولَّى، ودولتُنا قد انقضَتْ، وهذا الخليفةُ سيموت، وستقعُ فتنةٌ يَطولُ الأمر فيها بين خليفتين، يكونُ الظاهرُ منهما صاحبَ المشرق، وسيكونُ لِغُلامٍ يقال له: الفضلُ بن سهلٍ معه حالٌ، فإذا بلغَك ذلك؛ فادفع إليهِ هذا النصفَ من الرقعة، فإنَّك سَتبلغُ بها ما تُحِبُّ عندَه. [ض/١٤٢]

قال أحمد بن أبي خالدٍ: فخرجتُ من عنده، وأنا أندَمُ الناسِ على إخراجي ثلاثةَ آلاف دينارٍ من يدي[2] إلى رجلٍ قد نعى نفسَه إليَّ، واحتفظتُ بنصف الرُّقعة.

---

(١) في (ر): (أول).

(٢) (من يدي) ليست في (ض).

ومضت الأَيَّامُ، وماتَ الرشيدُ، ووَلِيَ محمَّدٌ الأمينُ المخلوعُ، ووقعت الفتنُ، ولزمتني عطلةٌ، ودامت، حتَّى رزحَتْ حالي[1]، واشتدَّ اختلالي.

ودخلَ طاهرٌ مدينةَ السلام، فإنِّي ذاتَ ليلةٍ مُفكِّرٌ في أمري، مُتحيِّرٌ فيما أعملُه؛ إذ سمعتُ قرعَ الباب عليَّ، فقلتُ لزوجتي: اخرجي إلى الدهليزِ، واعرفي الخبرَ، ولا تتكلَّمي، ولا تفتحي.

فمضَتْ، ثمَّ جاءت مذعورةً، وقالت: ما أدري! على الباب جُملةٌ من الشُّرطِ المسوِّدَةِ، ونَفَّاطاتٌ[2].

فخرجتُ، فوقفتُ خلفَ الباب، وقلتُ: مَن هذا؟

فقالوا: هذا منزلُ أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحول؟

قلتُ: نعم.

قالوا: نحن رُسل الأميرِ طاهرِ بن الحسين إليه.

فقلتُ: لعلَّكم غلطتم! ما يريدُ الأميرُ من مثله؟

فقال لي بعضُهم: يا هذا، إنَّما جئنا في أمرٍ يَسرُّه، فأَعلِمْهُ أنَّه لا بأسَ عليه.

---

(١) **رَزَحَتْ حالُه**: ضَعُفَ وذهب ما في يَدِه. وهو مجاز أصلُه من رَزَاحِ الإبل، إذا ضَعُفَت ولصقت بالأرض فلم يكن بها نهوضٌ. ينظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ٢٠٩)، و«تاج العروس» (رزح: ٦/ ٣٩٣).

(٢) **النَّفَّاطات**: ضربٌ من السُّرُجِ يُرمَى فيها بالنِّفْطِ ويُسْتَصبَحُ بها. ينظر: «العين» (ن ف ط)، و«المصباح المنير» (ن ف ط).

قال: وظَنَّني غلامًا في الدار، فسكنتُ إلى هذا القول، ورجعتُ إلى مَجلسي من الدَّار، وأسرجتُ سراجًا فيه، وفُتِحَ البابُ، فدخلُوا، ودخلَ قائدٌ جليلٌ، فبركَ بين يديَّ، وقال: أنتَ - أعزَّكَ الله تعالى - أحمدُ بن أبي خالدٍ؟

قلتُ: نعم.

قال: الأميرُ يسألُكَ أن تصيرَ إليه الساعةَ.

فأردتُ أن أسبرَ الأمرَ الذي دُعيتُ له؛ أَخيرٌ هو أم شرٌّ؟

فقلت: أَدخلُ، فألبَسُ ثيابي؟

قال: افعل.

فدخلتُ، فأوصيتُ زوجتي بما أحتاجُ إليه، وعَلِمتُ أنَّه لا بأسَ عليَّ، فلَبِستُ مُبطَّنتي وطيلساني وشاشي وخُفِّي، ثمَّ خرجتُ، فقلتُ: ليس لي مركوبٌ.

قال: فاركب مِن جنائبي.

فركبتُ دابَّةً قُدِّمَتْ إليَّ، وصِرتُ إلى طاهر بن الحسين، فسَّلمتُ عليه، فساعةَ رآني، قال: أنتَ أحمدُ بن أبي خالدٍ الأحول؟

قلتُ: نعم.

فألقى إليَّ كتابًا في نصف قرطاسٍ، بخطِّ الفضلِ بن سهلٍ، وكان أوَّلَ كتابٍ رأيتُه؛ لأبي فلانٍ من[1] فلانٍ، وإذا عنوانُه: لأبي الطيِّب أعزَّهُ الله تعالى، مِن ذي الرياستَينِ الفضلِ بن سهلٍ. وصَدرُه: أعزَّكَ الله، وأطالَ بقاءَك، أمرَ أميرُ المؤمنينَ

---

(١) في (ض): (بن).

- أطالَ الله بقاءَه - بأن تتقدَّمَ ساعةَ يصلُ هذا الكتاب بطلبِ أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحولِ الكاتب، حيثُما[1] كان من أقطارِ بغدادَ وأعمالِها[2]، فتُحضِرَهُ مجلسكَ، وتَصِلَهُ بخمسينَ ألفَ درهمٍ[3]، وتحمِلَهُ على عشرينَ دابَّةً من خيل البريد إلى بابِ أمير المؤمنين - أطالَ الله بقاءَه - مصونًا، ولا ترخص له في التأخُّر، فرأيك أعزَّكَ الله في العمل بذلك مُوفَّقًا، إن شاء الله تعالى. وكُتِبَ في اليوم الثامن من شهر كذا.

فلمَّا قرأتُ الكتابَ؛ اشتدَّ سروري، وقلت: آخذُ فيما أحتاجُ إليه، وأنهَضُ.

فقال: ما إلى تأخيركَ سبيلٌ، هذا المالُ، وهذه الدوابُّ، وتَخرجُ السَّاعةَ.

فقلتُ: أَكتبُ إلى منزلي بما أحتاج إليه[4]، فأخذتُ المالَ، فأنفَذتُ أكثَرَهُ إليهم، وكاتبتُهم بما أحتاجُ إليه.

وذكرتُ نصيفَ الرقعة التي مِن يحيى بن خالدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأَمرتُهم أن يُنفِذوها إليَّ، وطلبتُ منهم قُماشًا قليلًا ممَّا لا بُدَّ منه.

فكتبوا إليَّ[5] بوصول المال، وأنفذوا إليَّ النصفَ من الرُّقعة، وما طلبتُ من القماش، وشخصتُ من دار طاهرٍ، سَحرَ تلك الليلة.

---

(١) في (ض، ل): (حيث).

(٢) (بغداد وأعمالها) في (ر): (الأرض).

(٣) في (ل): (دينار).

(٤) (بما أحتاج إليه) ليست في (ض، ل).

(٥) (فكتبوا إلي) في (ر): (وعاد الجواب).

فما مَررتُ بمدينةٍ إلَّا خُدِمتُ فيها أتمَّ خدمةٍ، إلى أن وافيتُ الرَّيَّ، فلَقِيَني رجلٌ ذكرَ أنَّ ذا الرياستين أنفذَهُ إليَّ للتلقِّي والقيامِ بمصالحي إلى أن أُوافيَ حضرتَه، فلم يَزلْ قائمًا بما أحتاجُ إليه، ويحضُّ كلَّ مَن أجتازُ به على تَفقُّدي وخِدمتي، إلى أن وافيتُ بابَ الفضلِ بمَرْوَ، ومعي صاحِبُه، وصاحبُ طاهر[1].

فوقفتُ بباب الفضل طويلًا، إلى أن تفرَّغَ ودعاني، فدخلت وهو في قبَّة أَدَمٍ، وعليه سوادُه[2]، وحولَهُ السلاحُ كلُّه، وبين يديه حَجَفةٌ[3] فيها كُتب.

فلمَّا مثلتُ بين يديه؛ قال: أنتَ أحمدُ بن أبي خالدٍ الكاتب[4]؟

قلت: نعم.

قال: انصرف إلى منزلِكَ مكرَّمًا، وارجع إلينا بعدَ ثلاثةٍ في سوادٍ؛ لأُدخِلَك على أمير المؤمنين.

فولَّيتُ من بين يديهِ، وأنا لا أدري إلى أين أمضي، فإذا خادمٌ قد لَحِقَني، وأخذَ بيدي، وخرجَ معي، حتَّى صار بي إلى دارٍ قد أُعدَّتْ لي، وفيها كلُّ ما أحتاجُ إليه مِن فَرشٍ، وكسوةٍ، وغلمانٍ، ودوابَّ، وقُماشٍ، وغيرِ ذلك من الأطعمة والأشربة، فجعلَ يُعَرِّفُني ما تحتَ يدِ كلِّ غلامٍ، ثمَّ قال: هذا كلُّه لكَ. وانصرفَ.

فأقمتُ في كلِّ نعمةٍ وسرورٍ، ثلاثةَ أيَّامٍ.

---

(١) في (ل) زيادة: (بن عيسى بن الحسين).

(٢) في (ر): (سواد).

(٣) **الحَجَفُ**: نوعٌ من التروس مُقوَّرٌ مصنوعٌ من جلود الإبل. وَاحِدهُ: حَجَفَةٌ. ينظر: «العين» (ح ج ف)، و«أساس البلاغة» (ح ج ف).

(٤) في (ل): (الأحول).

ثمَّ غدوتُ في اليوم الرابع في سوادٍ، فألفيتُ ذا الرياستَينِ خارجًا مِن دارِه، فترجَّلتُ ودنَوتُ، فأعطاني طرفَ كُمِّه فقبَّلتُه، ثمَّ أمرني بالركوب فركبتُ، وسِرتُ في مَوكبِه، حتَّى وافى دارَ أميرِ المؤمنين، فدخلَ راكبًا، ودخلتُ أسعى في رِكابه، حتَّى بلغتُ الستَر الذي يُوصَلُ منه إلى أمير المؤمنينَ[1] المأمون، فثَنى رِجلَه، ونزلَ في محفَّةٍ قد أُعِدَّت له، فجلسَ فيها، وحملَهُ القُوَّادُ على أعناقهم، حتَّى أجلسوهُ مع المأمون على السرير.

فمكث غيرَ بعيدٍ، فجاءَ خادمٌ فدعاني، فدخلتُ، والفضلُ والمأمونُ على السرير[2]، وكلٌّ واحدٍ منهما مُقبِلٌ على صاحبِه.

فقال الفضلُ: يا أمير المؤمنين، هذا أحمدُ بن أبي خالدٍ الأحولُ، الذي كانت كُتبه تَرِدُ علينا من مدينة السلام بأخبار المخلوعِ، في وقت كذا وكذا، وقد وفدَ إلى حضرة أميرِ المؤمنينَ وهو مِن اليسار، وعِظَمِ الحالِ على أمرٍ يَقصُر عنه الوصفُ، وهو يَعرِضُ نفسَهُ ومالَهُ على أمير المؤمنين، يريدُ بذلك أنَّه متى خلا بي فسألني عن شيءٍ كنتُ قد عَرفتُه.

فشيَّعتُ كلامَه بما حضرني.

فقال المأمون: بل؛ قد وفَّرَ الله تعالى عليه مالَهُ، ونضيفُ إليه أمثالَه.

قال: يا أمير المؤمنين، نُشرِكُ بينَهُ وبين خدمِ أمير المؤمنين، ومَن يتقلَّدُ الأعمالَ؟

---

(١) (أمير المؤمنين) ليست في (ل)، و(فدخل راكبا ودخلت... أمير المؤمنين) ليست في (ر).

(٢) (فمكث غير بعيد... والفضل والمأمون على السرير) ليست في (ر).

قال: نعم.

قال: وصِلَةٌ يُعرَفُ بها موضِعُه من رأي أميرِ المؤمنين[1].

قال: نعم.

قال: نُوَلِّيهِ ديوانَ التوقيعِ وديوانَ الفضِّ والخاتم؟

قال: افعل.

قال: يُخلَعُ عليه خلعةٌ لهذه الأعمال؟

قال: نعم.

قال: ويخلع عليه خلعُ الكرامة؟

قال: يُفعَلُ ذلك.

قال أحمدُ: فما برحتُ، حتَّى أُنجِزَ لي ذلك جميعُه، وانصرفتُ. [ص/١٤٣]

فلمَّا كان بعدَ عشرين يومًا بعثَ إليَّ في الليل، فعلمتُ أنَّه لم يُحضِرني في ذلك الوقت إلَّا لِيسألَني عن نصف الرُّقعة، فجعلتُها في خُفِّي، وصِرتُ إليه، فإذا هو جالسٌ، وأخوه الحسَنُ إلى جانبه.

فقال لي: يا أبا العبَّاس، كان بينَك وبين شيخنا أبي عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُرمَةٌ؟

قلت: نعم، وأيُّ حُرمة.

فقال: ما هي؟

---

(١) (قال: وصلة يعرف بها موضعه من رأي أمير المؤمنين) ليست في (ر).

فقصصتُ عليه كيف كانت قِصَّةُ أبي[1] معَهُ، ثمَّ وصلتُ ذلك بخَبري، إلى أن انتهيتُ إلى حديث الدنانير ونصفِ[2] الرقعة.

فقال: أين هي؟

فأخرجتُها من خُفِّي، ودفعتُها إليه، فرفع مُصلَّاهُ، فإذا النصفُ الذي كان يحيى بنُ خالدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد جعلَهُ تحت مُصلَّاه، فقرنَ بينهما، والتفتَ إلى أخيهِ، وقد دمعَتْ عيناهُ، وقال: هذا خطُّ أبي عليٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثمَّ قال لي: أَتدري ما فيها؟

قلت: لا.

قال: فيها: أمتعَني الله بكَ يا بُنيَّ طويلًا، وأحسنَ الخلافةَ عليكَ، قد وجبَ عليَّ مِن حقِّ أبي العبَّاس[3] أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحولِ الكاتب في الحال التي أنا فيها ما قد أثقلَني، وأعجزَني عن مكافأتِه، إلى غيرِ ذلك ممَّا أعتدُّ به لسلفه، ونَجمُنا قد أفلَ، وأَمرُنا قد انقضى، ودولتُكَ قد حضرَتْ، وجَدُّكَ قد علا، فأُحِبُّ أن تقضيَ عنِّي حقَّ هذا الفتى، إن شاء الله تعالى.

قال أحمدُ بن أبي خالدٍ: فلم أزل مع الفضلِ تترقَّى حالي، وأختصُّ بخدمة المأمون، إلى أن دارت ليَ الأيامُ، واستكتبني[4] المأمونُ.

---

(١) (كيف كانت قصة أبي) في (ض): (قصة أبي علي التي كانت)، وفي (ل): (قصة أبي التي كانت).

(٢) (حديث الدنانير ونصف) في (ض): (نصف)، وفي (ل): (خبر النصف).

(٣) (يا بني طويلا، وأحسن الخلافة عليك، قد وجب عليَّ من حق أبي العباس) في (ر): (أعطاني).

(٤) (واستكتبني) في (ر): (واستنكبني). والصواب ما هو مثبت؛ لأنَّ أحمد بن أبي خالد الأحول =

[٧: ٨٧] [أبو عبيد الله وزير المهدي وصاحباه]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال: حدَّثَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ الخصيبِ[١]، **قال:** حدَّثني مَن سمع أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحول، **يقول:** كان أبي[٢] صديقًا لأبي عُبيد الله وزيرِ المهديِّ، وهو إذ ذاك مُعلِّمٌ بطبريَّة[٣]، وأبي مُتجمِّلٌ، فكانا يتعاشران، وثالثُهما[٤] أحمدُ بن أيُّوبَ.

قال أبو خالد: وكنا نتبيَّنُ في أبي عُبَيد الله شمائلَ الرئاسة، ونُصَدِّره إذا اجتمعنا، ونَرجِعُ إلى رأيه فيما يعرِضُ لنا.

فقلتُ له ليلةً: نحسبُكَ سَتَرْأَسُ، وتبلغُ مبلغًا عظيمًا، فإن كان ذلك؛ فما أنتَ صانعٌ بنا؟

قال: أمَّا أنتَ يا أبا خالدٍ؛ فأُصيِّركَ على أمري خليفةً، وأما أنت يا ابن أيُّوبَ؛ فقل ما أردتَ.

= استوزره المأمون، وبقي وزيرًا حتى مات. ينظر: «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» (ص: ٢٢١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٥٥).

(١) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ١٤٤)، يروي قصةً حصلت معه، وفيها أنه كان يشتغل مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

(٢) هو يزيد بن عبد الرحمن أبو خالد الأحول، مولى عاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة، ذكره أبو الحسين الرازي في تسمية كُتَّاب أمراء دمشق. ينظر: «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٢٩٤).

(٣) (بطبريَّة) ليست في (ل، ر).

(٤) (وثالثهما) في (ر): (ويألفهما).

فقال: أريدُ أن تُولِّيَني أعمالَ مِصرَ سبعَ سنينَ متواليةً، ولا تسألني بعدَ الصرف[1] عن حسابٍ.

قال: ذلك لك.

قال أبو خالد: فلم يَمضِ لهذا الأمرِ إلَّا مُدَيدةٌ يسيرةٌ حتَّى أَمْسَكَتِ السماءُ[2]، وخرجَ الناسُ يستسقون، وكان عليهم إذ ذاك ثعلبةُ بن قيسٍ عاملًا من قِبَلِ صالح بن عليٍّ[3]، فما انصرفَ الناس حتَّى أتت السماءُ بمطرٍ غزير.

فقال ثَعلبةُ لكاتبه: اكتب إلى الأمير بما كان من القحطِ وخبرِ الاستسقاء، وما تفضَّل الله تعالى به من الغيث.

فكتبَ كتابًا لم يَرضَهُ ثعلبةُ، فقال لمن حوله: أَلا يُصابُ لي رجلٌ يخاطِبُ السلطانَ عنِّي بخِطابٍ حسَنٍ؟

فقال له بعضهم: هاهنا رجلٌ مُؤدِّبٌ، معه بلاغةٌ وأدبٌ كثيرٌ، وفيه مع ذلك عقلٌ.

فقال: أحضِرُوه[4].

---

(١) في (ر): (التصرف).

(٢) (حتى أمسكت السماء) ليست في (ض).

(٣) هو صالح بن عليِّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشمي العباسي، عَمُّ المنصور، أحد الأبطال المذكورين، افتتح مصر، وحارب مروانَ بن محمد حتَّى قتلَه، وولي مصرَ والشام، (ت: ١٥٢هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٣٥٧)، «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٨).

(٤) في (ل، ر): (أحضره).

فأحضر أبا عبيد الله، وأمرَهُ أن يكتبَ عنه إلى صالحِ بن عليٍّ[1] في ذلك المعنى، فكتب كتابًا استحسنَهُ ثعلبةُ، وأنفذَهُ إلى صالحٍ.

فلمَّا قرأه[2] أُعجِبَ به، وكتبَ إلى ثعلبةَ: أن احمل إليَّ كاتبكَ على البريد.

فحملَهُ إليه، فلمَّا وافاهُ؛ امتحنَهُ، فوجدَه كاتبًا كافيًا في كلِّ ما أرادَ، فاستكتبَه.

فلمَّا تتابعَتْ كُتبه عن صالحٍ إلى المنصور، قال المنصورُ: كنتُ أرى كُتبَ صالحٍ تَرِدُ قبيحةً[3] ملحونةً، وأراها الآن تَرِدُ بغير ذلك الخطِّ، وهي مُحكَمةٌ شديدةٌ حسَنةٌ.

فخُبِّرَ بخَبَرِ أبي عبيد الله، فأحضرَه، فلما فاتشَه؛ وجدَهُ كما أرادَ[4]، فاستكتبَه لابنه المهديِّ.

قال أبو خالدٍ: فطعنَ الربيعُ على أبي عُبيدِ الله عندَ المنصور مرارًا.

فقال: ويلكَ، أَتلومُني في اصطناعِ معاويةَ[5]، وقد كنتُ أجتهدُ بأبي عبد الله - يعني ولده المهديَّ - أن ينزعَ عنهُ لباسَ العجم، فلا يفعلُ، فلمَّا أَصحبتُه معاويةَ[6]؛ لبسَ لباسَ الفقهاء.

---

(١) (عنه إلى صالح بن علي) في (ل): (إلى صالح بن علي عنه).

(٢) (فلما قرأه) في (ض): (فرآه).

(٣) (قبيحة) في (ل، ر): (مسحة).

(٤) (فاتشه وجده كما أراد) في (ل): (فاتحه وجده كما يحب).

(٥) في (ر): (هذا الرجل).

(٦) (أصحبته معاوية) في (ر): (صحبه هذا الرجل).

قال أبو خالد: ثمَّ أشخصَني[1] أبو عبيد الله إليه لمَّا كتبَ للمهديِّ، فقلَّدني خلافتَهُ على الديوان، فلمَّا مات المنصورُ، وولي المهديُّ الخلافةَ؛ أنفذَ الكُتبَ إلى أحمدَ بنِ أيُّوبَ بولايةِ مِصرَ، فلم يزل واليًا عليها إلى أن تُوفِّي.

(١) (ثم أشخصني) في (ل): (فاستخصني). أَشْخَصه: ذهبَ به من بلدٍ إلى بلد. ينظر: «الصحاح» (ش خ ص).

[٧: ٨٨] [القاضي التنوخي وأقرباء أبي عليٍّ الصوليُّ]

قال مؤلِّف هذا الكتاب: كنتُ بالبصرة في المكتب سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وثلاثَ مئةٍ، وأنا مُتَرَعْرِعٌ(١)، أفهَمُ وأحفَظُ ما أسمع، وأضبطُ ما يجري.

وكان أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ يحيى الصوليُّ قد ماتَ بها في شهرِ رمضانَ من هذه السنة، وأوصى أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَرِكَتِه، وذكرَ في وصيَّتِه أنَّه لا وارثَ له.

فجاء إلى أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثةُ إخوةٍ شبابٌ فقراءُ، بسوء حالٍ، يقال لأكبرهم: أبو عليٍّ أحمدُ، والأوسطُ: أبو الحسن محمَّدٌ، والأصغرُ: أبو القاسم عليٌّ، بنو محمَّدٍ التمَّار.

وذكروا لأبي أنَّ أُمَّهم تَقرُبُ إلى أبي بكرٍ الصوليِّ، وأنَّهم يرثونه برَحِمها منه، وذكروا الرَّحِمَ واتِّصالَها.

فسامَهم إلى أن يُثبِتوا ذلك عنده بشهادة شاهدين من العدول؛ لِيُعطِيَهم ما يَفضلُ بعدَ الدَّين من التركة على الثلث، فاضطربوا في ذلك، وكانوا يتسكَّعون في إقامة الشهادة شهورًا، ويلازمون باب دار أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان مكتبي في بيتٍ قد أخرجَهُ أبي مِن داره إلى البيتين الذي ينزلهما، وجعلَ بينه وبين باب دارِه دُكانًا ممتدًّا.

---

(١) **تَرَعْرَعَ الصبيُّ**: تحرَّكَ ونشأ وكَبُر، وغلامٌ مُتَرَعْرِعٌ؛ أي: مُتَحَرِّك. ينظر: «تاج العروس» (رعرع: ٢١/١٠٣).

وكنتُ أنا ومُعلِّمي والصبيانُ نجلسُ في طرفي النهار على الدكَّان، وفي انتصافِه في البيت.

وكان هؤلاء الإخوةُ يجلسون عندي كثيرًا في المكتب، ويؤانسون مُعلِّمي، ويلاعبوني، ويتقرَّبون إليَّ، ويسألوني أن أَعرِضَ لهم على أبي الرُّقعةَ بعدَ الرُّقعة، يعطوني إيَّاها.

فقال لي يومًا الأكبرُ منهم - وهو أبو علي أحمد بن محمَّد -: إن أحياكَ الله حتَّى تتقلَّدَ القضاءَ، وتصيرَ مثل القاضي أبيكَ[1] في الجلالة والنعمة، وجئتُكَ، أيَّ شيءٍ تعطيني؟ فقلتُ له بالصِّبا وكما جرى على لساني: أعطيكَ خمسَ مئةِ دينار.

فقال لي: فأَعطِني خطَّكَ بها، فاستحييتُ، وأَمسكتُ.

فقال لمعلِّمي: قل له يكتبُ لي.

فقال لي: اكتُبْ، فأملى عليَّ المعلِّم وأبو الحسن هذا رقعةً في هذا المعنى.

وما مضت إلَّا أيَّامٌ حتى استثبتَتْ لهم الشهادةُ عند أبي على صِحَّةِ ما ادَّعَوهُ من الرَّحم واستحقاقِ الميراث بها.

وكان أبي قد باعَ التركةَ، وقضى الدَّينَ، وفرَّقَ بقدر الثُّلثِ، وترك الباقي مالًا عندَه، فأمرَ بتسليمِه إليهم، وأشهدَ بقبضه عليهم، وانصرفوا.

فما وقعَتْ عيني على أحدٍ منهم، إلَّا في سنة ستٍّ وخمسين وثلاثِ مئة، وإنِّي[2] كنتُ أتقلَّدُ القضاءَ والوقوفَ بسوقِ الأهواز، ونهرِ تِيرَى، والأنهار

(١) في (ل): (أبوك).

(٢) في (ل): (فإني).

[ص/١٤٤] الأسافلِ، ورامَهُرْمُزَ سَهلِها وجَبَلِها، وإِيْذَجَ[١] وأعمالِ ذلك، وأنا بالأهواز في داري، وأمري ونهيي في ضيعتي، وحالي مستقيمة.

فدخل إليَّ بوَّابي، فقال: بالباب رجلٌ يقول: إنَّه قَرابةُ الصوليِّ، قَدِمَ مِن بغدادَ بكتب إلى القاضي. فلم أذكره، وقلت له[٢]: أَدخِله.

فدخل رجلٌ شيخٌ لم أعرفه، وسلَّمَ وجلسَ، وقال: أنا خادمُ القاضي منذ كان في المكتب، وأنا قرابةُ الصوليِّ. فعَرفتُه، ولم أذكر الخطَّ، ولا القِصَّة.

فأخرجَ إليَّ كتبًا من جماعة رؤساء بغدادَ، يذكرونَ أنَّه قد كان مقيمًا منذ سنينَ ببغدادَ، ورَّاقًا بقصر وضَّاحٍ في الشرقيَّة، بحالٍ حسنةٍ، فلَحِقَتهُ مِحَنٌ أفقرَتهُ، ويسألوني تصريفَه ومنفعتَه، فوَعدتُه جميلًا.

فقال: إنَّما جَعلتُ هذه الكتبَ طريقًا لِيعرفَني القاضي، ولن أُعوِّلَ الآن عليها؛ إذ قد أحياني الله عَزَّوَجَلَّ أن رأيتُه قاضيًا في بعض عمل أبيه، وجاهُه ونعمتُه كجاهِه ونعمتِه، أو قريبٍ من ذلك، وقد حلَّ لي بذلك دَينٌ عليه واجبٌ في ذمَّة كرمه، وما أقنعُ إلَّا به.

فقلت: ما معنى هذا الكلام؟

---

(١) **إِيْذَجُ**: كورةٌ وبلدٌ بين خوزستان وأصبهان، وهي أجلُّ مدنِ هذه الكورة، وسلطانها يقوم بنفسِه، وهي في وسط الجبال، يقع بها ثلج كثير يُحمَلُ إلى الأهواز والنواحي. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٢٨٨).

(٢) (له) ليست في (ل).

فقال: قد أُنسِيَ القاضي دَيني! ثم أخرجَ رقعتي التي كان أخذَها منِّي في المكتب.

فحين رأيتُها، ذكرتُ الحديث، وحمدتُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كثيرًا، وقلتُ: دَينٌ واجبٌ حالٌّ، وحقٌّ وكيدٌ يُرعَى، ولكنَّكَ تعرفُ صعوبةَ الزمان، ووالله ما يحضرني اليومَ مئةُ دينارٍ، ولو حضرَني المئةُ؛ لما صلحَ أن أشتهِرَ بصِلَتِك بها، فيصيرَ لي حديثٌ يعودُ بضَررٍ عليَّ، ولكن ارضَ منِّي بأخذِ دَينِكَ متفرِّقًا في مُدَّة.

قال: قد رضيتُ، وما جِئتُ إلَّا لأُقيمَ في فنائِكَ[1]، إلى أن أموتَ. وجاء لِينهضَ[2]، فقلت: إلى أين؟ اجلِسْ.

فجلسَ، فوقَّعتُ له في الحال إلى بزَّازٍ كنت أُعامِلُه، أن يُعطِيَهُ ثيابًا بثلاث مئة درهمٍ، وإلى جِهْبذِ الوقوفِ[3]، أن يُعطِيَه من أبواب البرِّ عشرةَ دنانير، واستدعيتُ كِيسَ نفقتي، فأعطيتُه منه مئتي درهمٍ. وقلتُ له: قم فاستأجِرْ دارًا، وتأثَّثْ بما قد حضرَ الآن، واكتَسِ، وعُدْ إليَّ؛ لأصرفكَ فيما أرجو أن أُوصِلَ إليكَ منه ومن مالي أكثرَ ممَّا[4] في الرقعة.

فقبَّل يدي ورجلي، وأنا أمنعُه، وبكى[5]، وقال: الحمد لله الذي أراني هذا الفضلَ منك، وحقَّقَ فراستي فيكَ. وقام.

---

(١) في (ل): (قبائك).

(٢) (وجاء لينهض) في (ل): (وجئنا لننهض).

(٣) **الجِهْبِذ**: الناقد الذي يختبر النقود، ويميز صحيحها من بهرجها. ينظر: «تاج العروس» (ج هـ ب ذ). والوقوف هنا: الأوقاف.

(٤) (أكثر مما) في (ض): (الجملة التي).

(٥) (وبكى) ليست في (ل).

وجاءَني بعدَ يومين في ثيابٍ جُدد، فأمرتُ بوَّابي ألَّا يحجبَهُ عنِّي، وخلطتُه بنفسي، وأجريتُ عليه من أبواب البرِّ في الوقوف المعروفينَ بالضَّعف والمسكنة، دينارين في الشهر، وقلَّدتُه الإشرافَ على المتقدِّمين في ديوان الوقوف، وأجريتُ عليه لهذا ثلاثةَ دنانيرَ أُخرَ في الشهر، ورددتُ إليه جبايةَ عقار[1] الأيتام وأملاكهم، وولَّيتُه عليهم[2]، وأَذِنتُ له في أخذ أعشار الارتفاع[3]، وجعلتُه مشرفًا على أوصياء في وصايا في أيديهم[4] جليلةٍ، إلى أن يُخرِجُوها في وجوهها، وجعلْتُ له فيه أجرًا.

وركبتُ إلى عامل البلد، وسألتُه، فأجرى له في كلِّ سنةٍ من مال أثمان فرائض الصدقات ستِّينَ دينارًا، وكنتُ أتقدَّمُ إلى مَن يقوم له بالمطالبة بذلك، حتَّى يصلَ إليه كُلُّه كاملًا.

وكان رسمُ جميع أهل ديوان الصدقات بِكُوَرِ الأهواز في ذلك الوقت أن يُسبِّبَ لهم بنصف أرزاقهم، فيرتفقَ العُمَّالُ من ذلك النصفِ بقطعةٍ منه، ويصل الباقي إليهم مُنجَّمًا، بأن لا يُثبِتَ أحدًا فيه مستأنَفًا؛ لِضيقِ المال وقِلَّتِه عن أصول أرزاقِ المرتزقةِ فيه.

وكنتُ أعطيه في كلِّ شهرٍ أو شهرين شيئًا من مالي، أو شيئًا مِن كسوتي، أو ثيابًا صحيحةً من ثيابي، فوالله الذي لا إله إلَّا هو ما صُرِفتُ مِن عملي

---

(١) في (ل): (أوقاف).

(٢) (ووليته عليهم) ليست في (ل).

(٣) في (ض): (الانتفاع).

(٤) (في أيديهم) ليست في (ض).

- وكانت صُحبتُه لي فيه نحو ثلاثين شهرًا - إلَّا وقد وصل إليه من هذه الوجوه أكثرُ من خمس مئة دينارٍ، وحتَّى إنَّه تزوَّج فيها بواسطتي له وبخدمته لي امرأةً موسرةً من أهل الأهواز، تقرَّب إلى بزَّازٍ كبيرٍ بها، يُعرَفُ بابن أبي عاصمٍ، فازدادت حالُه[1] صلاحًا، وصار الرجلُ من المتوسِّطين بالأهواز، وصار يُنسَبُ إلى الصُّوليِّ، ويُشهِرُ نفسَه بأبي عليٍّ الصوليّ.

ثمَّ صُرِفتُ عن تلك الولايةِ سنةَ تسعٍ وخمسين [وثلاث مئة]، لمَّا وليَ الوزارةَ محمَّدُ بن العبَّاس[2]، فقصدني وصرفَني، وقبضَ أكثر ضيعتي، وأشخصَني إلى بغدادَ، بعدَ حقوقٍ كانت لي عليه، وآمالٍ فيه.

فتجرَّد أبو عليٍّ هذا المعروف بالصوليِّ، لِثَلْبي[3] في المجالس، وشتمي في المحافل، والطعنِ عليَّ بالعظائم، والسعايةِ على مكارهي.

فكشفَ الله عَزَّوَجَلَّ تلك المِحنةَ عنِّي، وأجراني على تَفضُّلِه بغير كبير سعيٍ منِّي ولا حولٍ ولا قوَّةٍ، وعُدْتُ بعد ثلاث سنينَ وشهورٍ إلى الأهواز واليًا عليها، والأعمال التي كنتُ أتولَّاها معها، وإليَّ مع ذلك واسطٌ وأعمالُها مضافةً إلى ذلك، وقد استخلفتُ عليها، ورجعتُ إلى داري بالأهواز، فجاءني هذا الرجلُ معتذِرًا.

فقلت: أَتُحِبُّ أن أقبلَ عُذرَك؟

---

(١) في (ل) زيادة: (بها).

(٢) أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس الشيرازي، كاتب معز الدولة، ولما مات معز الدولة، تلقب أبو الفرج بالوزارة من المطيع لله، ثم ولي الوزارة لعز الدولة سنة (٣٥٩ هـ)، ثم عزل بعد سنة وحبس، (ت: نحو ٣٧٠ هـ)، ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٠٨).

(٣) ثَلَبَه: صرَّح بالعيب فيه وتَنقَّصه، وبابه: ضَرَبَ. ينظر: «الصحاح» (ث ل ب).

فقال: نعم.

فقلت: أَخبِرني عن السبب الذي أحوجكَ إلى ما عَمِلتَ معي مِن القبيح، بعد ما عَمِلتُه معكَ من الجميل؟

فمَجْمَجَ[1] في القول.

فقلت له: ما إلى الرضا سبيلٌ حتَّى تُخبِرَني.

فقال: أنا أصدقك، دخلتُ إليكَ يومًا، وعلى رأسِكَ قلنسوةُ باذانٍ[2] جديدةٌ حسنةٌ جدًّا، فأعجبَتْني، فسألتُكَ أن تَهبها لي، فرَددتَنِي، فلمَّا كان بعدَ أيَّامٍ؛ رأيتُها على رأس عليٍّ بن نظيفٍ المتكلِّم المعروفِ بشَهْدانجه[3].

فسألته: من أين لك هذه؟ فقال: وهبها لي القاضي.

فوجدتُ بذلك عليكَ في نفسي، ثمَّ تزايدَ الوجدُ[4]، فلما حدثَتْ تلكَ النكبةُ؛ كان منِّي بعضُ ما بلغَك، وأكثرُه كَذِبٌ، وأنتَ وليُّ العفو. وأخذَ يُقبِّلُ رِجلي ويبكي.

(١) مَجْمَج الرَّجلُ في خبرِه، إذا لم يُبيِّنْهُ. ينظر: «الصحاح» (م ج ج).

(٢) أي: قلنسوةٌ مصنوعةٌ في مدينة باذان، وهي باذان فيروز، واسمها أيضًا: أردبيل، من أعمال أذربيجان. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣١٨).

(٣) في (ل): (شهدايجة) وفي المطبوع: (شهدانه). وهو عليُّ بن نظيفٍ، أبو الحسن البغدادي، المعروف بابن السراج المتكلِّم المعتزلي البَهْشَمِي، نسبةً إلى أبي هاشم بن أبي عليٍّ الجبَّائي، نقل عنه المؤلف في «نشوار المحاضرة» (٣/ ٨٨)، و(٨/ ٧٠)، وذكره في «معجم البلدان» (٤/ ٣٤١) باسم: (علي بن لطيف). ينظر: «الأنساب» (٢/ ٣٧٤).

(٤) أي: ما يجده في نفسه عليه.

فعَجِبتُ من لُؤم طبعه، وكثرةِ شَرِّه، وقُبحِ كُفرِه للنِّعم، واختلافِ أحكامِ الأزمنة وأهلها، وجعلتُ أُكثِرُ الحمدَ لله تعالى على تَفضُّلِه، ولم أُكافِه بقبيحٍ البتَّةَ.

واقتصرت على أن ولَّيتُه ما كان يتولَّاه من الوقوف؛ لأنَّ الذي وَلِيَ القضاءَ بعدي أقرَّه على ما كنتُ ولَّيتُه إيَّاه، وكان قد استمرَّ له أخذُ الدنانير من الصدقات والوقوفِ التي جعلتُ له عليها الجاريَ، وقبضتُ يدي عن نفعِه بما[1] فوقَ ذلك، والسلام[2].

(١) (نفعه بما) في (ل): (نفقة فما).

(٢) إلى هنا ينتهي السقط من (ر).

[٧: ٨٩] [خرج يطلبُ التصرُّفَ فلمَّا أَيِسَ جاءَه الفرَج]

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال: قال بعضهم: لحِقَتني نكبةٌ في بعض الأوقات، وتطاولت الأيَّامُ بعطلتي بعدَها، وركبني دَينٌ فادحٌ، وبِعتُ آخِرَ[1] ما كان في ملكي.

فصار إليَّ صديقٌ لي، حالُه مثلُ حالي في العطلة، فقال: هل لكَ في أن تخرُجَ إلى الموصل، فإنَّ عاملَها فلانٌ، ولي به حُرمةٌ، فتطلبَ منه تصرُّفًا؟

فقلتُ: أفعل.

ثمَّ احتلتُ في نفقة الطريق[2] حتَّى دخلنا الموصلَ، فوجدنا العاملَ يريدُ الرحيلَ إلى ديار ربيعةَ.

فلَقِيَهُ الرجلُ، ولم يتهيَّأ لي لِقاؤهُ، وخرجنا إلى بلدٍ، فلَقيتُه أنا[3] هناكَ، فوعدَ جميلاً، وسِرتُ معه إلى نصيبين، وقد نفدَتْ نفقتي. [ض/١٤٥]

فكشفَ لنا العاملُ هناكَ أنَّه قد قُلِّدَ مِصرَ، مُضافةً إلى أعمالِه، وأنَّه يريدُ الخروجَ إليها.

---

(١) في (ض): (خير).

(٢) (فتطلب منه تصرفا؟ فقلت: أفعل. ثم احتلت في نفقة الطريق) ليست في (ض).

(٣) (فلقيته أنا) في (ض): (فلقيناه).

فقلتُ لصديقي: إنَّه لم يبقَ معي نفقةٌ، ولا فيَّ فضلٌ للخروج إلى مِصرَ، فأعطاني مِن نفقتِه. وقد كان صديقي تقلَّدَ من قِبَلِ العاملِ عملًا جليلًا، وخرجَ إليه، وأقمتُ أنا بنصيبينَ، وأقامَ العاملُ بها؛ لِيُصلِحَ أمرَهُ ويخرجَ إلى مِصرَ، وعَمِلتُ على أن أتجمَّلَ بما أعطانيه صديقي، وأرجعَ إلى بغدادَ.

فغلب عليَّ ضيقُ الصدر والهمُّ[1]، واستَدعيتُ المزيِّنَ ليُصلِحَ شَعري؛ إذ قد دخلَ إليَّ غلامٌ للعامل، فقال: صاحبي يطلبُك، وقد قلبنا عليك الدنيا منذ أمسِ، فلم نعرف منزلكَ حتَّى الساعة.

ففرغتُ من شُغلي مع المزيِّن، وتوضَّأتُ، وركبتُ، وكان ذلك يومَ الجمعة، فلما صرتُ في دار العامل؛ قال حاجِبُه: نحن نطلبُكَ منذ أمسِ، ولا توجد، وقد قام الآنَ عن مجلسِه، وأخذَ في التشاغُل بأمر الصلاة، ولكن تُبكِّرُ في غدٍ.

فحدَّثتني نفسي أنَّه لم يُرِدْني لخيرٍ، وعملتُ على أن أنحدرَ تلك العشيَّةَ إلى بغدادَ.

فلم يدَعْني غُلامي، وقال: أقلُّ ما في الأمر أن يكونَ الرجلُ قد تذمَّمَ من اتِّباعِكَ إيَّاه إلى هاهنا، فيطلق لك نفقةً، ونحن مُضيقون.

فعلمتُ أنَّ الصوابَ في لقائه، وأَقمتُ وبَكَّرتُ من غدٍ، فدخلتُ إليه، فعاتبَني على انقطاعي عنه، وقال: أنا مُفكِّرٌ في أمرِكَ، وقد غمَّني طولُ تَعطُّلِكَ، مع قصدكَ إيَّاي من بغدادَ، وسيرِكَ معي إلى هاهنا.

---

(١) في (ض): (والغم).

ثم التفتَ إلى كاتبٍ كان بين يديهِ، فقال له: اكتب له كتابَ التقليد؛ للإشراف على الضِّياعِ بديار مُضرَ، وأهل[1] النفقة على الثغور الجزريَّة[2]، واستقبِلْ[3] برزقِه -وهو مئة وخمسون دينارًا في كلِّ شهرٍ- للوقتِ الذي جاءنا فيه إلى الموصل[4].

قال: فشكرتُه، واضطربتُ من قِلَّةِ الرزق.

فقال: اِقبَلْ هذا، ولا تخالفني، إلى أن يُسهِّلَ اللهُ - جلَّت عظمتُه - غيرَه.

فقمتُ مُفكِّرًا: مِن أينَ أُصلِحُ أمري، وأتحمَّلُ إلى العمل[5]، وأنفقُ إلى أن أصلَ إليه؟

فما خرجتُ من الدار حتَّى ردَّني، فقال: بالبابِ قومٌ نحتاج إلى إثباتِهم، فاجلس وأَثبِتهم، واعمل لهم جرائدَ بأسمائهم وحُلاهم وأرزاقِهم واستقبالاتِهم، وجئني بها.

فتشاغلتُ بذلك يومينِ أو ثلاثةً، وجئتُ بالجرائد، فلما وقفَ عليها أَعجبتُه، وقال: أرى عملكَ عملَ فَهِمٍ بالجيش.

فقلتُ: ما عَمِلتُه قَطُّ إلَّا مرَّةً واحدةً.

---

(١) في (ض، ظ): (وأصل).

(٢) في (ل): (البحرية).

(٣) في (ض): (وليستقبل) ومعنى **استَقبِل**: افعَلْ ذلك مِن قبل كذا. ينظر: «المحكم» (ق ب ل).

(٤) (للوقت الذي جاءنا فيه إلى الموصل) ليست في (ض، ل).

(٥) (إلى أن يسهل الله... وأتحمل إلى العمل) في (ض، ل): (وتحمل للعمل).

فقال: لم أقل هذا لأنَّك تَقصُرُ في نفسي عن غيره، ولكن ينبغي للكاتب والعاملِ أن يُحسِنا كلَّ شيءٍ يقعُ عليه اسمُ كتابةٍ وعَمالة.

ثم قال: خذ هذا الصكَّ، فاقبِضْ من الجهبذ ما فيه، واجلِس في المجلس المحاذي لداري، وأَنفِقه في الصنف الفلانيِّ من أهل هذه الجريدة.

فأخذتُ الصكَّ، وكان ألوفَ دنانيرٍ، فقبضتُ ماله، وأنفقتُ في القوم، وتفرَّقوا وهم شاكرون، ووصلَ إليَّ من ذلك مالٌ، فكتبتُ إليه بخبره، واستأمرتُه فيما أعملُ به.

فقال: خذه من رزقك.

وأعطاني مالًا ثانيًا، وقال: أنفقه في الصِّنفِ الآخَر، إلى أن أنفقتُ في جميع أهل الجريدة، فحصلَ لي من ذلك زيادةٌ على ألف دينارٍ، جعلتُها لِنفقتي في طريقي.

وشخصتُ قبلَهُ إلى ديار مُضرَ، فنظرتُ في العمل، وسار هو مجتازًا إلى مصر.

فاستأذنتُه في المصيرِ إليها معه، فقال: لا أحبُّ أن أعجلَ لك الصرفَ، ونحن نَمضي إلى أعمالٍ فيها قومٌ، ولَعلِّي أقفُ من حالهم على ما لا يجوزُ لي معه صَرفُهم، فتحصلُ أنت على الصرفِ المعجَّل، ولكن أَقِمْ بمكانكَ في عملك، وأنا أسيرُ، فإن احتجتُ إلى مُتصرِّفينَ، كنتَ أنتَ أوَّلَ مَن أستدعيه.

فشكرتُه، وأقمتُ في عملي سنينَ، فأثريتُ، وعَظُمَت حالي، ولم يتَّفق استدعاؤه إيَّايَ إلى مصرَ إلى أن صُرِفَ، وانسللتُ أنا من الرقَّة، فدخلتُ بغدادَ موفورًا[1]، ومعي مالٌ جليلٌ، فابتعتُ به ضيعةً، ولَزِمتُها، وتركتُ التصرُّف.

(١) في (ر): (موقَّرا).

[٧: ٩٠] [خرجَ مُملِقًا وعادَ قائدًا]

وذكر **أبو الحسين القاضي في كتابه**، قال: حدَّثني صديقٌ لي، قال: أملقَ بعضُ الكُتَّاب، وتعطَّلَ، وأنفق ماله[١]، وافتقرَ، حتى لم يبقَ له شيءٌ، وكان[٢] يسألُ الناس، وخرجَ خرجاتٍ إلى جهاتٍ مختلفةٍ، يطلبُ التصرُّفَ، فلم يتَّفق له، وعاد مُخفِقًا بأسوأَ من الحال التي خرجَ بها.

قال: فدخلتُ عليه يومًا وقد عادَ من بعض سفَراتِه، فقلت: ما خبرُكَ يا فلان؟ فقال: مُتمثِّلًا: [من الوافر]

وَأُبْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدأْنَا ... وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِيْنا[٣]

وما تَدْرِينَ أيُّ الأمرِ خيرٌ ... أما تَهوِينَ، أم ما تكْرَهِينَا؟

فطيَّبتُ نفسَهُ، وجعلتُ أُسلِّيه.

فأقامَ أيَّامًا، وتأتَّت له[٤] نفقةٌ، فخرجَ إلى خُراسانَ، فما سمعنا له خبرًا سنينَ كثيرةً، ثمَّ عادَ، فإذا قد جاءَ بزيٍّ قائدٍ عظيمٍ؛ لكثرة الدوابِّ، والبغالِ، والجمالِ، والغلمانِ الأتراك، والمالِ العظيم، والقماشِ، والأثاثِ والثياب.

---

(١) (وأنفق ماله) ليست في (ض).

(٢) في (ض): (فكاد).

(٣) في (ر): (غانمينا).

(٤) (وتأتت له) في (ض): (وبانت له)، وفي (ر): (وما كانت له نفقة فاحتلت له في).

فدخلت إليه، وهنأته، فقال: تضايقي تنفرجي، ما تراني بعد هذا أطلبُ تصرُّفًا.

فباعَ تلك الأشياءَ كلَّها، وترك منها ما يَصلحُ لذي المروءة القريبة، وجمعَ مالَهُ كلَّه، فاشترىَ به ضيعةً بعشرينَ ألفَ دينارٍ، ولَزِمَ منزلَه[1] وضيعتَه.

(١) في (ض): (منزلته).

[٧: ٩١] [عادت إليه الوزارة بعد يأس]

قال مؤلِّف هذا الكتاب: أُرجِفَ[١] لبعض رؤساء دولتنا[٢] بالوزارة، واحتدَّ أمرُه، ثمَّ بردَ، ثمَّ أُرجِفَ لِعدوِّه بالوزارة[٣]. فلقيتُ بعضَ أصدقاءِ الأوَّل، فسألتُه عن حقيقة الحال. [ر/٩٨]

فقال لي: أمسِ لقيتُه، فسألتُه عن سبب وقوف أمرِه، واحتدادِ أمرِ عدوِّه، فردَّ عليَّ جوابَ مكروبٍ آيسٍ من الأمر، ثمَّ قال لي: وقد جعلتُ في نفسي أنَّ انصرافَ هذا الأمر خِيرَةٌ لي؛ فإنَّ فيما أَلِي مِن أمور المملكة كفايةً، ثمَّ أنشدني كالمستريحِ إلى ذلك قولَ الشاعر: [من الطويل]

إذا نحنُ أُبْنَـا سَالِمِينَ بِأَنفُسٍ ... كِـرَامٍ رَجَـتْ أَمْـرًا فَخابَ رَجاؤُهَا

فأَنفُسُنا خَـيـرُ الغنيمَةِ، إِنَّها ... تَـؤوبُ وفيها مـاؤُهـا وحيَاؤُها

---

(١) **أَرْجَف**: خاض في الفتنة والأخبارِ السيِّئة، واختلقَ الأقوال الكاذبة حتى يضطربَ الناس منها، والمعنى هنا: أنَّه أُثير خبر تسلُّم أحد رجال الدولة الوزارة، ثم أثير خبر آخر عن تسلم غيره للوزارة. ينظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (ر ج ف)، و«المصباح المنير» (رج ف)، و«تجارب الأمم» (٦/ ٢٧٦).

(٢) (دولتنا) في (ض): (دولة شاهدتها).

(٣) والقصة أنه تنازع كلٌّ من أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، وأبي الفرج محمَّد بن العباس، وذلك بعد وفاة معز الدولة، فتسلَّم الوزارة أوَّلًا أبو الفضل، وبعد سنينَ آل أمرُها إلى أبي الفرج، وتمَّ له الأمر. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٢٧٦ - ٣٢٤)، و«الكامل في التاريخ» (٧/ ٢٦٨).

فلما كان بعدَ بضعةَ عشرَ يومًا[1] تمَّ أمرُه، وولي الوزارة، وبطلَ أَمرُ عَدُوِّه[2].

(١) (بعد بضعة عشر يومًا)، في (ل): (بضعة عشرة سنة؛ تم أمره). والصواب: (بضع سنين) وذلك بين سنة (٣٥٦) و (٣٦٠) للهجرة. ينظر: «تجارب الأمم» (٦/ ٢٧٦ - ٣٢٤).

(٢) في (ل) زيادة: (وكان هذا الخبر بأن يُجعلَ في باب: «مَن بُشِّر بفرجٍ من نطقٍ أو فألٍ» أولى، ولكن جئت به هاهنا؛ لاشتباه معنى الشعرين في الخبرين المتجاورين).

[٧: ٩٢] [خرج يلتمس التصريف فعاد غنيًّا]

ذكر أبو الحسين القاضي في كتابه بإسنادٍ ذكره(١)**، قال:** حدَّثني أبو عليٍّ أحمدُ بن جعفرَ بنِ عبد ربه [البرتي](٢)، **قال:** حدَّثني أبو سعيدٍ الحسينُ بن سعدٍ القُطْرُبُّليُّ(٣).

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وحدَّثني صاحبٌ لي من ولد إبراهيمَ بن إسحاقَ، أخي موسى بنِ إسحاقَ القاضي الأنصاريِّ الخَطْمِيّ، وهو عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ إسحاقَ، أخي موسى بنِ إسحاق، **قال: سمعت** [ض/١٤٦] **أبا الحسين بنَ أبي عُمرَ القاضي، يحدِّث**(٤) أبا القاسمَ عليَّ بنَ يعقوبَ كاتبَ بجكم(٥)، وكاتبَ التَّرجُمان بهذا الحديث، **ويقول له:** إنِّي ألَّفتُ كتابًا، وسمَّيتُه: «كتاب الفرج بعد الشِّدَّة»، وذكرتُ فيه هذا الخبرَ، وعِدَّةَ أخبارٍ كثيرةٍ تجري مجراه.

---

(١) (بإسناد ذكره) ليست في (ض).

(٢) في النسخ: (البرقي)، والمثبت من «تاريخ بغداد»، وهو أحمد بن جعفر بن عبد ربه بن حسان الكاتب، حدَّث عن عمر بن شبَّة، وروى عنه أبو القاسم بن الثلاج وذكر أنَّه سمع منه في سنة (٣٣٠هـ). وكان ثقة، ولد ببغداد (٢٤٦هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ١١٠).

(٣) هو الحسين بن سعد بن الحسين بن سعد، أبو محمَّد القطربلي، ذكر أبو القاسم بن الثلاج أنَّه حدَّثه في سنة (٣٥٢هـ) عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي. ينظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٥٨٩).

(٤) قوله: (وهو عليُّ بن محمَّدٍ... يحدِّث) في (ر، ن): (الريوب بإسناد قال سمعت).

(٥) هو الأمير بجكم الأعور التركي، أبو الحسين، كان الأميرَ على الجيش والغالبَ على الأمور في زمن الراضي، ولَّاه الأمير أبو منصور تكين الشرطَ بعد وصيف سنة (٣١٧هـ). ينظر: «الأوراق» للصولي (٢/ ١٨٤)، و«المقفى الكبير» (٢/ ٢٢٥).

-قال: وأخذَ يُقرِّظُ كتابَه[1]، ويُشوِّقُ عليَّ بن يعقوبَ إليه - قال أبو سعيد بن الحسين القُطْرُبُّليُّ:

كان في جيراني رجلٌ من أهل البيوتات، وكانت له نعمةٌ، فزالت عنه، وساءت حالُه جدًّا، وكانت له زوجةٌ وأربعُ بناتٍ. فحَبِلَت زوجتُه، وأخذها المخاضُ في الليل.

قال: ولم يكن لي حيلةٌ في الدنيا، فخرجتُ ليلًا، هاربًا على وجهي أمشي، حتَّى أتيتُ جسر النهروان، وأمَّلتُ أن ألقى عامِلَها، وكان يَعرِفُني، فأسألَه تصريفي في شيءٍ، وتعجيلَ بعض رزق شهرٍ؛ لأُنفِذَهُ إلى زوجتي.

فوصلتُ إلى الموضع وقد ارتفعَ النهارُ، فجلستُ أستريحُ بالقرب من بقَّالٍ، فإذا فيجٌ[2] قد جاء، فوضع مخلاةً وعصاةً، ثم قال للبقَّال: أعطني كذا وكذا مِن خُبزٍ ومن تَمرٍ وأُدمٍ[3]، فأعطاه، فأكلَ، ووزنَ له الثمن.

ثمَّ فتح مخلاتَه، فميَّز ما فيها[4] مِن الكُتب، فرأيتُ فيها كتابًا إليَّ، وعليه صفةُ منزلي، ولا أعرفُ كاتبَهُ. فقلتُ للفيج: هذا الكتابُ لي[5].

---

(١) أي: يمدحه ويثني عليه. ينظر: «لسان العرب» (ق ر ظ: ٧/ ٤٥٥).

(٢) **الفَيْجُ**: حامل الأخبار من بلد إلى بلد، وهو فارسيٌّ مُعرَّب. ينظر: «مجمع بحار الأنوار» (ف ي ج).

(٣) (ومن تمر وأدم) في (ض): (وثمر وإدام).

(٤) (وعصاة، ثم قال للبقال... ثم فتح مخلاته، فميز ما فيها) في (ل): (فقبضتها وميز ما معه).

(٥) (ولا أعرف كاتبه. فقلت للفيج: هذا الكتاب لي) في (ر): (فقلت: هذا لي)، وفي (ل): (ولا أعرف كاتبه. فقلت للفيج: هذا الكتاب إلي).

فقال: أتدري ما تقول؟

قلتُ: نعم.

قال: فتعرفُ مَن كتبَه؟

قلت: لا.

قال: فإنَّ فيه سُفتجةً بمالٍ، وبسبب هذا الكتاب خاصَّةً من بين جميع ما معي[1] استُؤجِرتُ وأُخرِجتُ من الدِّينوَر.

فقلتُ له: قد قلتُ لك، وإن مضَيْتَ إلى بغدادَ؛ لم تجد صاحبَ الكتاب غيري.

فقال: أهاهنا إنسانٌ يعرفُكَ؟

قلت: نعم، العامل.

قال: قم بنا إليه.

فجِئتُ، فلمَّا دخلتُ على العامل؛ قال: ما أقدمكَ يا أبا فلانٍ علينا؟

فقلتُ له: قبلَ كلِّ شيءٍ، مَن أنا أعزَّكَ الله؟ وأين منزلي ببغدادَ؟

قال: أنت أبو فلانٍ، فلانُ بن فلانٍ الفلانيُّ، ومنزلُكَ بمدينة المنصور من بغدادَ، في سكَّة كذا.

فقلتُ للفَيجِ: عرفتَ صِدقي؟

---

(١) (خاصة من بين جميع ما معي) ليست في (ل).

قال: نعم.

قال: فحدَّثتُ العاملَ بحديثي، وأخذتُ الكتاب من الفيجِ، فإذا هو من بعض المشهورين[1] بالدِّينَور، يذكرُ أنَّ ابن عمٍّ كان لي بها قد تُوفِّيَ بعدَ أن أوصى إليه أنِّي وارِثُه، وأسماني له، ووصفَ مسكَني ببغدادَ.

وقد كتبَ الرجلُ يذكرُ أنَّه[2] ابنُ عمِّي، ووصَّى بالثلث مِن ماله في وجوهٍ من أرباب القرُبات، وأن يُسلِّمَ باقيَ[3] تَرِكَتِه إليَّ، وأنَّه باع أثاثَ منزِلِه، وما خافَ فسادَه مِن تركتِه، وصرفَ الثلثَ منه في بعضِ ما كان أوصى به، وأنفذَ إليَّ سفتجةً بالثُلثين من ذلك، ومبلَغُها سبعُ مئة دينارٍ وكذا دينارًا، بأجَلٍ أربعينَ يومًا، على تاجرٍ في دار القُطْن بالكَرخ[4].

وقال: المصلحةُ أن تبادرَ إلى الدِّينَور لِتبيعَ العقارَ والضِّياع، أو تبيعَ الثُّلثَ منها؛ ليُصرفَ في وجوهه، وتتمسَّك بالثلثين إن شئت.

قال: فورد عليَّ من السرور ما لا عهدَ لي بمثله، وحمدتُ الله تعالى، وقلتُ للفيج: قد وجبَ حقُّكَ، والإحسانُ إليكَ. وشَرحتُ له قِصَّتي، وأنَّه لا حبَّةَ فضَّةٍ معي فما فوقها.

---

(١) في (ر): (المستورين).

(٢) (يذكر أنه) ليست في (ض).

(٣) في (ض): (ما في).

(٤) **دار القُطن:** محلَّة كانت ببغداد من نهر طابق بالجانب الغربي بين الكرخ ونهر عيسى بن عليّ، ينسب إليها الحافظ الإمام أبو الحسن عليّ الدّارقطني. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٢٢).

فجاءَ بي إلى البقَّال، فقال: زِنْ لأستاذي بكذا وكذا خبزًا، وبكذا أُدمًا، وما يريدُ غيرَهما.

قال: فتغدَّيتُ، ووزن الفيجُ ثمنَ ذلك من عنده، واكترى حمارين، فأركبَني أحدَهما، وركب هو الآخرَ، ووزنَ الكراءَ من عنده.

وجئنا في بقيَّة يومنا[١] إلى بغدادَ، وقصدنا دارَ القطن، وفي النهار بقيَّةٌ صالحةٌ، فأوصلتُ السفتجةَ إلى التاجر، فقال: صحيحةٌ، إذا حلَّ الأجلُ؛ فاحضَرْ للقبض.

فقلتُ له: خُذْ حديثي، وافعل[٢] بعدَ ذلك ما يُوفِّقُكَ الله تعالى له، وترى فِيَّ مروءتكَ.

فقصصتُ عليه قِصَّتي، فقال لي: آللهِ الذي لا إله إلَّا هو، إنَّكَ صادقٌ؟

فحلفتُ له، فأخرجَ كيسًا كان بالقُربِ منه، وأحضرَ الميزانَ، فوزنَ منه مالَ السفتجة.

وأخذَ قبضي، وصِرتُ من ساعتي إلى السوق، فاشتريتُ سويقًا، وعسلًا، وسُكَّرًا وشيرجًا، وخبزًا كثيرًا، ولحمًا مشويًّا، وحلوى، وما يَصلحُ للنساء في النفاس، ومهدًا وقشوةً حسنَين، وعِطرًا صالحًا، وشيئًا من ثيابٍ.

وصرتُ إلى منزلي، وقد قربت العشاءُ الآخرةُ، فوجدتُ كلَّ مَن فيه مِن النساء يَلعَنَّني، ويدعون عليَّ.

---

(١) (وجئنا في بقية يومنا) في (ض): (وجاء بي في بقية اليوم).

(٢) في (ض) زيادة: (فيَّ).

فقدَّمتُ الحمَّالينَ، ودخلتُ وراءَهم، فأمليتُ الدارَ، فانقلبَ الدعاءُ عليَّ فصارَ لي، وصارَ الغمُّ سرورًا، ووجدتُ زوجتي قد ولدَت ابنًا.

فعرَّفتُ الصبيانَ خبرَ السفتجةِ والميراثِ والفَيجِ، وأعطيتُ الزوجةَ والقابلةَ من الدنانير.

وأقمتُ الفَيْجَ عندي أيَّامًا، حتَّى أصلحتُ من أمري وأمرِ عِيالي ما وجب، وخلَّفتُ لهم نفقةً، وأخذتُ من الدنانير نفقةً، وأعطيتُ الفَيْجَ منها، فأجزلتُ له، واكتريتُ حِمارَينِ لي وله، واستصحبتُه إلى الدِّينَوَر.

فوجدتُ قيمةَ ما يخصُّني ممَّا خلَّفهُ ابنُ عمِّي نحوَ عشرةِ آلاف دينارٍ، فبِعتُ ذلك كلَّه، وأخذتُ بحِصَّتي سفاتجَ إلى بغدادَ.

وعُدتُ وقد فرَّج الله - تبارك اسمُه - عنِّي، وأصلحَ حالي، فأنا أعيشُ في بقيَّة تلك الحالِ إلى الآن.

[٧: ٩٣] [أحسنَ إليه فقابلَه بأحسنَ]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه[١]، قال: حدَّثني أبي، عن بعض إخوانِه، أحسَبُه أبا يوسفَ يعقوبَ بنَ بيان[٢]، قال:

أملقَ بعضُ الكُتَّاب في أيَّام الرشيد، حتَّى أفضى إلى بيع دابَّتِه، ونَقضِ دارِه[٣]، فلم يُبقِ فيها إلَّا بيتًا واحدًا، كان يأوي إليه وولدُه، وانقطعَ عن الناس، وانقطعوا عنه دهرًا.

وكان الرشيدُ يُولي[٤] أذربيجانَ وإرْمِينِيَةَ في كلِّ سنتينِ أو ثلاثةٍ رجلًا من بني هاشم.

فولَّاها سنةً من السنين رجلًا منهم فاضلًا، فطلبَ كاتبًا حاذقًا يصطنعُه، وشاورَ فيه صديقًا له من الكُتَّاب، فوصفَ له هذا الرجلَ المتعطِّلَ، ووعدَهُ بإحضارِه.

فصارَ إليه، وطرقَ البابَ عليه، ودخلَ، فوجدَهُ من الفقر على حالٍ لا يتهيَّأُ له معها لقاءُ أَحدٍ.

---

(١) (في كتابه) ليست في (ر).

(٢) في (ض): (بنان)، وفي (ر): (مان). ولم نقف على ترجمته.

(٣) (دابته ونقض داره) في (ر): (داره ونقض ما فيها).

(٤) في (ل) زيادة: (أعمال).

فبعثَ إليه مِن منزله بخلعةٍ من الثياب، ودابَّةٍ، وغلامٍ، وبخورٍ، ودراهمَ، وركبَ معه إلى الهاشميِّ، فلَقِيَهُ.

وامتحنَهُ الهاشميُّ، فوجدَهُ بارعًا في صناعتِه، فاستكتبَهُ، وقرَّرَ جارِيَهُ، وأمرَ له بمالٍ مُعجَّلٍ معونةً له في سَفرِه، وأمرَهُ بتقدُّمِهِ(١) إلى أذربيجانَ.

فعادَ الرجلُ إلى منزله، وأصلحَ حالَهُ، وتركَ نفقةً لعيالِه، وشخَصَ.

فلمَّا بلغَ المصروفَ الخبرُ؛ رحلَ عن البلد، وأخذَ غيرَ الطريق الذي بلغَهُ أنَّ الكاتبَ قد سلكَها، وخلَّفَ كاتبَهُ لرفع الحساب.

فلمَّا شارفَ كاتبُ الوالي الناحيةَ؛ خرج إليه كاتبُ المعزول ولقيه، فسأله عن صاحبه، فأعلمَه بشخوصه إلى مدينة السلام، فأنكرَ ذلك.

فقال له كاتبُ المعزول: مِلْ بنا إلى موضعٍ نجلسُ فيه ونتحدَّث، وترى رأيكَ، فمالا ونزلا، وطرحَ لهما ما جلسا عليه(٢).

[ر/٩٩]

فقال: أعزَّكَ الله، لا تُنكر انصرافَ صاحبي، فإنَّه رجلٌ كبيرُ المقدار، وكان في مُقامِه إلى أن تصيرَ(٣) إلى العملِ مهانةٌ تلحقُه، وقد خلَّفَ قِبَلي خمسَ مئة(٤) ألفِ درهمٍ لصاحبك، وفرشًا ورقيقًا ودوابَّ بقيمة ثلاث مئة ألفِ درهمٍ، فاقبض [ض/١٤٧]

---

(١) في (ض): (بالتقدم).

(٢) (وطرح لهما ما جلسا عليه) ليست في (ض، ل).

(٣) في (ل): (تصيروا).

(٤) (خمس مئة) في (ر): (خمسين ومئة).

ذلك، واكتُب لنا كتابًا بإزاحة عِلَّتِكَ، وانفصالِ ما بيننا وبينَك، ونحنُ ننصبُ لك مَن يرفعُ الحسابَ رفعَ مَن لا يعتَبُ[1] ولا يُستقصى عليه.

فقَبِلَ كاتبُ الوالي ذلك، ورَكِبا، وقد زالَ الخلافُ فيما بينهما، فقبضَ تلك الأشياءَ النفيسةَ لنفسه ولصاحبِه، وكتبَ الكاتبُ إلى الرشيد بإزاحة عِلَّتِه، وانفصالِ ما بينَهُ وبينَهُ[2]، وخرجَ الكاتبُ لاحقًا بصاحبِه، وخرجَ من يتسلَّمُ[3] الحسابَ.

واتَّصل ظاهرُ الخبر بالهاشميِّ الوالي، فكتبَ إلى كاتبه يُنكِرُ عليه، فكتبَ: إنِّي قد بلغتُ في الأمر مبلغًا مَرْضيًّا، إذا وقفتَ عليه رَضِيتَهُ.

فلمَّا صارَ إلى الناحية؛ عرَّفهُ ما جرى، فحَسُنَ مَوقِعُه منه، وتبرَّك بالكاتب، وغلبَ على قلبه، فكسب مالًا عظيمًا.

فلمَّا مضت ثلاثُ سنينَ؛ صُرِفَ الهاشميُّ بالرجل الذي كان واليًا قبلَه، وبلغ الهاشميَّ الخبرُ، فقال لكاتبه: ما الرأي؟

قال: نفعلُ به مثلما فعلَ بنا، وترحَلُ أنتَ، وأقيمُ أنا، ومعي مثلُ ما كان أعطانا، فألقى كاتبَه فأُعطيَه إيَّاه، وآخذَ خطَّهُ بانفصالِ ما بيننا وبينه[4]، وألحقَ بكَ. ففعلَ.

فلمَّا جاء كتابُ الوالي الصارفِ الذي كان مصروفًا قبلَه، تلقَّاهُ كاتبُ الهاشميِّ المصروفِ بالموضعِ الذي رآهُ لمَّا كان معزولًا مصروفًا لقيه فيه،

---

(١) في (ر، ل): (يعنت).

(٢) (فقبض تلك الأشياء النفيسة... وانفصال ما بينه وبينه) ليست في (ر).

(٣) (وخرج من يتسلم) في (ر): (وخلف من يسلم).

(٤) (أنت، وأقيم أنا... بانفصال ما بيننا وبينه) ليست في (ر).

فسلَّمَ عليه، وعدلا فنزلا[1]، وعرضَ عليه ما خلَّفَهُ صاحبُه[2] له ولصاحبه، وسألَه قَبولَ ذلك، والكتابَ بمثلِ ما كان كَتبَ إلى الرشيدِ، فامتنعَ من قَبولِ ذلك، وكتبَ له بانفصالِ ما بينهما إلى الرشيد كتابًا وكيدًا.

وقال: أراكَ فاضلًا فطنًا، وأرى صاحبَك عاقلًا[3]، وقَبولُ هذا منكما لا يكونُ مكافأةً؛ بل يكونُ بيعًا وشراءً[4]، ولكن قد فكَّرتُ في أمرٍ أجمعَ لنا ولكم من هذا.

قال: وما هو؟

قال: أَعقِدُ بين صاحِبي وصاحبِكَ صهرًا، وبيني وبينَك صهرًا، ونكونُ إخوةً وأصدقاءَ.

فقال له: فعلَ الله بكَ وصنعَ، فما في الدنيا أكرَمُ منكَ ولايةً ولا صرفًا.

فعقدا بينهما الصهرين، وسارَ كلٌّ واحدٍ منهما إلى مقصدِه، ودخلَ الكاتبُ المصروفُ[5] بغدادَ، وقد حصلَ صاحبُه الهاشميُّ بها، فأخبرَهُ الخبرَ، فأحمدَ رأيَهُ، وأمضى عقدَهُ في المصاهرة.

---

(١) (رآه لما... فنزلا) في (ض): (كان لقيه فيه فعدلا ونزلا).

(٢) (صاحبه) ليست في (ض).

(٣) (فاضلا) في (ر): (عاقلا).

(٤) في (ر): (كأنه بيع وشراء).

(٥) (وسار كل... المصروف) في (ض، ر): (وسارا إلى مقصدهما ودخل الكاتب).

وصارَ[1] الكاتبُ من أرباب الأموال[2]، وعادَ إلى أفضل ما كان عليه قبلَ محنته. والسلام.

(١) في (ر): (فصار).
(٢) في (ض، ر): (الأحوال).

[٧: ٩٤] [الهُبَيرِيُّ والوزيرُ ابنُ الزيَّات]

وذكر أبو الحسين القاضي بإسنادٍ، قال: حدَّثني أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ الكاتب، **قال:** حدَّثني[1] أحمد بن إسرائيلَ، **قال:**

كنتُ كاتبًا لمحمَّدِ بن عبد الملك الزيَّات في وزارته[2]، فقَدِمَ عليه رجلٌ من ولد عمرَ بنِ هُبَيْرَةَ، يقال له: إبراهيمُ بن عبد الله الهُبَيرِيُّ، فلازمَهُ يلتمسُ تصرُّفًا.

وكان ابنُ الزيَّاتِ قليلَ الخير، لا يرعى ذِمامًا، ولا يُوجِبُ حُرمةً، ولا يُحِبُّ أن يصطنعَ أحدًا، فأضجرهُ الهُبَيرِيُّ مِن طول تَردُّدِه إليه.

فدعاني ابنُ الزيَّاتِ يومًا وهو راكبٌ، فقال: قد تبرَّمتُ بملازمة هذا الرجل، فقل له: إنِّي لست أُوَلِّيه، ولا له عندي تصرُّفٌ، ومُرْهُ بالانصرافِ عنِّي.

قال: فقلتُ له: أنا - واللهِ - أستحي أن ألقى مؤمِّلًا[3] لك عنكَ بمثلِ هذا.

فقال: لا بدَّ أن تفعلَ.

فقلتُ: نعم.

---

(١) في (ل) زيادة: (أبو العباس عبيد الله بن سليمان بن البهلول الكاتب، قال حدثنا).

(٢) (في وزارته) ليست في (ض، ر).

(٣) (مولا) في (ر): (مؤملا)، وفي (ل): (الرجل وهو مؤمل).

فلمَّا صِرتُ إلى منزلي؛ وجَّهتُ إلى الهُبَيرِيِّ، فجاءَني، فقلتُ له: ما كنتَ تُؤمِّلُ أن تنالَ بصحبة أبي جعفرٍ محمَّدِ بنِ عبد الملك، فخُذْهُ[1] من مالي، ولا تقرب بابَهُ.

فقال: مِن مالِكَ؟ تَعجُّبًا مِن قولي.

قلت: نعم.

قال: أنا أُؤمِّلُ أن أكسبَ معهُ وبسببِه[2] أكثرَ ممَّا تنالُه يَدُكَ.

فقلت له: إنَّه قد حمَّلني إليك رسالةً، استحييتُ مِن أدائها، فعدَلتُ بكَ عنها إلى هذا.

قال: لا تَعدِل، وهاتِ ما حمَّلَك.

قال: فأَعدتُ عليه ما قالَه ابنُ الزيَّات.

فقال: سمعتُ منكَ، فهل أنتَ مُؤَدٍّ عنِّي إليه ما أقول؟

قلتُ: نعم[3].

قال: قل له: قد كنتُ آتيكَ في صبيحةِ كلِّ يومٍ، وواللهِ، لآتينَّكَ منذ الآنَ في كلِّ غُدوَةٍ وعشيَّةٍ، وإن قضى الله عَزَّوَجَلَّ لي على يديكَ رزقًا، لآخذنَّه منكَ على رَغمِكَ.

فرجعتُ إلى ابن الزيَّاتِ، فأعلمتُه قولَه.

---

(١) (محمَّد بن عبد الملك فخذه) في (ر): (قال: كذا قال: فخذه).

(٢) (وبسببه) ليست في (ض، ر).

(٣) (قال: سمعت منك... قلت: نعم) ليست في (ل).

فقال: دَعْهُ، فوالله لا يرى منِّي خيرًا أبدًا.

قال: ولازمَهُ الرَّجلُ، غُدوةً وعشيَّةً، فكان إذا رآهُ؛ التفتَ إليَّ، وقال: قد جاءَ البغيضُ. فمكثَ كذلك مُدَّةً[١].

وركب ابن الزيَّاتِ يومًا إلى الواثق[٢]، وهو بالهارونيِّ بسرَّ مَن رأى، وكان يومَ دجنٍ[٣]، وكنتُ معه، فدخلَ إلى الخليفة، وجلستُ في بعض الدُّور، أَنتظِرُ خروجَهُ، فخرجَ، وهو يُكثِرُ التعجُّب.

فقلت له: ماذا تهيَّأ عليك[٤]؟

قال: دخلتُ إلى الخليفة الساعةَ، فقال: هل على بابِنا أحدٌ نصطنعه[٥]؟

فلم يخطر ببالي أحدٌ غيرُ الهُبَيريِّ، فأمسكتُ.

فقال: ويحكَ، أُكلِّمُك فلا تُجِيبُني، وأعجلَني عن الفكر[٦].

فقلتُ: على بابِ أمير المؤمنين رجلٌ من أعدائِه وأعداءِ دولته، ومن أولاد أعداءِ سلَفِه[٧] مِن صنائع بني أميَّةَ، من ولدِ عمرَ بنِ هُبَيرَة.

---

(١) (كذلك مدة) في (ض): (بذلك حينا).

(٢) (إلى الواثق) ليست في (ض).

(٣) **الدَّجْنُ**: إلباس الغيم الأرض، ويوم دَجْنٍ: يومٌ ماطرٌ. ينظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (د ج ن).

(٤) (ماذا تهيأ عليك) في (ر): (وما ذاك).

(٥) (نصطنعه) في (ض): (يجب أن أصطنعه).

(٦) (عن الفكر) ليست في (ض، ر).

(٧) (من أولاد أعداء سلفه) في (ض): (وأعداء أولاد سلفه)، وفي (ل): (وأولاد أعداء سلفه).

قال: فنصطنِعُه فيشكرُنا، كما اصطنعَ آباءَه بنو أميَّةَ، فشكروهم[1].

قلت: إنَّه مُعدِمٌ.

قال: نُغْنِيه[2].

قلت: إنَّه لا معنى فيه.

قال: كم تَدفَعُني عنه؟ أعطِهِ الساعةَ ثلاثينَ ألفَ درهمٍ.

ثم قال: أَمِنْ أهلِ الدراريعِ هو، أم من أهل الأقبية[3]؟

قلت: صاحب قَباءٍ.

قال: قَلِّدهُ الساعةَ عملًا يَصلُح له، وأثبت له مِن ولده وغلمانِه وأهلِه مئةَ رجل.

فلمَّا فرغَ من كلامه؛ قال: قل للهُبَيريِّ ما عرَّفتُكَ، وادفعَ إليه ما أمرَ به أميرُ المؤمنين، واسأله ألَّا يَشكُرَني، فقد جَهَدْتُ في دفع الرزقِ عنه، فما اندفعَ.

---

(١) (كما اصطنع آباءه بنو أمية فشكروهم) ليست في (ر، ل).

(٢) (قلت: إنه معدم. قال: نغنيه) ليست في (ر).

(٣) **الدَّراريع**: جمع دُرَّاعة، وهي: جُبَّة مشقوقة المقدم، أو ثوب تحتانيٌّ، ولا تكونُ إلَّا من الصوف، ويقال: ثوبٌ مُدرَّعٌ. وأصل الكلمة آراميٌّ. ينظر: «معجم متن اللغة» (د ر ع)، و«المعجم العربي لأسماء الملابس» (ص: ١٧١).
الأَقْبِيَة: جمع قَباء، بالمدِّ، وهو: ثوبٌ مفتوحٌ من الإمام، وسمي بذلك لاجتماع أطرافه. وهو فارسيٌّ معرَّب. ينظر: «المحيط في اللغة» (ق ب و)، و«تاج العروس» (ق ب و)، «المعجم العربي لأسماء الملابس» (ص: ٣٧٨).

قال أحمدُ بنُ إسرائيلَ: فلما خرجتُ إلى الشارع، إذا بالهُبيرِيِّ ينتظِرُ خروجَ ابنِ الزيَّاتِ، فعرَّفتُه ما جرى.

فقال: لا بدَّ مِن شُكرِه على كلِّ حالٍ، وجاء ابنُ الزيَّاتِ، فترجَّلَ له الهُبَيرِيُّ، وشكرَهُ.

فقال: ألم أَقل لأحمدَ أن يقولَ لك: لا تشكرني.

قال: لا بدَّ من ذلك؛ لأنَّ الله تعالى قد أجرى رِزقي على يديكَ.

قال أحمدُ بن إسرائيلَ: فوالله، ما انقضى اليومُ، حتَّى قبضَ المالَ، وولي بعضَ كُوَر فارسَ، وأثبت له العُدَّة(١).

وذكر هذا الخبرَ محمَّدُ بن عُبْدوسٍ، في كتابه: «كتاب الوزراء» عمَّن حدَّثه به، عن أحمدَ بنِ إسرائيلَ، فذكر أنَّ الرجلَ، يقال له: أحمدُ بنُ عبدِ الله الهُبيرِيُّ. وذكرَ قريبًا مِن هذا، وذكر أنَّ الذي خُوطِبَ في أمرِه من الخلفاء، كان المتوكِّلُ، وأنَّ الذي أمرَ له به خمسةُ آلافِ درهمٍ، وفي كلِّ شهرٍ ألفي درهمٍ(٢)، وأن يُضمَّ إليه ثلاثُ مئة رجلٍ، وأن حالَهُ بعدَ ذلك علَتْ عند المتوكِّل، ولم يقل أنَّه قلَّدهُ بعضَ كُوَر فارسَ.

وحدَّثني أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بهذا الحديث بإسنادٍ لستُ أحفَظُه**، فخالفَ فيه بأن ذكرَ أنَّ تردُّدَ الهُبَيرِيِّ - ولم يُسَمِّه - كان إلى ابنِ أبي خالدٍ الأحولِ، وأنَّ الرجلَ [ض/١٤٨] الذي حملَ الرسالةَ إلى الهُبَيرِيِّ، قصدَهُ إلى منزلِه، وحملَ معه ثلاثةَ آلافِ درهمٍ،

---

(١) (وأثبت له العدة) ليست في (ر).

(٢) (وفي كل شهر ألفي درهم) ليست في (ر)، وفي (ل): (وفي كل طمع ألفي درهم).

وقال: إنَّ الوزيرَ يقولُ لك: ليسَ لكَ[1] عندي تَصرُّفٌ، فخُذْ هذه نفقةً إلى حيث شِئتَ، وانصرِفْ عنِّي.

قال: فغَضِبَ الهُبَيرِيُّ، وقال: جعلَني شحَّاذًا[2]! والله لا أَخذتُها.

قال الرسولُ: فغاظَني، فقلتُ: والله ما حمَّلَني إليكَ هذا، وما المالُ إلَّا مِن عندي؛ لأنِّي استحييتُ أن أُعيدَ عليك رسالتَهُ، فآثرتُ أن أغرمَ مالًا في الوسط، أُجَمِّلُ به صاحبي، وأُؤْجَرُ فيكَ، وأرفعُ نفسي عن قبيحٍ في الوسط[3] أَرتَكِبُه.

قال: أمَّا أنتَ؛ فأحسنَ الله جزاءَك، وباركَ لك في مالِكَ، فإنِّي لا أَقبلُه، ولو مَصصتُ الثِّمادَ[4]، ولكن تُؤدِّي إليَّ الرسالةَ بِعَينِها.

قال: فأدَّيتُها، فقال: تتفضَّلُ، وتحملُ عنِّي حرفين.

فقلت: هاتِ.

قال: تقولُ له: والله ما لُزومي لكَ لِرَغبةٍ في نفسِكَ، ولو تعطَّلتُ ما مَررتُ ببابِكَ، ولكنَّ اللهَ جلَّ ذِكرُه، يقول: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأنتَ باب رزقِ مثلي؛ لأنِّي لا أُحسِنُ إلَّا هذه الصناعةَ، ولا بدَّ من أن آتيكَ طالِبًا

---

(١) (لك: ليس لك) في (ل): (ليس).

(٢) في (ض): (شحاتًا). وهي من لحن العامة.

(٣) (في الوسط) في (ل): (التوسط).

(٤) **الثِّمادُ:** هو ماء المطر يبقى محقونًا تحتَ رمل، فإذا كُشِف عنه أدَّته الأرضُ، ويسمى به أيضًا المكانُ الذي يُمسِكُ ماءَ المطر، فإذا مر به السيل ملأه وطمَّ عليه، ثم يجيءُ الناس بعد ما ييبس، ويذهب الماء، فيحفرون ويشربون منه. ينظر: «الجيم» (ث م د)، و «أساس البلاغة» (ث م د).

رزقي من بابِه، وليس يَمنَعُني من ذلك استقبالُكَ إيَّايَ بالردِّ، فإنْ قَسَمَ اللهُ تعالى لي على يَدِكَ شيئًا؛ أخذتُه منكَ وأنتَ راغمٌ، وإلَّا فلا أقلَّ من أن أُؤذِيَكَ برُؤيتي، كما تُؤذِيني بعُطلَتِي.

وقال فيه عن أحمد [بن أبي خالد]: فصِرتُ في الوقت إلى المأمون، فقال لي: أَسمِ رجلًا أقلِّدُه مِصرَ.

فأرادَ أن يذكرَ له رجلًا يعتني به، يُعرَفُ بالزبيريِّ؛ لِيتولَّى ذلك العملَ، فلِغَيظِه من الهُبَيرِيِّ وقُربِ عَهدِه بحديثِه غلطَ، فقال: الهُبَيرِيّ.

فقال الخليفة: أوَيعيشُ؟ وعرَفهُ، وذكرَ له خدمةً قديمةً.

وإنَّ ابن أبي خالدٍ قال: لَويْتُه وزهَّدتُه فيه، وطَعنتُ عليه بكلِّ شيءٍ، وهو يقول: لا أريدُ غيرَهُ، أنا أَعرِفُه بالجلادة.

إلى أن قلتُ له: إنِّي غلطتُ، وإنَّما أردتُ أن أقولَ: فلانٌ الزُّبيريُّ.

قال: وإنْ غلطتَ، فالهُبَيرِيُّ أقوَمُ بها من الزُّبَيريِّ، وأنا أَعرِفُهما.

فلمَّا رآني قد أقمتُ على الدفع عنه؛ قال لي: لكَ معه قِصَّةٌ، فاصدقني عنها. فصدَقتُه.

فقال: واللهِ، قد أجرى الله رِزقَهُ على يَدِكَ، وأنتَ راغِمٌ. اخرُجْ فوَلِّهِ.

قلتُ: إنَّه ضعيفٌ، ولا حالَ له، ولا مروءةَ[1]، فكيف يَخرُج مِثلُه على مثل هذه الحال إلى عَمِلِه؟

---

(١) في (ل): (ثروة).

قال: وهذا مِن رزقه الذي يجري[1] على يَدِكَ راغمًا، أطلِقْ له مئةَ ألفِ درهمٍ، وأَخرِجْهُ.

فخرجتُ، فامتثلتُ الأمرَ راغمًا[2].

(١) في (ض): (يخرج).

(٢) ينظر: «نشوار المحاضرة» (٢/ ٢١١). ومن قوله: (وحدَّثني أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الحديث...) إلى هنا ليس في (ر).

[٧: ٩٥] [شيخٌ من أهل الكوفة يخرج فقيرًا فيُعطيه مَن لا يعرفُه أربعةَ آلاف درهم]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه، قال: رُوِي عن شيخٍ من أهل الكوفة، قال: أملَقتُ وبلغَتْ بيَ الحاجةُ إلى أن نَقضتُ مَنزِلي، وبِعتُ نقضَهُ(١)، فلما اشتدَّ عليَّ الأمرُ، وتجرَّد عيالي من الكسوة؛ جاءتني الخادمُ، فقالت: والله ما لنا دقيقٌ، ولا معنا ثَمنُه، فما نعمل؟

فقلتُ: أَسرِجي حماري. قال: وكان قد بقي لي حمارٌ.

فقالت: ما أكلَ شعيرًا منذ ثلاثة أيَّامٍ، فكيف تَركَبُه؟

فقلتُ: أسرجيه على كلِّ حالٍ. فأسرجَتهُ لي، ورَكِبتُه أدبُّ عليه هاربًا ممَّا أنا فيهِ، حتَّى انتهيتُ إلى باب البَصْرة، فلمَّا شارفتُه إذا موكبٌ عظيمٌ مُقبِلٌ، فلمَّا انتهوا إليَّ؛ دخلتُ في جملتهم، فرجعَتِ الخيلُ تريدُ البصرةَ، فسِرتُ معهم حتَّى دخلتُها، وانتهى صاحبُ الموكب إلى منزِله، فنزلَ، ونزلَ الموكبُ معه، ونزلتُ معهم، ودخلنا، فإذا الدِّهليزُ مفروشٌ، والناسُ جلوسٌ مع الرَّجل، فدعا بغداءٍ، فجاؤوا(٢) بأحسنِ غَداءٍ، فتغدَّيتُ مع الناس، ثمَّ وضَّأنا، ودعا بالغالية، فغلَّفَنا بها.

---

(١) (وبعت نقضه) ليست في (ر، ل).

(٢) (فجاؤوا) في (ل، ر): (فإذا قد جاؤونا).

ثمَّ قال: يا غِلمانُ، هاتوا سَفَطًا[1].

فجاء غِلمانُه بسَفَطٍ أبيضَ مشدودٍ، ففُتِحَ فإذا فيه أكياسٌ، في كلِّ كيسٍ ألفُ درهمٍ، فبدأ يُعطي مَن على يمينه، حتَّى أمرَّها عليهم، ثمَّ انتهى إليَّ فأعطاني كيسًا، ثمَّ ثنَّى فأعطاني آخرَ، ثمَّ ثالثًا، وأخذَتِ الجماعةُ واحدًا واحدًا[2].

وبقي في السَّفَط كيسٌ واحدٌ، فأخذَهُ بيده، وقال: هاكَ يا هذا الذي لا أَعرِفُه.

فأخذتُ أربعةَ أكياسٍ، وخرجتُ. فقلتُ لإنسانٍ ممَّن في الدَّار: مَن هذا؟

فقال: عبيدُ الله بن أبي بَكرة[3].

---

(١) **السَّفَطُ**: يُطلقُ على صندوقٍ يوضَعُ فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء، ويُطلَقُ على الجوالق أيضًا. والمقصود هنا المعنى الثاني. ينظر: «تاج العروس» (س ف ط).

(٢) (واحدًا واحدًا) ليست في (ر، ل).

(٣) هو عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي، أبو حاتم: أَوَّلُ من قرأ القرآنَ بالألحان. تابعيٌّ ثقةٌ. مِن أهل البَصْرة. كان أمير سجستانَ، وولي قضاء البصرة. كانت له ثروةٌ واسعة، واشتهر بأخبار من الجود. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٨)، و«الأعلام» (٤/ ١٩١).

[٧: ٩٦] [بعد يأس زوجة يعقوب بن عليٍّ جاءها الفرج]

[ر/ ١٠٠] قال: وحدَّثَ القاضي أبو الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه عن رجلٍ، قال: حدَّثتني جدَّتي أمُّ أبي، قالت: حدَّثتني أمُّ جدِّي، قالت:

كانَ زوجي يعقوبُ بن عليٍّ قد نهضَ إلى مِصرَ، وتصرَّفَ بها، وعَمِلَ(١)، ونُكِبَ، وتعطَّلَ، وأقامَ هناك، وأضقنا إضاقةً شديدةً، وعرضنا بعضَ ضيعنا للبيع، فلم نجد لها ثمنًا، وتأخَّرَ كِتابُه عنَّا، وانقطع خبره(٢)، حتَّى توهَّمنا أنَّ حادثًا حدثَ عليه.

وكان أولادي صِغارًا، فجعلتُ أحتالُ وأُنفِقُ وأتمحَّلُ، حتَّى لم يبقَ في المنزل شيءٌ.

وحضر وقتُ عمارة الضيعة، فاحتَجْنا إلى البذور والنفقة، وتعذَّر ذلك علينا، حتَّى كادت تتعطَّلُ، وأَزِفَ(٣) وقتُ الزراعة.

فأصبحتُ يومًا، وبي من الغَمِّ والقلق(٤) لاجتماع هذه الأحوال أمرٌ عظيمٌ، فوجَّهتُ إلى بعض مَن كنتُ أثقُ به، وأتوهَّمُ أنَّني لو سألتُه إسعافَنا بالكثيرِ مِن مالِه لا يخالِفُنا؛ لِأقترضَ منه شيئًا لذلك، فرَدَّ رسولي، واعتذرَ.

---

(١) (بها وعمل) في (ل): (فيها وتجمل).

(٢) (وانقطع خبره) ليست في (ض، ل).

(٣) في (ش، ر): (ويفوت).

(٤) (والقلق) ليست في (ر): (ض، ل).

وعرَّفني الرسولُ أنَّه قالَ: إذا بعثتُ إليهم ما طلبوا، والضيعةُ لم تُعمَّر، وليسَ يَحصلُ لهم غَلَّةٌ، وزوجُهم غائبٌ لا يُعرَفُ له خَبرٌ؛ فمن أين يَردُّونَ عليَّ؟

قالت: فلمَّا رجعَ الرسولُ بذلك؛ كِدتُ أن أموتَ غمًّا، فامتنعتُ[1] من الطعام يومي وليلتي.

وأصبحتُ، فلمَّا انتصفَ النهارُ، وردَ عَليَّ[2] كتابُ زوجي بسلامتِه، وذِكْرِ السببِ في تأخُّرِ كتابِه، وبسُفْتَجةٍ أرسلَها في طَيِّ كتابِه بمئتي دينارٍ، وذِكْرِ ثيابٍ قد أنفذَها مع تاجرٍ من أهل مِصرَ، قيمتُها خمسونَ دينارًا، فقبضتُ ذلك كلَّهُ، وعمَرْنا الضيعةَ، وزُرِعَتْ في[3] تلك السَّنةِ، فصَلَحتْ حالُنا.

(١) (أن أموت غما فامتنعت) في (ر): (أموت غما وامتنعت).

(٢) (فلما انتصف النهار ورد علي) في (ر): (فما انتصف النهار حتى ورد).

(٣) (وزرعت في) في (ر): (وزكت).

[٧: ٩٧] [سعيد بن العاص أمير الكوفة مع أحد القراء]

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه: قال: يُروى أنَّ سعيدَ بنَ العاص[١] قدِمَ الكوفةَ عاملًا لعثمانَ بن عفَّانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان ممَّن[٢] يتعشَّى عندَهُ رجلٌ من القُرَّاء قد ساءَتْ حالُه.

فقالت له زوجتُه: ويحكَ، إنَّه قد بلغَنا عن أميرِنا هذا كَرمٌ، فاذكُرْ له حالكَ، فلعلَّه أن يُنيلَنا شيئًا، فلم يبقَ للصَّبرِ فينا بقِيَّةٌ.

فقال: ويحكِ، لا تُخلِقي وجهي[٣].

فقالت: ويحكَ، اذكُرْ ما نحنُ فيه على كلِّ حالٍ.

---

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، له صحبة، لكنه لم يرو عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكان أميرًا شريفًا جوادًا حليمًا، ولي إمرة المدينة غير مرّةٍ لمعاوية، والكوفة لعثمان بن عفان، وكان ممن اعتزل الفتنة، (ت: ٥٩هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٤٥ -٤٤٧).

(٢) (ممن) ليست في (ر).

(٣) يُقال للسائلِ: أَخْلَقَ وَجْهَه. أي: أهانَ نَفسَه. يريدُ أنَّه يَخلُقُ -أي: يَبْلَى- وَجْهُه بالمسألة كما يَخلُق الثوبُ. يقال: خَلُقَ الثَّوْبُ، وأَخْلَقَ، وأَخْلَقَهُ صاحِبُهُ، يتعدّى ويلزمُ. ينظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ١٧)، و«شرح مقامات الحريري» للشُّريشي (١/ ٤٠)، و«مختار الصحاح» (خ ل ق).

فلمَّا كان بالعَشيِّ؛ أكلَ عندَهُ، فلمَّا تفرَّقَ[1] الناسُ؛ ثبتَ الرجُل. فقال سعيدٌ: أظنُّ جُلوسكَ لحاجةٍ، فاذكُرها.

فَحَصِرَ الرَّجلُ.

فقال سعيدٌ لغِلمانه: تَنحَّوا. فتنحَّوا، فقال للرجُل: يرحمكَ الله، إنَّما أنا وأنتَ، فاذكُرْ حاجتَكَ، فتعقَّدَ وتعصَّرَ، فنفخَ سعيدٌ المصباحَ، فطفأَهُ. ثمَّ قال له: رَحِمكَ الله، لستَ ترى وجهي، فاذكر حاجتَك.

فقال: أصلحَ الله الأميرَ، أصابتنا حاجةٌ، فأحبَبتُ أن أذكُرَها لكَ. [ض/١٤٩]

قال: إذا أصبحْتَ، فالْقَ فلانًا[2] وكيلي.

فلمَّا أصبحَ الرجلُ؛ لَقِيَ الوكيلَ، فقال له: إنَّ الأميرَ - أدامَ الله عِزَّهُ - قد أمرَ لك بشيءٍ، فأتِ بِمَن يحمِلُه معكَ.

فقال: ليسَ عندي مَن يحمِلُ. ثمَّ انصرفَ إلى زوجتِه يَلومُها، ويقول: قال لي وكيلُه: جِئ بِمَن يحمِلُه معكَ. ما أظنُّه أمرَ لي إلَّا بقوصرةِ تمرٍ، أو قَفِيزِ[3] بُرٍّ، وقد ذهبَ ماءُ وجهي، ولو كانت دراهمَ أو دنانيرَ؛ لأعطانيها بيدي.

فلمَّا كان بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ؛ قالت له امرأتُه: يا هذا، قد بلغَ بنا الأمرُ إلى ما ترى، ومهما أعطاكَ الأميرُ تَقوَّتْنا به أيَّامًا، فالْقَ وكيلَهُ، وكَلِّمهُ.

---

(١) في (ر): (تصرَّم).

(٢) (فلانا) ليست في (ض، ل).

(٣) في (ض، ر): (قفيزين).

فلَقِيَهُ، فقال له الوكيل: أينَ تكونُ؟ أَخبرتُ الأميرَ بأنَّه ليس تَجِدُ مَن يحملُ الذي أمرَ لكَ به، فأمرَني أن أُوَجِّهَ معكَ مَن يَحمِلُه(١).

قال: ثمَّ أخرجَ إليَّ ثلاثةَ أَعبُدٍ من السُّودان، على رأسِ كلِّ واحدٍ منهم بَدْرةُ دراهمَ، وقال: امضُوا معَهُ.

فلما بلغَ الرجلُ بابَ منزله؛ فتحَ بَدْرةً منها، فأخرجَ منها دراهِمَ، فدفعَها إلى السُّودان، وقال: انصَرِفوا.

فقالوا: إلى أينَ ننصرفُ؟ نحنُ عَبيدُكَ، إنَّه ما حملَ مملوكٌ للأمير قَطُّ هديَّةً إلى أحدٍ، فرَجَع إلى ملكه.

قال: فصلَحتْ حالُ الرَّجُل، واستظهرَ على أمرِ دُنياه(٢).

---

(١) (فأمرني أن أوجه معك من يحمله) ليست في (ل).

(٢) ينظر: «المنتظم» (٥/ ٢٩٦).

[٧: ٩٨] [نقله اللَّه من شِدَّة الحاجة إلى مُلْكِ مصرَ]

وذكر أبو الحسين ابنُ أبي عمرَ القاضي في كتابه بإسنادٍ له ذكَرَه، قال: حدَّثني عمِّي محمَّدُ بنُ يوسُفَ بنِ يعقوبَ، قال: حدَّثني بعضُ إخواني(١)، قال: كنت أَحضُرُ طعامَ عبيدِ الله بنِ السَّرِيِّ(٢) بمِصرَ، فكان إذا وُضِعَ الخِوانُ(٣) وضعَ رغيفًا، وتركَ عليه نبذةً(٤) من كلِّ شيءٍ، فإذا فرغَ تصدَّقَ به.

فقُدِّمَتْ بين يديه يومًا عناقٌ مَشوِيَّةٌ سمينةٌ في أوَّل الطعام، فضربَ بيده في جنبها، فجرى دهنها(٥) حتَّى ملأت الخِوانَ دسَمًا، فأمسكَ يدَهُ، وقال: الحمدُ لله، ذكرتُ بهذا شيئًا، إذا فرَغتم أُحدِّثُكم به، ثمَّ أمر بالخِوان وجميع ما عليه للمساكين، ودعا بخِوانٍ آخرَ، فلما انتهينا في الأكل قال: أُحدِّثُكم أنِّي(٦) كنت ببغدادَ نازلًا بجوار سوقِ الهيثم، فأصابتني حاجةٌ شديدةٌ، فبقيتُ لا أملكُ حَبَّة فضَّةٍ فما فوقَها، ولا في منزلي ما أبيعُه.

---

(١) في (ر): (أخوالي).

(٢) هو عبيد الله بن السري بن الحكم، أمير مصر، وابن أميرها، بايع له الجند سنة (٢٠٦هـ) وأقرَّه المأمون العباسي، وكان حازمًا شجاعًا، وأقام في العراق إلى أن توفي بسرَّ مَن رأى (٢٥١هـ). ينظر: «الولاة والقضاة» (ص: ١٣١)، و«الأعلام» (٤/ ١٩٣).

(٣) في (ر): (المائدة).

(٤) (رغيفًا وترك عليه نبذة) في (ر): (وضع المائدة أزال بيده).

(٥) (فجرى دهنها) في (ر): (فشخبت).

(٦) (ثم أمر بالخوان... قال: أحدثكم أنِّي) ليست في (ر).

فإنِّي لكذلك وما عندي طعامٌ، ولا ما أشتري به قوتَ يومي، وأنا جالسٌ على باب داري ضَيِّقُ الصدر، أُفكِّرُ فيما أعمَلُه؟

إذ اجتاز بي صديقٌ لي، وتحدَّثنا[1]، فعرضتُ عليه المقامَ عندي عرضَ معذورٍ، كما جرى على لِساني، فأصغى إلى قولي، وأجابَني، وقعدَ. فانقطعَ بي، وتمنَّيت أنِّي خَرِستُ، ولم أجد بُدًّا مِن إدخاله منزلي، فأدخلتُه.

وقُمت إلى أمِّي، فعرَّفتُها الخبرَ، فأعطتني مقنعتَها، فقالت: بِعْها، وقم بأمر ضيفِكَ اليومَ.

فخرجتُ وبِعتُها بثلاثةِ دراهمَ، واشتريتُ بها خبزًا وسمَكًا وبقلًا، وريحانًا، وجئتُ به.

فبينما نحن كذلك؛ إذ مرَّت بي[2] سِنَّورٌ لبعض الجيران، فمَددتُ يدي إلى عُنقِها، فإذا هي ذلولٌ، فقبضتُ عليها، وذَبحتُها، وسلختُها، ودفعتُها إلى أمِّي، وقلت: اشويها لنا، ففعلَتْ، وقدَّمتُها إلى صديقي، مع ما اشتريتُه، فأكلناها[3].

فذكرتُ لمَّا وقعَتْ يدي على هذه العناق، وجاءَ إليَّ ذلك الدهنُ، وما كُنَّا فيه من الضيق، وما نحن اليومَ فيه[4] من السعة والنعمة ونفاذ الأمر، فالحمدُ لله على ما أنعمَ.

ودعا بمالٍ عظيمٍ، وأمرَ أن يُتصدَّقَ بنصفه بمِصرَ، ويُحملَ نِصفُه إلى مكَّةَ والمدينةِ؛ يُتصدَّقُ به هناكَ.

---

(١) (بي صديق لي وتحدثنا) في (ر): (صديق لي فجلس إلي وتحدثنا).

(٢) (بي) ليست في (ر).

(٣) الجمهور على تحريم أكل لحم الهرة لأنها تعدو بنابها. انظر: «الموسوعة الفقهية» (٤٢/ ٢٦٩).

(٤) (وجاء إلي... اليوم فيه) في (ر): (وحالي تلك وما لنا اليوم).

[٧: ٩٩] [أوَّلُ دخول الأصمعيِّ إلى الرشيد]

وذكر أبو الحسين القاضي أيضًا في كتابه: أنَّ الأصمعيَّ قال: لزِمتُ بابَ الرشيد، فكنتُ أُقيمُ عليه طولَ نهاري، وأَبيتُ بالليل مع الحُرَّاس أُسامِرُهم، وأتوقَّعُ طالِعَ سعدٍ، حتَّى كِدتُ أموتُ ضَرًّا وهُزالًا، وأن أصيرَ إلى ملالةٍ[١]، ثمَّ أتذكَّرُ ما في عاقبة الصبر من الفرَج، فأُؤَمِّلُ صلاحَ حالي باتِّفاق محمودٍ، فأصبر.

فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ، وقد اعتراني فيها السُّهادُ والأَرقُ؛ إذ خرجَ بعضُ الحُجَّاب، فقال: هل بالباب أَحدٌ يُحسِنُ الشِّعر؟

فقلتُ: الله أكبر، رُبَّ ضيقٍ فكَّهُ التيسيرُ، أنا ذلكَ الرَّجُل.

فأخذ بيدي، وقال: ادخل، فإن خُتِمَ لكَ بالسعادة والتصويب لرأيه[٢]، فلعلَّها أن تكونَ ليلةً يُعوَّضُ[٣] فيها بالغِنى.

فقلتُ: بشَّركَ الله تعالى بخيرٍ، ودخلتُ، فواجهتُ الرشيدَ في البهو جالسًا، والخدمُ قيامٌ على رأسِه، وجعفرُ[٤] بن يحيى جالسٌ إلى جنبه.

---

(١) (ملالة) في (ض): (الفناء أو الحرمان)، وفي (ل): (الغنى أو الحرمان). والمثبت موافق لما في «العقد الفريد» (٦/ ١٥٩).

(٢) (والتصويب لرأيه) في (ل): (وأرضيته).

(٣) في (ض): (تعرض)، وفي (ر): (تعرفني).

(٤) في «العقد الفريد» (٦/ ١٦٠): (الفضل) وكذا في باقي المواضع.

فوقفَ بي الحاجِبُ حيثُ يسمعُ تسليمي، فسلَّمتُ، ثم قال: تنحَّ قليلًا وتسَكَّنْ[١]، إن كنت وجدت للروعةِ حِسًّا.

فقلتُ في نفسي: فرصةٌ تفوتُني آخرَ الدهر بعارضِ شُغلٍ؛ فلا أعتاضُ منها إلَّا كمدًا يُطبِقُ عليَّ الضريحُ[٢]، فقلتُ: إضاءةُ كرم أميرِ المؤمنينَ، وبهاءُ مَجدِه، مُجيرانِ لمن نظرَ إليه من أذيَّة النفس، يسألُني أميرُ المؤمنينَ -أيَّدهُ الله تعالى- فأجيبَ، أم أَبتدي فأُصيبَ؟

فتبسَّمَ إليَّ جعفرٌ، وقال: ما أحسنَ ما استدعى الإحسان، وأَحْرِ بهِ[٣] أن يكونَ مُحسِنًا.

ثمَّ قال لي: أشاعرٌ أنتَ، أم راويةٌ؟

قلت: راويةٌ.

قال: لمن؟

قلت: لكلِّ ذي جِدٍّ وهزلٍ، بعدَ أن يكونَ مُحسِنًا.

قال: أنصفَ القارَةَ مَنْ راماها[٤]. ثمَّ قال: ما معنى هذه الكلمة؟

---

(١) (وتسكن) ليست في (ض، ل).

(٢) (يطبق علي الضريح) في (ض): (يطبق على التصريح)، وفي (ر): (يضيق علي الضريح).

(٣) في (ر): (وأحرى به).

(٤) ينظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٢٧)، ومعجم «العين» (ق ا ر) (٥/ ٢٠٥).

قلتُ: لها وجهان؛ زعمت التبابعةُ أنَّه كان لها رُماةٌ لا تقعُ سِهامُها في غير الحَدَق، وكانت تكون في الموكبِ الذي يكونُ فيه الملِكُ على الجياد البُلق[1]، فخرجَ فارسٌ مُعْلِمٌ[2] بعَذَباتِ سَمُّورٍ[3] في قَلَنْسُوَتِه، فنادى: أين رُماةُ الحَدَق؟ فقالت العربُ: «أنصفَ القارةَ مَن راماها».

والوجه الآخَر: الموضعُ المرتفعُ من الأرض، والجبلُ الشاهق، فمن ضاهاهُ بفِعاله فقد راماه. وما أحسبُ هذا هو المعنى؛ لأنَّ المُراماةَ كالمعاطاة، [ر/١٠١] فكما أنَّ المعاطاةَ للنديم، وهو أن يأخذَ كأسًا ويُعطِيَ كأسًا، كذلك المراماةُ؛ أن يرمِيَها وتَرمِيَهُ.

قال: أصبْتَ. أَرَوَيْتَ للعَجَّاجِ رُؤْبَةَ[4] شيئًا؟

قلتُ: الأكثر.

قال: أَنشِدْني قوله: [من الرجز]

أرَّقَني طارقُ همٍّ طرَقا[5]

---

(١) (على الجياد البلق) ليست في (ر).

(٢) **أَعْلَمَ الفارسُ**: جعلَ لنفسه علامةً، واسمُ الفاعل منه: مُعْلِم. ينظر: «الصحاح» (ع ل م).

(٣) **العَذَباتُ**: جمع عَذَبَةٍ، وهي: الطَّرَفُ من الشيء، فعَذَبةُ اللسان طرفه، وعذَبة السَّوط طرفُه، وعذَبة الشجرة غُصنها. ينظر: «المصباح المنير» (ع ذ ب).
السَّمُّور: حيوانٌ في بلاد الروس، يشبه النِّمس، منه الأَسْوَد، ومنه الأشقر. ينظر: «تاج العروس» (س م ر).

(٤) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأمويَّة والعبَّاسيَّة. ينظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٠٣)، و«الأعلام» (٣/ ٣٤).

(٥) مطلع قصيدةٍ لرؤبةَ بن العجاج في مدح بني أمية، والبيت بتمامه: =

فمضيتُ فيها مُضيَّ الجواد، تَهدُر أشداقي، فلمَّا بلغتُ مدحَهُ لبني أميَّةَ؛ ثنيتُ عنانَ اللسان؛ لامتداحِه المنصورَ.

فقال: أَعن عَمدٍ، أو غيرِ عَمد؟

قلت: بل عن عَمدٍ، تركتُ كَذِبَهُ إلى صِدْقِه، بما وصفَ به المنصورَ من مَجدِه.

فقال جعفرٌ: باركَ الله عليك، مِثلُكَ يُؤهَّلُ(١) لمثل هذا الموقف.

ثمَّ نظرَ إليَّ الرشيدُ، فقال: أرَويْتَ لِعَدِيِّ بن الرِّقاع شيئًا؟

قلت: الأكثر.

قال: فأَنشِدْني قولَه: [من الكامل]

بانَتْ سُعادُ وأخلفَتْ ميعادَها(٢)

فابتدأتُ تَهدِر أشداقي، فقال لي جعفرٌ: يا هذا، أَنشِدْ على مهَلٍ، فلن تنصرفَ إلَّا غانمًا.

فقال الرشيدُ: أما إذ قطعْتَ عليَّ، فأُقسِمُ لَتُشرِكَنِّي في الجائزة.

= أَرَّقَنـي طَـارِقُ هَـمٍّ أرَّقَـا ... وَرَكْـضُ غِـرْبـانٍ غَـدَوْنَ نُغَّقَا

ينظر: «تاج العروس» (أ ر ق) (٢٥/ ٩).

(١) في (ل): (يؤمل).

(٢) وتمامه: (وتباعدَتْ مِنَّا لِتمنعَ زادَها). ينظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (٤/ ٢٥٤).

قال: فطابت نفسي بذلك، فقلتُ: أفلا ألبسُ أرديةَ التيهِ على العرب، وأنا أرى الخليفةَ والوزيرَ يتشاطران المواهبَ لي، فتبسَّمَ، ومضيتُ فيها.

ثم قال: أرويتَ لِذي الرِّمَّةِ[1] شيئًا؟

قلتُ: الكثير.

قال: أنشِدْني قولَهُ: [من الطويل]

أَمِن حَذَرِ الهِجْرَانِ قَلبُك يَطْمَحُ[2]

قلت: هو عروسُ شِعره.

قال: فأيُّه الختَن؟

قلتُ: قوله يا أمير المؤمنين: [من البسيط]

ما بالُ عينِكَ منها الماءُ ينسَكِبُ[3]

قال: امضِ فيها. فمضَيتُ، حتَّى انتهيتُ إلى وَصفِه جمَلَهُ.

فقال جَعْفرٌ: بقي علينا[4] مسامرةُ السَّهر بجَملٍ أجربَ.

---

(١) هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، من مضر، شاعرٌ من فحول الطبقة الثانية في عصره، امتاز بإجادة التشبيه، (ت: ١١٧هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ١١)، و«الأعلام» (٥/ ١٢٤).

(٢) **وتمامه**: (كَأَنَّ فَلُوًّا بَينَ حِضْنَيكَ يَرْمَحُ). ينظر: «ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي» (٣/ ١٨٥٨).

(٣) **وتمامه**: (كأنَّه مِن كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ). ينظر: «ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي» (١/ ٩).

(٤) (بقي علينا) في (ض): (تغلي علينا ما امتنع من)، وفي (ل): (لعلي علينا ما اتسع من)، والمثبت من (ر، ن، ح).

فقال الرشيد: اسكُتْ، فهي التي سلبَتْكَ تاجَ مُلكِكَ، وأزعجتْكَ عن قرارِكَ، ثم جعلْتَ جلودَها سياطًا، تضربُ بها أنتَ وقومُكَ عند الغضب.

فقال جعفرٌ: الحمد لله، عُوقِبتُ من غير ذنبٍ.

فقال الرشيد: أخطأتَ في كلامك، لو قلتَ: أستعينُ بالله؛ قُلتَ صوابًا، إنَّما يُحمَدُ اللهُ تعالى على النِّعَم، ويُستعانُ على الشدائد[1].

ثمَّ قال لي: إنِّي لأَجِدُ[2] مللًا، وهذا جعفرٌ ضيفٌ عندنا، تُسامِرُه باقيَ ليلتِكَ، وإذا أصبحْتَ فإنَّ رضا الخادمَ يلقاكَ بثلاثينَ ألفَ درهمٍ.

ثمَّ قامَ، وقُدِّمَت إليه النعلُ، فجعلَ الخادمُ يُصلِحُ عقبَ النعلِ في رجلِه، فقال: ارفُقْ ويحكَ، أحسَبُكَ قد عقرْتَني.

فقال: جَعفرٌ: قاتلَ الله العجمَ، لو كانت سنديَّةً؛ ما احتاجَ أميرُ المؤمنينَ إلى هذه الكلفة.

قال: هذه نعلي ونعلُ آبائي، لا تدَعُ نفسَك والتعرُّضَ لما تكره[3]! ومضى.

فقال لي جعفرٌ: لولا أنَّه مجلسُ أميرِ المؤمنينَ، ولا يجوزُ أن آمُرَ فيه بمثلِ ما أمرَ لك؛ لأمرتُ لك بثلاثينَ ألفَ درهمٍ، ولكن قد أمرتُ لك بتسعةٍ وعشرينَ ألفَ درهمٍ، فإذا أصبحْتَ فاقبَضْها، والزم الخِدْمة.

---

(١) كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال». رواه ابن ماجه (٣٨٠٣).

(٢) (لي إني لأجد) في (ض): (إني لم أجد)، وفي (ل): (لي إني لا أجد).

(٣) (تكره) في (ل): (أنكره).

فما صلَّيتُ من غدٍ الظهرَ إلَّا وفي منزلي ما أُمِرَ لي به، فأثريتُ[1] ولَزِمتُهما، وزال ما كنت فيه من الضُّرِّ، وأتاني الإقبالُ والنِّعم[2].

(١) في (ر): (فأيسرت).

(٢) في (ر) زيادة: (والسلامة وأفلحت ولله الحمد). ينظر: «العقد الفريد» (٦/ ١٥٩).

[٧: ١٠٠] [عمرو بن مَسْعدةَ وحائكُ الكلام]

وذكرَ أبو الحسين القاضي في كتابه، قال: بلغَني عن عَمرِو بنِ مَسْعَدةَ أنَّه قال:

كنتُ مع المأمون عندَ قدومِه من بلاد الرُّوم، حتَّى إذا نزلَ الرقَّةَ قال لي: يا عَمرُو، أما ترى الرُّخَّجيَّ قد احتوى على الأهواز، وهي سَلَّةُ الخبز، وجميعُ[1] الأموالِ قِبَلَه، وقد طَمِعَ فيها، وكُتبي متَّصِلةٌ إليه بحَمْلِها، وهو يَتعلَّلُ، ويَتربَّصُ فِيَّ[2] الدوائرَ.

فقلتُ: أنا أكفي أميرَ المؤمنينَ هذا، وأُنفِذُ إليهِ من يضطرُّه إلى حَملِ ما عليه.

قال: ما يُقنِعُني هذا.

قلت: فيأمرُ أميرُ المؤمنينَ بأمرِه.

قال: تَخرجُ إليه بنفسِكَ حتَّى تُصفِّدَه بالحديد، وتَحمِلَهُ إليَّ، بعد أن تقبضَ جميعَ ما في يدِه من أموالِنا، وتنظُرَ في العمل، وتُرتِّبَ فيه عُمَّالًا.

فقلتُ: السمع والطاعة.

فلما كان من غدٍ؛ دخلتُ إليه، فقال: ما فعلْتَ فيما أمرتُكَ به؟

(١) (الخبز وجميع) في (ر): (الخير وجمع).
(٢) (فيَّ) ليست في (ر).

قلتُ: أنا على ذلك.

قال: أريدُ أن تَجِيئَني في غدٍ مُوَدِّعًا.

قلتُ: السمعُ والطاعة، فلمَّا كان مِن غدٍ جِئتُه مودِّعًا.

فقال: أريدُ أن تحلفَ لي أنَّك لا تقيمَ ببغدادَ إلَّا يومًا واحدًا، فاضطربتُ من ذلك، إلى أن حظرَ عليَّ واستحلفَني أن لا أُقيمَ فيها أكثرَ من ثلاثة أيَّامٍ، فخرجتُ، وأنا مضطربٌ مغمومٌ، وقلتُ في نفسي: أنا في موضع الوزارة، وقد جعلَني مستحثًّا إلى عاملٍ، ومستخرجًا، ولكنَّ أمرَ الخليفة لا بدَّ من سَماعِه، وامتثالِ مرسومِه.

وسِرتُ حتَّى قَدِمتُ بغدادَ، ولم أُقِمْ بها إلَّا ثلاثةَ أيَّامٍ، وانحدرتُ[1] منها في زَلَّالٍ، أريدُ البصرةَ، وجُعِلَ لي فيه خيشٌ، واستكثرتُ من الثلج لشِدَّة الحَرّ.

فلمَّا صِرتُ بين جَرْجَرايا وجَبُّلَ[2]؛ سمعتُ صائحًا من الشاطئ يصيحُ: يا ملَّاحُ.

فرَفعتُ سَجْفَ[3] الزَّلَّالِ، فإذا أنا بشيخٍ كبيرِ السنِّ، حاسرِ الرأسِ، حافي القدمَينِ، خَلَقِ القميصِ، فقلتُ للغُلام: أَجِبْه. فأجابَهُ[4].

---

(١) قوله: (فخرجت... أيام) ليس في (ض، ل).

(٢) **جَرْجَرايا**: بلدٌ من أعمال النهروان الأسفل، بين واسطَ وبغدادَ من الجانب الشرقيِّ. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٢٣).
وجَبُّل: مدينة بالعراق عند جرجرايا، فيها جوامع وأسواق. ينظر: «الروض المعطار» (ص: ١٥٦).

(٣) **السَّجْف**: بالفتح ويُكسَر، وهو السَّتر. ينظر: «المحكم والمحيط الأعظم» (س ج ف).

(٤) قوله: (فإذا بشيخ.. فأجابه) في (ض): (فإذا أنا بشيخ كبير السن)، وفي (ل): (فإذا بشيخ كبير السن سيء الحال).

فقال: إنِّي شيخٌ كبيرُ السنِّ على هذه الصورة التي ترى، وقد أحرقَتْني الشَّمسُ، وكادت تُتلِفُني، وأنا أريدُ جَبُّلَ، فاحمِلُوني معكم، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُحسِنُ أجرَ صاحبِكم.

قال: فشتمَهُ الملَّاحُ، وانتهرَهُ.

فأدركَتْني عليه رِقَّةٌ، وقلتُ للغِلمان: خذوه معنا. فقَدِمَ إلى الشطِّ، وصِحنا به، وحملناهُ.

فلمَّا صار معنا في الزَّلَّال وانحدَرْنا؛ تقدَّمتُ فدفعتُ إليه قميصًا ومنديلًا، فغسلَ وجهَهُ، واستراحَ، فكأنَّه كان ميتًا عاد إلى الدنيا.

وحضر وقتُ الغداء، فتذمَّمتُ وقلتُ للغلام: هاتِه يأكُلْ معنا.

فجاء وقعدَ على الطعام، وأكلَ أكْلَ أديبٍ، غير أنَّ الجوعَ بَيِّنٌ عليه.

فلما رُفِعت المائدةُ؛ أردتُ أن يقومَ ويغسلَ يدَهُ ناحيةً كما تفعلُ العامَّةُ في مجالس الخاصَّة، فلم يفعل، فغسلتُ يديَّ.

وتذمَّمتُ أن آمُرَ بقيامِه، فقلتُ: قدِّموا له الطَّسْتَ، فغسلَ يدَهُ، وأردْتُ بعدَها أن يقومَ لِأنامَ، فلم يفعل.

فقلتُ: يا شَيخُ، أيُّ شيءٍ صناعتُكَ؟

قال: حائكٌ، أصلحكَ الله.

فقلتُ في نفسي: هذه الحياكةُ علَّمَتهُ سُوءَ الأدب، فتناوَمتُ عليه[1] لِيقومَ، ومَددتُ رِجْليَّ.

فقال: قد سألتَني عن صناعتي، فأنتَ[2] - أعزَّكَ الله - ما صناعتُك؟

فأَكبَرْتُ ذلك، وقلتُ: أنا جَنيتُ على نفسي هذه البَلِيَّة، ولا بدَّ من احتمالِها[3]، أتُراهُ لا يرى زَلّالي وغِلْماني ونِعْمتي، وأنَّ مِثلي لا يقالُ له مثل هذا. فقلت: ليس إلَّا الهَزلُ بهذا، فقلتُ له: كاتبٌ.

فقال لي: أصلحكَ الله، إنَّ[4] الكُتَّابَ خمسةٌ، فمِن أيِّهم أنتَ؟ فسمعتُ كلمةً أكبَرتُها، وكنتُ مُتَّكِئًا فجلستُ، ثمَّ قلتُ: فَصِّلْ ليَ الخمسةَ.

قال: نعم:

١- **كاتبُ خَراجٍ**، يحتاجُ أن يكونَ عالمًا بالشُّروطِ، والطُّسوقِ[5]، والحِسَابِ، والمسَاحةِ، والبُثُوقِ[6]، والفُتُوقِ، والرُّتُوقِ[7].

---

(١) (هذه الحياكة... عليه) في (ض، ر): (هذا عمل الحاكة، فتناومت).

(٢) (قد سألتني عن صناعتي، فأنت) في (ض، ل): (أنت).

(٣) (ولا بد من احتمالها) ليست في (ض، ل).

(٤) (لي أصلحك الله إن) في (ر): (كاتب كامل، أم كاتب ناقص؟ فإن).

(٥) **الطُّسوق**: جمع طَسقٍ، بفتح الطاء، وهو: مَا يُوضَعُ من الخَراج المُقرَّر على أرضٍ معلومة. ينظر: «تاج العروس» (ط س ق).

(٦) (والبثوق) ليست في (ض، ل). **والبُثُوقُ**: جمع (بِثْقٍ) بكسرٍ فسكونٍ، وهو الموضع المكسور من الشطِّ، أو السِّكْر، ينبثقُ منه الماء. ينظر: «جمهرة اللغة» (ب ث ق).

(٧) **الفُتُوْق**: الفَتقُ في اللغة: الشَّقُّ، ويُطلَقُ على الأرض التي لا ينزل المطر فيها، وينزل حولها. **والرُّتُوْق**: الرَّتقُ في اللغة: السَّدُّ، ويُطلَق على الأماكن المسدودة، ولعلَّ المقصودَ معنًى =

٢- **وكاتبُ أحكامٍ**، يحتاجُ أن يكونَ عالمًا بالحلالِ والحرامِ، والاختلافِ، والاحتجاجِ، والإجماعِ، والأصولِ[١]، والفروعِ.

٣- **وكاتبُ مَعونةٍ**، يحتاجُ أن يكونَ عالمًا بالقِصاصِ، والحدودِ، والجراحاتِ، والمراتباتِ[٢]، والسياساتِ.

٤- **وكاتبُ جيشٍ**، يحتاجُ أن يكونَ عالمًا بحِلَى[٣] الرجالِ، وشياتِ الدوابِّ[٤]، ومداراةِ الأولياءِ، وشيءٍ من العِلمِ بالنسبِ، وشيءٍ من الحسابِ.

٥- **وكاتبُ رسائلَ**، يحتاجُ أن يكونَ عالمًا بالصدور، والفصول، والإطالة والإيجاز، وحُسْنِ الخطِّ، والبلاغةِ، والفَهْم.

فأَيُّهم أنتَ؟

قال: فقلتُ له: كاتبُ رسائلَ.

قال: فأسأَلُكَ عن بَعضِها.

قلتُ: سَلْ.

= من معاني المجاز، أي: أماكنُ الخِصْب والجَدْب. ينظر: «الصحاح» (ف ت ق)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٣٧٧)، «المطلع على ألفاظ المقنع» (ص: ٣٩٣).

(١) في (ض، ل) زيادة: (والضبط).

(٢) في (ض، ل): (والمواتبات).

(٣) في (ل): (بخلق).

(٤) **شيات الدوابّ**: أي متعلَّقات الدوابّ فيما يخص الخراج؛ من: ذكر نوع الدابة، ولونها...إلخ. ينظر: «الخَراجُ وصناعةُ الكتابة» (ص: ٣٠).

فقالَ لي: أصلحكَ الله، لو أنَّ رجلًا من إخوانِكَ تزوَّجتْ أمُّه، كيف كنتَ تُكاتِبُه مهنئًا؟ ففكَّرتُ في الحال، فلم يَخطُر ببالي شيءٌ، فقلت: ما أرى للتهنئةِ وجهًا.

قال: فتكتبُ إليه، تُعزِّيه؟

ففكَّرتُ، فلم يَخطُر ببالي شيءٌ أيضًا، فقلتُ: أَعْفِني. [ر/١٠٢]

فقال: قد فعلتُ، ولكنَّك لستَ كاتبَ رسائلَ.

قلت: أنا كاتبُ خَراجٍ.

قال[١]: لو أنَّ أميرَ المؤمنين ولَّاكَ ناحيةً، وأمركَ بالعدل والإنصاف، وتَقصِّي حقَّ السُّلطان، فتظلَّمَ إليكَ بعضُهم من مُسَّاحِكَ، فأحضرتَهم للنَّظر بينهم وبين رَعِيَّتك، فحلف المسَّاحُ بالله العظيمِ: لقد أَنْصَفوا، وما ظَلَمُوا. وحلفَتِ الرعيَّةُ بالله العظيم: لقد جارُوا وظَلَموا. فقالت الرعيَّةُ: قِفْ معَنا على ما مَسحُوه، وانظُر: مَن الصادقُ؟ ومَن الكاذب؟

فخرجْتَ لِتقفَ على ذلك، فوقفُوا بكَ على قَراحٍ[٢]، شكلُه: قابل قشا[٣]، فكيف كنت تمسحه؟

---

(١) في (ر) زيادة: (لا بأس).

(٢) **القَرَاحُ**: المزرعةُ التي ليس عليها بناءٌ، ولا فيها شَجرٌ. والجمعُ: أَقرِحَة. ينظر: «الصحاح» (ق ر ح).

(٣) (قابل قشا) في (ر): (قاتل قشا)، وفي (ش): (قاتل قثا)، وفي «صبح الأعشى» (١/ ١٧٩): (قابل قسيا)، ولم نقف على معناها.

قلت: كنتُ آخذُ طُولَه على انعواجِه، وآخذُ عرضَه[1]، ثمَّ أمسَحُه وأَضرِبُه[2].

قال: إنَّ شكلَ قابل قشا يكونُ رأساهُ مُحدَّدين، وفي تحديدِه[3] تقويسٌ.

قلتُ: فآخُذ الوسطَ، فأَضرِبُه في العرض.

قال: إذًا ينثني عليكَ العمودُ.

فأسكتَني، فقلتُ[4]: ولستُ كاتبَ خَراجٍ.

قال: فإذًا ماذا؟

قلت: أنا كاتبُ قاضٍ.

قال: لا تُبالِ، أفرأيتَ لو أنَّ رجلًا تُوفِّيَ، وخلَّف امرأتين حاملَتين[5]، إحداهما حُرَّةٌ، والأخرى مملوكةٌ له سريَّةٌ، فولدَتِ السريَّةُ غلامًا، والحُرَّةُ جاريةً، فعمدت الحُرَّةُ إلى ولد السَّرِيَّةِ، فجعلَتْهُ في مَهدِها، ووضعتُ ابنَتها في مهد ولد السريَّة، واحتكمتا إليكَ في ذلك، كيف يكونُ الحُكم بينهما؟ [ض/ ١٥٠]

قلت: لا أدري.

قال: لستَ بكاتبِ قاضٍ.

قلتُ: فأنا كاتبُ جيشٍ.

(١) (على انعواجه، وآخذ عرضه) في (ض): (وعرضه).
(٢) (أمسحه وأضربه) في (ر): (أضربه في مثله).
(٣) (محددين، وفي تحديده) في (ل): (محذفين وفي وسطه).
(٤) في (ض، ل): (وقال).
(٥) (حاملتين) ليست في (ض).

قال[1]: أرأيتَ لو أنَّ رجلين جاءا إليك لتُحَلِّيَهُما، وكلُّ واحدٍ منهما اسمُه واسمُ أبيه كاسم الآخرِ واسم أبيه، إلَّا أنَّ أحدَهُما مشقوقُ الشَّفة العليا، والآخَرُ مشقوقُ الشَّفةِ السُّفلى، كيف كنت تُحَلِّيهِما؟

قلت: كنت أكتبُ: فلانٌ الأعلم، وفلانٌ الأعلم.

قال: إنَّ رِزقَيهما مختلفان، وكلُّ واحدٍ منهما يجيءُ في دعوة الآخر.

قلت: لا أدري.

قال: فلست كاتبَ جيشٍ.

قلتُ: أنا كاتبُ مَعونةٍ.

قال: لا تُبالِ، لو أنَّ رجلين رُفِعا إليكَ، قد شُجَّ أحدُهما شجَّةً مُوضِحةً، وشُجَّ الآخَرُ شَجَّةً مأمومةً، كيف كُنتَ تفصلُ بينهما؟

قلتُ: لا أدري.

قال: لستَ إذًا كاتبَ معونةٍ، اطلب لنفسِكَ أيُّها الرجلُ شُغلًا.

قال: فقَصُرَتْ نفسي عندي، وغاظَني، فقلتُ: قد سألتَ عن هذه الأمور، ويجوزُ أن لا يكونَ عندكَ جوابُها، كما لم يكن عندي، فإن كنتَ عالمًا بالجوابِ فَقُل.

قال: نعم، أما إذا سألتَ، فقد وجبَ إفادَتُكَ[2]:

---

(١) في (ر) زيادة: (لا باس).

(٢) (أما إذا سألت فقد وجب إفادتك) ليست في (ر، ل).

- أمَّا الذي تزوَّجَتْ أمُّه؛ فتكتبُ إليه: أمَّا بعدُ، فإنَّ الأمورَ، تجري من عند الله بغيرِ محبَّةِ عبادِه، ولا اختيارِهم، بل هو تعالى يختار لهم ما أحبَّ العبدُ أو كَرِه[1]، وقد بلغَني تزويجُ الوالدة -خارَ الله لك في قَبضِها- فإنَّ القبورَ أكرَمُ الأزواج، وهي أسترُ للعُيوبِ، والسَّلام.

- وأمَّا قَراحٌ قابل[2] قشا؛ فتمسحُ العمودَ، حتَّى إذا صار عددًا في يَدِكَ، ضربتَهُ بمثلِه، ومثلِ ثُلثِه، فما خرجَ فهو مساحتُه.

- وأمَّا الجاريةُ والغلامُ؛ فيُوزَنُ اللَّبَنانِ، فأيَّتُهما كان لَبنُها أخفَّ، فالجاريةُ لها.

وأمَّا المرتَزِقان المتوافقان الاسمَينِ؛ فإنَّه إذا كان الشَّقُّ في الشَّفَة العُليا؛ كتبتَ: فلانٌ الأعلَمُ، وإذا كان في الشَّفَة السُّفلى؛ كتبتَ: فلانٌ الأفلَحُ.

- وأما صاحبا الشجَّتَينِ؛ فلصاحبِ الموضِحَةِ ثلثُ الدِّيَةِ، ولصاحبِ المأمومةِ نِصفُ الدِّيَةِ[3].

فقلت له: يا شَيخُ، ألستَ زعمْتَ أنَّكَ حائِكٌ؟

فقال: أصلحكَ اللهُ، أنا حائكُ كَلامٍ، ولستُ حائكَ نساجةٍ، ثمَّ أنشأَ يقول:

[من مخلّع البسيط]

مَا مَرَّ بُؤْسٌ وَلا نَعِيمٌ   إلَّا وَلِي فيهِمَا نَصِيبُ

---

(١) (العبد أو كره) ليست في (ر، ل).

(٢) في (ر): (قاتل).

(٣) في (ر) زيادة: (قال: فلما أجاب بهذه المسائل؛ تعجبت منه، وامتحنته بأشياء غيرها كثيرة، فوجدته ماهرا في جميعها، حاذقًا، وبليغًا).

قَـدْ ذُقْـتُ حُـلْـوًا وَذُقْـتُ مُـرًّا ... كَـذَاكَ عَـيْـشُ الـفَـتَـى ضُـرُوبُ
نَـوَائِـبُ الـدَّهْـرِ أَدَّبَـتْـنِـي ... وَإِنَّـمَـا يُـوعَـظُ الأَدِيْـبُ[1]

قلتُ: فما الذي أرى بكَ مِن سوء الحال؟

قال: أنا رجلٌ كاتبٌ، دامت عُطلتي، وكَثُرت عَيلتي، وتواصلَتْ مِحنَتي، وقلَّت حيلتي[2]، فخرجتُ أَطلبُ التصرُّفَ، فقُطِعَ عليَّ، فتُرِكتُ على ما ترى، فمشيتُ على وجهي، فلمَّا لاح لي زَلَّالُكَ؛ استغثْتُ بكَ.

قلتُ: فإنِّي خرجتُ لجليلِ أمرٍ، أحتاجُ فيه إلى جماعةٍ مثلكَ، وقد أمرتُ لك بخلعةٍ حسنةٍ، تصلحُ لمثلك، وخمسةُ[3] آلاف درهمٍ، تُصلِحُ بها حالَك، وتُنفِذُ منها إلى عيالِكَ، وتُقوِّي نفسَكَ بباقيها، وتصيرُ معي إلى عملي، فأُوَلِّيكَ أجلَه.

فقال: أحسنَ الله جزاءَك، إذن تجِدُني حيث يَسرُّكَ، ولا أقومُ مقامَ معتذرٍ إليكَ إن شاءَ الله تعالى.

فأمرتُ بتقبيضِه ما رسمتُ له به، فقبضَه، وانحدرَ معي إلى الأهوازِ، فجعلتُه المُناظِرَ للزُّخجيِّ، والمحاسبُ له بحَضْرتي، والمستخرِجُ لما عليه،

---

(١) الأبياتُ لِبُنْدارِ بنِ الحُسَين، أوردَها المستعصميُّ في «الدرّ الفريد وبيت القصيد» (٩/ ٤٠١) مع فروقٍ في الألفاظ والترتيب:
مَـوَاعِـظُ الـدَّهـرِ أَدَّبـتـنـي ... وَإِنَّـمَـا يُـوعَـظُ الأَديـبُ
قَـد ذُقْـتُ حُـلْـوًا وَذُقْـتُ مُـرًّا ... كَـذَاكَ عَـيْـشُ الـفَـتَـى ضُـرُوْبُ
مَـا مَـرَّ بُـؤْسٌ وَلَا نَـعِـيْـمٌ ... إِلَّا وَلِـي فِـيْـهِـمَـا نَـصِـيْـبُ
(٢) (وقلَّت حيلتي) ليست في (ض، ل).
(٣) (وقد أمرت... وخمسة) في (ض، ل): (وهذه خمسة).

فقامَ بذلك أحسنَ قيامٍ وأوفاهُ، وعَظُمَتْ حالُه معي، وعادت نعمتُه إلى أحسنَ ما كانت عليه[1].

(١) ينظر: «مرآة الزمان» (١٤/ ١٦٧)، و«صبح الأعشى» (١/ ١٧٧).

[٧: ١٠١] [وجهٌ آخرُ لحديثِ عَمْرِو بنِ مَسْعَدَةَ]

قال مؤلِّف هذا الكتاب: وقد بلغَني حديثٌ لِعَمرو بن مَسْعدةَ بخلافِ هذا، حدَّثني به عبدُ الله بنُ محمَّدِ بنِ الحسَنِ(١) بن [الخفَّاف](٢)، وهو يذكر أنَّ أهلَهُ أقرباءُ لِبَني مارمة(٣) الذين كانوا بالصَّراةِ، قال: سمعتُ غالبَ شُيوخِنا بالصَّراةِ(٤) وأهلَنا يُحدِّثونَ: أنَّ عمرَو بن مَسْعدةَ كان مُصْعِدًا من واسطٍ إلى بغدادَ، في حرٍّ شديدٍ، وهو جالسٌ في زَلَّالٍ، فناداهُ رجلٌ: يا صاحبَ الزلَّالِ، بالله عليكَ إلَّا نظرتَ إليَّ.

قال: فكشفَ سَجْفَ الزَّلَّالِ، فإذا بشيخٍ ضعيفٍ حاسرٍ حافٍ.

فقال له: قد ترى ما أنا فيه، ولستُ أجِدُ مَن يحمِلُني، فابتَغِ الأجرَ فيَّ، وتقدَّم إلى ملَّاحيكَ يطرحوني بين مجاديفهم، إلى أن أَبلُغَ بلدًا يطرحوني فيه.

قال عَمْرُو بن مَسْعدةَ: فرَحِمتُه، فقلتُ: خُذوهُ.

فأخذوهُ، فغُشِيَ عليهِ، وكادَ أن يموتَ؛ لما قد لَحِقَهُ من الشمسِ والمشي.

---

(١) في (غ، ش، ج): (عبيد الله... الحسين).

(٢) في (ل): (الحفا)، وليست في (ض، ر).

(٣) (أهله أقرباء لبني مارمة) في (ل): (أقرباء أمه أهل بني مازنة). ينظر: «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٣٧)، و«تاريخ بغداد» (٦/ ٦١٣)، و«المنتظم» (١٣/ ٢٢٤).

(٤) في (ل): (بالبصرة).

فلمَّا أفاقَ؛ قلتُ له: يا شيخُ، ما حالُكَ، وقِصَّتك؟

قال: قصَّةٌ طويلة. وبكى، فسكَّنتُه، وطرحتُ عليه قميصًا ومنديلًا، وأمرتُ له بدراهِمَ وشيءٍ لِرِجله يَلبَسُه من الحرِّ[1]، فشَكر.

فقلت له: لا بدَّ أن تُحدِّثَني بقِصَّتك.

فقال: أنا رجلٌ[2] كانت لله تعالى عليَّ نعمةٌ جليلةٌ[3]، وكُنتُ صيرفيًّا، فابتعتُ جاريةً بخمس مئة دينارٍ، وعَشِقتُها عِشْقا عظيمًا، فكنتُ لا أقدرُ أن أفارقَها ساعةً واحدةً، وإذا خرجتُ إلى الدكَّان أخذني الجنونُ والهيمانُ حتَّى أعودَ إلى بيتي، فأجلسُ معها يومي كُلَّه.

فدامَ ذلك عليَّ حتَّى تعطَّلَ دُكَّاني، وبطلَ كسبي، وأقبلتُ أنفقُ من رأس المالِ حتَّى لم يبقَ منه قليلٌ ولا كثيرٌ، وأنا مع ذلكَ لا أُطيقُ أن أفارِقَها بقدْرِ ما أَقعدُ في الدكَّان، مقدارَ ما أتعيَّش.

وحبلَتِ الجاريةُ، وأقبلتُ أنقضُ داري، وأبيعُ نقضَها، حتَّى فرغتُ من ذلك، ولم يبقَ لي حيلةٌ.

وضربَها الطَّلْقُ، فقالت لي: يا هذا، إنِّي هو ذا أَموتُ، فاحتَلْ ما تبتاعُ به عسلًا، ودقيقًا، وشيرجًا، ولحمًا، وإلَّا متُّ.

---

(١) (وشيء لرجله يلبسه من الحر) في (ل): (وشمشك).

(٢) في (ض) زيادة: (كاتب).

(٣) (جليلة) ليست في (ر).

فبكيتُ، وحزنتُ، وخرجتُ متحيِّرًا على وجهي، وجئتُ لأُغرِقَ نفسي في دجلةَ، فذكرتُ حلاوةَ النفسِ، وخوفَ[1] العقابِ في الآخرة، فامتنعتُ من ذلك.

ثم خرجتُ على وجهي إلى النهروان، وما زلتُ أمشي من قريةٍ إلى قريةٍ، حتَّى بلغتُ إلى خُراسانَ، فصادفتُ بها مَن عرفني، فأشغلَني وتصرَّفت في صناعتي، ورزقني الله عَزَّوَجَلَّ مالًا عظيمًا، وأثريتُ، واتَّسعَتْ حالي، وكنتُ بقيتُ في كلِّ سنةٍ أو سنتين أتعرَّفُ خبر منزلي وجاريتي وأكتبُ إليها[2]، فلم يَعُدْ إليَّ جوابٌ، فلم أشكَّ أنَّ الجاريةَ قد ماتَتْ.

فقطعتُ المكاتبةَ، وتراخت السنونُ، حتَّى حصلَ معي ما قيمتُه عشرونَ ألفَ دينارٍ، فقلتُ: قد صارت لي نعمةٌ، فلو رَجعتُ إلى وطني. فابتعتُ بالمال كلِّه متاعًا من خراسانَ، وأقبلتُ أريدُ العراقَ، من طريق فارسَ والأهواز.

فلما حصلتُ بين فارسَ والأهواز؛ خرج على القافلة لصوصٌ[3]، أخذوا جميعَ ما كان فيها، فنجوتُ بثيابي، وعُدْتُ فقيرًا كما خرجتُ من بغداد. [ر/١٠٣] [ض/١٥١]

فدخلتُ الأهوازَ، وبقيتُ بها متحيِّرًا، حتَّى كشفتُ خبري لبعضِ أهلها ممَّن لا أعرِفُه، فأعطاني ما تحمَّلتُ به إلى مدينةِ واسط.

ونفدَتْ نفقَتي، فمشيتُ إلى هذا الموضع، وقد كِدْتُ أتلَفُ، فلما رأيتكَ استغَثْتُ بكَ[4]، ولي منذُ فارقتُ بغدادَ ثمانٍ وعشرونَ سنةً.

---

(١) (فذكرت حلاوة النفس وخوف) في (ر): (فذكرت حلاوة الحياة في الدنيا وخوف)، وفي (ل): (فعادت حلاوة الروح وذكرت).

(٢) (خبر منزلي وجاريتي وأكتب إليها)، في (ض، ل): (حال منزلي).

(٣) في (ر): (الشهجان).

(٤) (فلما رأيتك استغثت بك) ليست في (ض، ل).

فتعجَّبتُ مِن مِحْنتِهِ، ورَقَقتُ له، وقلتُ له: إذا صِرْنا إلى بغدادَ فاعرِفْ خبرَ أهلِكَ، وصِرْ إليَّ، فإنِّي أتقدَّم بتصريفِكَ فيما يحصلُ لك ما تعيشُ به، فشكرَني ودخلنا بغدادَ.

ومضت على ذلك مدَّةٌ، أُنسِيتُه فيها، فبينا أنا يومًا، قد رَكِبتُ، أريدُ دارَ المأمون، فإذا أنا بالشيخِ راكبًا بغلًا فارهًا، بمركبٍ مُحلًّى ثقيلٍ، وبين يديهِ غُلامٌ أسوَدُ كأنَّه مملوكٌ له، وثيابٌ حسَنةٌ مرتفعةٌ، وهو واقفٌ على بابي.

فلمَّا رأيتُه رحَّبتُ به، وقلتُ له: ما الخبر؟

فقال: طويلٌ.

فقلت: عُدْ إليَّ غدًا.

فلما كان من الغد؛ جاءني، فقلتُ: عرِّفني خبرَك، فقد سُرِرتُ بظاهرِ حالِكَ.

فقال لي: إنِّي صعدتُ من زَلَّالِكَ، فقصدتُ داري، فوجدتُ حائطَها الذي يلي الطريقَ كما خلَّفتُه(١)، غيرَ أنَّ بابَ الدار مَجْلوٌّ نظيفٌ، وعليه دكاكينُ وبوَّابٌ وبِغالٌ مع شاكريَّةٍ.

فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ماتَتْ جاريتي، وتملَّكَ الجيرانُ الدارَ، فباعوها على رجلٍ من أصحابِ(٢) السلطان.

ثمَّ تقدَّمتُ إلى بقَّالٍ كنت أعرفُه في المحلَّة، فإذا في دُكَّانِه غلامٌ حدَثٌ. فقلتُ: مَن تكونُ من فلانٍ البقَّال؟

---

(١) في (ر): (خلفت).

(٢) في (ض): (أسباب).

قال: وَلدُه.

قلت: ومتى ماتَ والدُك؟

قال: منذُ عشرينَ سنةً.

قلتُ: لمن هذه الدارُ؟ أعني: داري.

قال: لابن دايةِ أميرِ المؤمنين، وهو الآن جهبَذُه وصاحبُ بيتِ مالِه.

قلتُ: بمن يُعرَف؟

قال: بابنِ فلانٍ الصيرفيِّ. فأسماني.

فقلتُ: وهذه الدارُ مَن باعها عليه[1].

قال: هذه دارُ أبيهِ.

قلت: وهل يعيشُ أبوه؟

قال: لا.

قلتُ: فتعرفُ مِن حديثهم شيئًا؟

قال: نعم، حدَّثني أبي أنَّ أبا هذا الرجل كان صيرفيًّا جليلًا، فافتقرَ، وأن أمَّ هذا الرجلِ ضربَها الطَّلْقُ به[2]، فخرجَ أبوهُ يطلبُ لها شيئًا، ففُقِدَ، وهلكَ ولم يُعرَف له خبرٌ[3].

---

(١) (عليه) ليست في (ض، ل).

(٢) (الرجل ضربها الطلق به) في (ر): (الفتى ضربها الطلق).

(٣) (ولم يعرف له خبر) ليست في (ض، ل).

فقال لي أبي: فجاءَني رسولُ أمِّ هذا تستغيثُ بي، فقُمت لها بحوائجِ الولادة، ودفعتُ إليها عشرَ دراهمَ، فما أنفقَتْها حتَّى قيل: قد وُلِدَ لأمير المؤمنين الرشيدِ مولودٌ ذَكرٌ، وقد عُرِضَ عليه جميعُ الداياتِ، فما قَبِلَ ثديَ واحدةٍ منهُنَّ، وقد طلبَ له الحرائرَ، فجاؤوهُ بغيرِ واحدةٍ، فما قَبِلَ ثديَ واحدةٍ منهنَّ[1]، وهم في طلب مُرضِعٍ.

فأرشدتُ الذي طلبَ الدايةَ إلى أمِّ هذا، فحُمِلَتْ إلى دارِ الرشيد، فحين وُضِعَ فمُ الصبيِّ على ثَديِها قَبِلَهُ، فأرضعَتْهُ، وكان الصبيُّ المأمون، وصارت عندهم في حالٍ جليلةٍ، ووصلَ إليها منهم خيرٌ عظيمٌ.

ثمَّ خرجَ المأمونُ إلى خراسانَ، لما كَبِرَ فخرجَتْ هذه المرأة وابنُها هذا معها، ولم تُعرَف أخبارُهم إلَّا منذُ قريبٍ، لمَّا عادَ المأمونُ إلى بغدادَ، وعادت حاشيتُه، رأينا هذا قد جاءَ رجلًا، وأنا لم أكن رأيتُه قَطُّ، وقد كان أبي مات.

فقالوا: هذا ابنُ فلانٍ الصيرفيِّ، وابنُ داية الخليفةِ المأمون، فبنى هذه الدارَ وسوَّاها.

فقلتُ للبقَّال: أفعندكَ خبرٌ مِن أمِّه؛ أَحيَّةٌ هي، أم ميتةٌ؟

قال: حيَّةٌ، تَمضي إلى دار الخليفة أيَّامًا، وتكونُ عند ابنِها أيَّامًا، وهي الآن[2] هاهنا.

---

(١) (واحدةٍ منهنَّ) في (ض، ر): (إحداهن)، وفي (ل): (أحدهن)، والمثبت من (ن).

(٢) (وهي الآن) ليست في (ض).

فحمدتُ الله تعالى على هذه الحال، وجِئتُ حتَّى دخلتُ الدارَ مع الناس، فرأيتُ الصحنَ في نهاية العمارة والحُسنَ، وفيه مجلسٌ كبيرٌ مفروشٌ بفُرشٍ فاخرةٍ، وفي صدره رجلٌ شابٌّ، وبينَ يديهِ كُتَّابٌ وجهابذةٌ، وحسابٌ يستوفيه عليهم، وفي صفافِ(١) الدار وبعضِ مجالسها جهابذةٌ، بين أيديهم الأموالُ والتخوتُ والشواهينُ، يَقْبِضون ويُقَبِّضون.

وبصرتُ بالفتى، فرأيتُ شَبهي فيه، فعَلِمتُ أنَّه ابني، فجلستُ في غمارِ الناس، إلى أن لم يبقَ في المجلسِ غيري، فأقبلَ عَليَّ، وقال: يا شَيخُ، هل مِن حاجةٍ تقولُها؟

قلتُ: نعم، ولكنَّها حاجةٌ لا يجوزُ أن يسمعَها غيرُكَ.

فأومأَ إلى غلمانٍ كانوا قيامًا حولَهُ، فانصرفوا، وقال: قل أعزَّكَ الله.

قلتُ له: إنِّي(٢) أنا أبوكَ.

فلمَّا سَمِعَ ذلك تغيَّرَ وَجهُه، ولم يُكلِّمْني بحرفٍ، ثمَّ وثبَ مُسرِعًا، وتركَني في مكاني.

فلم أشعُرْ إلَّا بخادمٍ قد جاءَني، فقال: قم يا سيِّدي، فقُمْتُ أمشي معه، حتَّى بلغتُ إلى ستارةٍ منصوبةٍ في دارٍ لطيفةٍ، وكرسِيٌّ بين يدي الستارة، والفتى جالسٌ خارجَ الستارة على كرسيٍّ آخرَ.

فقال: اجلس، أيُّها الشيخ.

---

(١) في (ض، ل): (صفات).

(٢) (له إني) ليست في (ر، ل).

فجلستُ على الكرسيِّ، ودخلَ الخادمُ، فإذا بحركةٍ خلفَ الستارة.

فقلتُ: أظنُّكَ تريدُ أن تختبرَ صِدقَ قولي من جهة فلانةَ؟ وذكرتُ اسمَ جاريتي، أُمِّه، فإذا الستارةُ قد هُتِكَتْ، والجاريةُ قد خرجَتْ إليَّ، فوقعَتْ عليَّ تُقبِّلُني، وتبكي، وتقول: مولايَ والله، مولايَ والله.

قال: فرأيتُ الفتى، قد تشوَّرَ[1]، وبهَتَ، وتحيَّرَ.

فقلتُ للجارية: ويحكِ، ما خبرُكِ؟

فقالت: دع خَبري، ففي مشاهدتِكَ لِما قد تفضَّلَ الله عَزَّوَجَلَّ به عليَّ كفايةٌ إلى أن أُخبِركَ، وقل ما كان من خبركَ أنتَ؟

قال: فقصصتُ عليها خبَري منذُ يومِ خروجي من عندِها إلى يومي ذلك، وقصَّتْ هي عليَّ من قِصَّتِها مِثلَ ما قالَهُ ابن البقَّال وشرحَت، وكلُّ ذلك بمرأى من الفتى ومَسمَعٍ، فلما استوفى الحديثَ خرجَ وتركَني في مكاني.

قال: فإذا أنا بالخادم قد جاءني، فقال: يا مولايَ، يسألُكَ وَلدُكَ أن تخرجَ إليه.

فلما رآني من بعيدٍ قامَ قائمًا على رجليه[2]، وقال: معذرةً إلى الله، ثم إليكَ يا أَبتِ من تقصيري في حقِّكَ، فإنَّه فجأني من أمركَ ما لم أظنَّ مثلَهُ يكونُ، والآن فهذه النِّعمةُ لك، وأنا ولدُكَ، وأميرُ المؤمنين يجتهد بي منذُ دهرٍ أن أدعَ الجَهْبذَةَ،

---

(١) في (ض، ل): (تسوَّر)، وفي (ر): (تسرر)، والمثبت من (ش، ن، ح، غ، ط). تشوَّر: خَجِلَ. ينظر: «العين» (ش و ر).

(٢) (فلما رآني... وقال) في (ر): (قال: فخرجت).

وأتوفَّرَ على خِدمته في الدار، فلا أفعلُ؛ طلبًا للتمسُّك بصَنعتي، والآنَ فأنا أسألُه أن يردَّ إليكَ عَملي، وأخدِمه أنا في غيرِه، قم عاجلًا، فأصلِحْ أمركَ.

فأُخِذتُ إلى الحمَّام ونُظِّفتُ، وجاؤوني بخلعةٍ فلَبِستُها، وخرجتُ إلى حُجرة والدته فجلستُ فيها.

ثمَّ إنَّه أدخلَني على أمير المؤمنينَ، وحدَّثهُ بحديثي، فأمر لي بخلعٍ، وهي هذه، وحملان وهو هذا، وردَّ إليَّ العملَ الذي كان إلى ابني، وأجرى لي في كلِّ شهرٍ كذا وكذا من الرزق، وقلَّدَ ابني عملًا من أجَلِّ عملِه، وأضعفَ له أرزاقَهُ، وأمرَهُ بِلُزوم حضرتِه في أشياءَ اختصَّهُ لها من خاصِّ داره. وجئت لِأشكُركَ على ما عاملتَني به من الجميل، وأُعرِّفكَ بتجدُّدِ النعمة.

قال عمرٌو: فلمَّا أسمى لِيَ الفَتى؛ عرفتُه، وعلِمتُ أنَّه ابنُ دايةِ أمير المؤمنينَ [ض/ ١٥٢] كما قال[1].

(١) ينظر: «المنتظم» (١١/ ١٠)، و«مرآة الزمان» (١٤/ ١٦٣).

[٧: ١٠٢] [رجلٌ سَقَطَ عليه حائطٌ ولم يتضرَّر]

قال: وحدَّثني عمرُ بن عبدِ الملك بنِ الحسن بنِ يوسفَ السَّقطيُّ(١)، وكان يَخلُفني على القضاء بحرَّانَ ونواحٍ من ديار مُضرَ، ثمَّ خَلفَني على قطعةٍ مِن سَقيِ الفرات، وكان أبوهُ من قُدماء الشهود ببغدادَ(٢)، قال: حدَّثني أبو الخطَّابِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ زكريَّا الأنصاريُّ، الشاهدُ بالبصرةِ - وأنا قد رأيتُه، وكان لي صديقًا، وما اتَّفقَ أن أسمعَ منه هذه الحكايةَ(٣) - قال:

أغلسْتُ يومًا، أريدُ مَسجِدَ الزيادِيِّين، بشارع المِرْبَد(٤)، لوعدٍ كان عَليَّ فيه، وكانت الريحُ قويَّةً، وبين يديَّ بأَذرُعٍ رجلٌ يمشي، فلما بلغنا دارَ رياحٍ(٥)؛ قلعَتِ الريحُ سُترةَ آجُرٍّ وجَصٍّ من على رأسِ حائطٍ، فرَمتْ بها عليه، فلم أشُكَّ في هلاكِه، فارتفعَتْ(٦) غبرةٌ عظيمةٌ أفزعتني، فرَجعتُ. فلما سكنَتْ؛ عُدْتُ أسلكُ الطريقَ، حتَّى دُسْتُ بعضَ السُّترة، فلم أرَ الرجلَ، فعَجِبتُ.

---

(١) ذكره ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (٢٠/ ٦٩)، ونقل عنه هذه القصة.

(٢) أبوه عبد الملك بن الحسن بن يوسف بن الفضل، أبو عمرو المعدل، ويعرف بابن السقطي، وكان ثقة، وشهد عند أبي عمر القاضي سنة (٣١١هـ)، ولم يزل مقبول الشهادة إلى أن مات سنة (٣٦٢هـ). ينظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٨٥).

(٣) قوله: (الشاهد... الحكايةَ) ليست في (ض).

(٤) **المِرْبَد**: كلُّ شيءٍ حُبِسَتْ فيه الإبل. وبه سُمِّيَ مِربَدُ البصرةِ، من أشهر محالّها، وكان فيه سوقُ الإبل قديمًا، ثم صار محلَّةً عظيمةً سكنها الناسُ، وبه كانت مفاخراتُ الشعراء ومجالسُ الخطباء. ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٩٨).

(٥) في (ر): (الرياح).

(٦) في (ر، ل): (وارتفعت).

وتمَّمتُ طريقي، حتَّى دخلتُ مسجدَ الزياديِّين، فرأيتُ أهلَ المسجد مجتمعين، فحدَّثتُهم بما رأيتُ في طريقي، متوجِّعًا للرجل، وشاكرًا الله تعالى على سلامتي.

فقال رجلٌ منهم: يا أبا الخطَّاب، أنا الذي وقعَتْ عليه السترةُ، وذاكَ أنِّي قصدتُ هذا المسجدَ لمثل ما قصدْتَ[1]، فلمَّا سَقَطَتِ السترةُ لم أُحِسَّ لها بضررٍ لَحِقَني، ووجدتُ نفسي سالمًا قائمًا، فحمدتُ الله تعالى، وتحيَّرتُ، ووقفتُ، حتَّى انجلَتِ الغبرةُ، فتأمَّلتُ الصورةَ، فإذا في السُّترةِ موضعُ بابٍ كبيرٍ، وقد اتَّفقَ أن وقعَ[2] رأسي وسائرُ جسدي في موضع الباب[3]، فخرجتُ منه، وسقطَ باقي السُّترةِ حولي، فلم يضرَّني شيئًا، فتخطَّيتُ على المنهدم، وسبقتُكَ إلى هاهنا. [ر/١٠٤]

(١) (قصدت) في (ر): (وعدت).

(٢) في (ض) زيادة: (على).

(٣) (رأسي وسائر جسدي في موضع الباب) في (ل): (خلوُّ البابِ على جملتي).

[٧: ١٠٣] [البازيار بين نكبة الواثق ونعمة المتوكِّل]

ووجدتُ بخطِّ جحظةَ: حدَّثني عبد الله بن عمرَ البازيار(١)، نديمُ المتوكِّل، قال: لمَّا نفاني الواثقُ من سرَّ من رأى إلى النهروان؛ من أجل خدمتي لجعفرٍ؛ لحقتني إضاقةٌ شديدةٌ، وغمومٌ متَّصلةٌ، واستَبعدتُ الفرجَ.

فكنت أُبَكِّرُ كلَّ يومٍ بباشقٍ على يدي إلى الصحراء، فأرجعُ بالدُّرَّاجةِ والدُّرَّاجَتين(٢)، فيكونُ ذلك قُوتي لإضاقتي.

فدخلتُ يومَ جمعةٍ إلى الجامع لِأُصلِّيَ قريبًا(٣) من المِنبَر، وليس عندي خبرٌ، وإذا الخطيبُ يقولُ: اللهمَّ أصلح عبدَك وخليفتَك عبدَ الله جعفرًا الإمامَ المتوكِّلَ على الله تعالى، أميرَ المؤمنين.

فدخل على قلبي من السرور ما لم أَدرِ معه في أيِّ مكانٍ أنا.

---

(١) هو عبد الله بن عمر البازيار، أحد قُوَّاد المتوكِّل الذين قدموا معه دمشق سنة (٢٤٣هـ)، مات في شهر رمضان (٢٧٣هـ). ينظر: «تاريخ دمشق» (٣١/ ٢٣٤). والبازيار اسمٌ لمن يحفظ البازَ ويتعهَّدُه، وهو عِلمٌ يسمَّى «علم البَيْزَرة» أَلَّف العلماءُ فيه الكتب، يُبحَثُ فيه عن أحوال الجوارحِ من حيث حفظ صحتها، وإزالة مرضها، ومعرفة العلامات الدالَّة على قوَّتها وضعفها في الصيد. ينظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٤)، و«كشف الظنون» (٢/ ١٧٥).

(٢) (بالدراجة والدراجتين) في (ر): (بالدراج والدراجَين). **الدُّرَّاجُ والدُّرَّاجة**: ضربٌ من الطير، للذكر والأنثى، من طير العراق. ينظر: «الصحاح» (د ر ج: ١/ ٣١٤)، و«لسان العرب» (د ر ج: ٢/ ٢٧٠).

(٣) في (ض، ل): (فقربت).

قال: وسقطتُ مَغشيًّا عليَّ، فظنَّ مَن حولي أنِّي صُرِعتُ، فأخرجوني، فمضيتُ إلى الموضع الذي أسكنُه، فإذا البُرُدُ على بابي، يطلبونني.

فركبتُ معهم إلى المتوكِّل، فكانَ من أمري معه ما كان، وزادَني على الغنى درجاتٍ عظيمةً، وعُدْتُ إلى حال اليسار[1].

(١) (عظيمة وعدت إلى حال اليسار) ليست في (ض، ل).

[٧: ١٠٤] [البُحتريُّ يُهنِّئُ الفتحَ بنجاتِه، فيُجزِلُ له العطاء]

اجتازَ الفتحُ بنُ خاقانَ على بعض القناطرِ(١)، وهو يتَصيَّدُ، وقد انقطعَ عن عَسْكرِه، فانخسفَت القنطرةُ من تَحتِه، فغَرِقَ.

فرآهُ أكَّارٌ، وهو لا يَعرِفُه، فطرحَ نفسَهُ وراءه(٢)، وخلَّصه، وقد كادَ يتلَفُ، ولَحِقَهُ أصحابُه، فأمرَ للأكَّارِ(٣) بمالٍ عظيمٍ، وتصدَّقَ بمِثْلِهِ.

ودخلَ إليه البُحترِيُّ، فأنشدَه قصيدتَهُ التي أوَّلُها: [من الطويل]

متى لاحَ بَـرْقٌ أو بَـدا طَلَلٌ قَفْرُ ... جرَى مُستهَلٌّ(٤)، لا بَكِيءٌ، ولا نَزْرُ

وفيها يقول:

لقد كـان يـومُ النهرِ يـومَ عظيمةٍ ... أطلَّتْ، ونَعْماءٍ جرَى بِهِما الدَّهْرُ(٥)

أجَـزْتَ علَيهِ عَـابِـرًا، فتَشَاغَبَتْ ... أوَاذِيُّـــهُ(٦) لمَّا طَمَا فَـوْقَـهُ البَحْرُ

---

(١) (بعض القناطر) في (ض): (قنطرة نهروان)، وفي (ل): (قنطرة نهر).

(٢) في (ض، ل): (عليه).

(٣) **الأكَّار**: الحفَّار. جمعه: أكَرة. ينظر: «الصحاح» (أ ك ر).

(٤) **المُستهَلُّ**: قصد به الدمع الفيَّاض. ينظر: «ديوان البحتري» (ص: ٨٤٣).

(٥) في الديوان: (النهر).

(٦) **الأوَاذِيُّ**: الأمواج، واحده: آذِيّ. ينظر: «الصحاح» (أ ذ ا).

وزالَتْ أوَاخِي[١] الجِسْرِ، وَانْهدَمَتْ بهِ ... قَواعِدُه العُظمَى وما ظَلَمَ الجِسْرُ
تَحَمَّلَ حِلْمًا مِثْلَ قُـدْسٍ، وَهِمَّةً ... كَرَضْوَى، وَقَـدْرًا ليسَ يَعْدِلُهُ قَدْرُ
فإِنْ نَنْسَ نُعْمَى الله فِيْكَ فَحَظَّنَا ... أَضَعْنَا، وَإِنْ نَشْكُرْ فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ
فما كانَ ذاكَ الهَوْلُ إلَّا غَمامَةً[٢] ... بدَا طالِعًا مِنْ تَحْتِ ظُلْمَتِهَا البَدْرُ

فقال له الفتحُ: الناسُ يُهنِّئونا بنَثْرٍ وأنتَ بنَظْمٍ، وبراحةٍ وأنتَ بِتَعبٍ! وأجزلَ صِلَته[٣].

---

(١) **الأَوَاخِيُّ**: جمع أَخِيَّة، وهي عُودٌ يعرض في الحائط، تُشَدُّ به الدابَّة، واستعاره هنا لما كان يشد به الجسر من روابط. ينظر: «العين» (خ و ي)، و«ديوان البحتري» (ص: ٨٤٦).

(٢) في الديوان: (غيابة).

(٣) ينظر: «مرآة الزمان» (١٥/ ٢٣٦).

[٧: ١٠٥] [الحسينيُّ والخراسانيُّ وقصَّة الهميان]

حدَّثني أبو بكرٍ[١] محمَّدُ بنُ عبدِ الله[٢] الرازيُّ، المعروفِ بابن حمدونَ الكاتبِ[٣]، قال: حدَّثني أبو عليٍّ الحسينُ[٤] بنُ محمَّدٍ الأنباريُّ الكاتب، قال:

كان لي أيَّامَ مقامي بأذربيجانَ جارٌ تاجرٌ، يُعرَفُ بجعفرِ بنِ محمَّدٍ، وكنتُ آنَسُ به، فحدَّثني قال: كنتُ أحجُّ دائمًا، وأنزلُ بالكوفةِ على رجلٍ علَويٍّ حُسَينيٍّ فقيرٍ مستورٍ، فألطِّفُه وأتفقَّدُه[٥].

فتأخَّرتُ عن الحجِّ سَنةً، ثمَّ عاودتُ، فوجدتُه مُثرِيًا، فسُرِرتُ، وسألتُه عن سبب ذلك، فقال: كان قد اجتمعَ معي دُرَيهِماتٌ على وجه الدَّهر، ففكَّرتُ عامَ أوَّلَ في أن أتزوَّجَ، فإنِّي كنتُ عزبًا كما علمتَ. ثمَّ علِمتُ أنَّ فرضَ الحجِّ قد تعيَّنَ عليَّ، فرأيتُ أن أُقدِّمَ أداءَ الفرضِ، وأتوكَّلَ على الله تعالى في أن يُسهِّلَ لي بعد ذلكَ ما أتزوَّجُ به.

---

(١) في (ض، ح) زيادة: (بن).

(٢) في (ص) زيادة: (بن محمَّد).

(٣) (الكاتبِ) من (ض)، وليست في باقي النسخ.

(٤) (قال حدَّثني أبو علي الحسين) في (ر): (عن الحسن)، والصواب المثبت، وسبقت ترجمته (٢/ ٨٣).

(٥) (فألطفه وأتفقده) في (ض): (فأتفقده).

فلمَّا حجَجتُ؛ طُفْتُ طوافَ القدومِ[١]، وأودعتُ رحلي وما كان معي بيتًا من خانٍ، وأقفلتُ بابَهُ، وخرجتُ إلى مِنًى.

فلمَّا عُدْتُ؛ وجدتُ البابَ مفتوحًا، والبيتَ فارغًا، فتحيَّرتُ، ونزلَتْ بي شِدَّةٌ ما مرَّ بي مِثلُها قَطُّ. فقلتُ: هذا أعظَمُ لِثوابي، فما وَجهُ الغَمِّ؟ واستسلمتُ لأمرِ الله عَزَّوَجَلَّ، وجلستُ في البيت، لا حيلةَ لي، ولا تطيبُ نفسي بالمسألة، فاتَّصل مقامي ثلاثةَ أيَّامٍ ما طعمتُ فيها[٢] شيئًا.

فلمَّا كان في اليوم الرابعِ بدأَني الضَّعْفُ سحَرًا[٣]، وخِفتُ على نفسي، وذكرتُ قولَ جَدِّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ماءُ زمزمَ لِمَا شُرِبَ له**»[٤]، فخرجتُ حتَّى شَرِبتُ منها، ورجعتُ أريدُ بابَ إبراهيمَ - على نبيِّنا وعليه أفضلُ الصلاة والسلام - لأستريحَ فيه.

وكانت قد بَقِيَتْ من الليل سُدْفَةٌ[٥]، فعثَرتُ في الطريقِ بشيءٍ أوجعَ إصبعي، فأكبَبتُ عليه لِأُمسِكَهُ، فوقعَتْ يدي على هميان أَدَمٍ أحمرَ كبيرٍ، فأخذتُه.

---

(١) في (ك): (الدخول).

(٢) قوله: (لا حيلةَ لي...فيها) في (ض): (ولم أطعم).

(٣) (بدأني) في (ر): (بدأ بي)، وفي (ل): (بدا لي).

(٤) أخرجه أحمد (١٤٨٤٩)، وابن ماجه (٣٠٦٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقالَ الحافظ شرف الدِّين الدمياطي: هذا حديثٌ على رَسمِ الصَّحِيح. وقال المنذري: إنَّه حديثٌ حسنٌ. وأخرجه الحاكم (١٧٣٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد إن سَلِمَ من الجارودي، ولم يخرجاه». ينظر: «البدر المنير» (٦/ ٢٩٩).

(٥) **السُّدْفَةُ**: طائفةٌ من الليل. ينظر: «العين» (س د ف).

فلمَّا حصلَ في يدي؛ تذمَّمتُ، وعَلِمتُ أنَّ اللُّقطةَ حرامٌ، وقلتُ: إنْ تَركتُه الآنَ؛ كنتُ أنا المضيِّعَ له، وقد لَزِمَني أن أُعرِّفَهُ، ولعلَّ صاحِبَهُ، إذا رجعَ إليه أن يهبَ لي شيئًا أقتاتُه حلالًا.

فجئتُ إلى بيتي، فحللته[1] في المصباحِ، فإذا هو دنانيرُ صُفرٌ، تزيدُ على ألفِ دينارٍ، فشَددْتُه، ورجعتُ إلى المسجدِ، فجلستُ عند الحِجْرِ، وناديتُ: مَن ضاعَ له شيءٌ، فليَأتِني بعَلامَتِه، ويأْخُذْهُ.

فانقضى يومي أنادي، وما جاءني أحدٌ، وأنا على حالي في الجوع.

وبِتُّ في بيتي[2] ليلتي كذلك، وغدوتُ إلى الصفا والمروةِ، فعرَّفتُه عندهما يومي، حتَّى كاد ينقضي، فلم يأتِني أحدٌ. [ض/ ١٥٣]

وضَعُفتُ ضَعفًا شديدًا، فخَشِيتُ على نفسي، فرجَعتُ مُتحامِلًا، ثقيلًا، حتَّى جلستُ على باب إبراهيمَ - على نبيِّنا وعَلَيهِ السَّلَامُ - وكنتُ قد قلتُ قبلَ انصرافي للناس[3]: إنِّي قد ضَعُفتُ عن الصياح، وأنا ماضٍ أجلسُ على بابِ إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلَامُ، فمن رأيتموهُ يَطلبُ شيئًا ضاعَ منه، فأَرشِدُوهُ إليَّ.

فلمَّا قَرُبَتِ المغربُ، وأنا في الموضع؛ إذا أنا بخراسانيٍّ مُجتازٍ يُنشِدُ ضالَّةً، فصِحتُ به، وقلتُ له: صِفْ لي ما ضاعَ منكَ، فأعطاني صفةَ الهميانِ بعينِه، وذكر وزنَ الدنانير وعددها[4].

---

(١) (فحللته) في (ض): (وفتحتُ الهميانَ).

(٢) (في بيتي) ليست في (ض، ل).

(٣) في (ض، ل): (للمسلمين).

(٤) في (ر): (وعدتها)، وليست في (ض).

فقلتُ له: إن أرشدتُكَ إلى مَن يردُّه عليكَ، تُعطيني منه مئةَ دينارٍ؟

قال: لا.

قلتُ: فخمسين؟

قال: لا.

فلم أزل أُنازِلُه إلى أن بلغتُ دينارًا واحدًا.

فقال: لا، إن أرادَ مَن هو عندَهُ أن يَرُدَّهُ[1] إيمانًا واحتسابًا، وإلَّا فهو أبصَرُ، وولَّى لِينصرفَ.

فوردَ عليَّ أعظمُ واردٍ[2]، وهمَمتُ بالسكوت[3]، ثمَّ خِفتُ اللهَ تعالى، وأشفقتُ أن يفوتَني الخراسانيُّ، فصِحتُ به: ارجع، ارجع.

فرجعَ، فأخرجتُ الهميانَ، فدفعتُه إليه، فأخذه ومضى، وجلستُ وليس لي قوَّةٌ تحمِلُني إلى بيتي. فما غابَ عنِّي حينًا[4] حتَّى عادَ، فقالَ لي: مِن أيِّ البلادِ والناسِ أنتَ؟

فاغتظتُ منه غيظًا شديدًا، وقلتُ له: وما عليكَ، هل بَقِيَ لكَ عندي شيءٌ؟

فقال: لا، ولكنِّي أسألُكَ بالله العظيم مِن أيِّ البلاد والناس أنتَ؟ فعَرِّفْني، ولا تضجَرْ.

---

(١) (إن أراد من هو عنده أن يردَّه) في (ض): (أعطي منه شيئا إن رده من هو عنده)، وفي (ل): (إلا إن أرادَ هو مِن عندِه أن يردَّه).

(٢) في (ض): (مورد)، وفي (ل): (أمر).

(٣) (بالسكوت) في (ض): (بالإمساك عنه).

(٤) في (ض): (حسنا)، وليست في باقي النسخ، والمثبت من (ن).

فقلتُ: من العرب، من أهل الكوفة.

فقال: مِن أيِّهم أنت؟ واختصِرْ.

فقلتُ: رجلٌ من ولد الحُسين بن عليٍّ بن أبي طالبٍ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

فقال: ما حالُكَ ومالُكَ؟

فقلتُ له: ما أملِكُ في الدنيا كلِّها إلَّا ما تراهُ عليَّ، وقصصتُ عليه قِصَّتي[1]، وما كنتُ طَمِعتُ فيه من صَلاحِها بما يعطينيه من الهميان، وما قد انتهيتُ إليه من الضَّعف وشِدَّةِ الجوع.

فقال: أريدُ مَن يُعَرِّفُني[2] صِحَّةَ نسَبِكَ وحالِكَ، حتَّى أقومَ بأمرِكَ كُلِّه.

قلتُ: ما أقدِرُ على المشي من الضَّعْف، ولكن اعترضِ الطوافَ، وصِحْ بالكوفيِّينَ، وقل: رجلٌ مِن بلدكم علويٌّ بباب إبراهيم[3] يريدُ أن يجيئَهُ منكم من ينشط لحالٍ هو فيها، فمَن جاءَ معكَ، فهَاتِه.

فغابَ غيرَ بعيدٍ، ثمَّ جاءَ ومعه من الكوفيِّينَ جماعةٌ، اتَّفقَ أنَّهم كلَّهم يعرفونَ باطِنَ حالي. فقالوا: ما تريدُ أيُّها الشريفُ؟

فقلت: هذا رجلٌ يريدُ أن يعرفَ حالي ونسَبي؛ لِشَيءٍ بيني وبينَهُ، فعَرِّفوهُ ما تَعرِفونَ من ذلك.

(١) (عليه قصتي) في (ض): (بحالي عليه ومحنتي).

(٢) (من يعرفني) في (ر): (أن تعرفني).

(٣) (علوي بباب إبراهيم) ليست في (ض).

فعرَّفوهُ صِحَّةَ نسَبي، ووصَفُوا له طريقَتِي وعُدْمِي[1].

فمضى الرَّجلُ، وعادَ، وأخرجَ الهميانَ بعينه كما كنتُ سلَّمتُه إليه، فقال: خذ هذا بأَسْرِه، باركَ الله لكَ فيه.

فقلتُ: يا هذا، ما كفاكَ ما عاملتَني به، حتَّى تستهزئَ بي وأنا في حال الموت؟

فقال: معاذَ الله، هو واللهِ لكَ غيرَ منقوصٍ دينارًا واحدًا[2].

قلتُ: فلم بَخِلتَ عليَّ بدينارٍ منه، ثمَّ وهبْتَ ليَ الجميعَ؟

فقال: ليس الهميانُ ملكي، فيجوزَ لي أن أُعطيكَ منه شيئًا قلَّ أم كَثُرَ، وإنَّما أعطانيهِ رجلٌ من بلدي[3]، وسألَني أن أطلبَ بالعراق أو بالحجازِ رجلاً علويًّا، [ر/١٠٥] حُسَينيًّا، فقيرًا، مستورًا، صالحًا، فإذا علمتُ هذا مِن حالِه؛ أَغنيتُه، بأن أُسلِّمَ هذا الهميانَ إليه، فيصيرَ أصلًا لِنعمةٍ تَنعقدُ له[4]، فلم تجتمع لي هذه الصفةُ إلَّا فيكَ، وشاهدتُكَ بهذه الصفات مِن فَقرِكَ وجوعِكَ وعِفَّتِكَ وأمانتكَ وصَبرِكَ، وصحَّ عندي نَسبُكَ، فأعطيتُكَ إيَّاهُ.

فقلتُ له: إن كنتَ تحبُّ استكمالَ الأجر؛ فخُذْ منهُ دينارًا، وابتَعْ لي به دراهمَ، واشترِ منها ما آكلُ، وأتِني به سريعًا عاجلًا[5].

(١) (وعدمي) في (ر): (وعزمي)، وليست في (ض).

(٢) (غير منقوص دينارا واحدا) ليست في (ر، ل).

(٣) في (ل) زيادة: (وشرطَ عليَّ).

(٤) (لنعمةٍ تنعقدُ له) في (ض): (للنعمة عليه)، وفي (ل): (للنعمة عنده).

(٥) (وأتني به سريعا عاجلا) في (ر): (وصر به الساعة إلى هاهنا).

فقال: لي إليكَ حاجةٌ.

فقلت: قل.

قال: أنا رجلٌ مُوسِرٌ، والذي أعطيتُكَ ليس لي فيه شيءٌ، كما عرَّفتُكَ، وأنا أسألُكَ أن تقومَ معي إلى رَحْلي، فتكونَ في ضيافتي إلى الكوفة، وتتوفَّرَ دنانيرُكَ عليكَ.

فقلتُ: ما بي حرَكةٌ، فاحتَلْ في حَمْلي كيف شئتَ.

فغابَ عنِّي، وجاءَ بمركوبٍ، فأركبَنيهِ إلى رَحْلِه، وأطعمَني في الحالِ ما كان عندَهُ، وقطعَ لي مِن الغدِ ثيابًا، وكان يَخدِمُني بنفسِه، وعادلَني في عِمارتَيهِ إلى الكوفة، فلمَّا بلغتُها؛ أعطاني من عنده دنانيرَ أُخرى، وقال لي: تَزيَّدْها على البضاعة(١).

قال: وفارقتُه، وأنا أدعو له، وأشكرُه، ولم أمسَّ الهميانَ، وأخذتُ أُنفِقُ من الدنانير التي أعطانيها الرجلُ باقتصادٍ، إلى أن اتَّفقَتْ لي ضَيعةٌ رخيصةٌ، فابتَعتُها بالهميان، فأغلَّتْ، وأثمرَتْ، وأنا من الله عَزَّوَجَلَّ في عافيةٍ وخيرٍ كثيرٍ، فلله الحمدُ على كلِّ نعمةٍ وحالٍ.

---

(١) (تزيدها على البضاعة) في (ض): (زَيِّدْها).

فهرس الموضوعات